الجمهـــوريـــة الجـزائـريـــة الديـــمقراطيـــة الشـعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـتـعـلـيـم الـعـالــي و الـبـحـث الـعـلـمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
نيابة مديرية الجامعة للتكوين العالي في ما بعد التدرج والتأهيل الجامعي والبحث العلمي
Vice rectorat de la formation supérieure de post-graduation, de l'habilitation universitaire et de la recherche scientifique

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه

الموسوم

الترجمة المجازية من خلال الفكر اللساني المعاصر

إعداد الطالب :

دحمان نور الدين

إشراف :

أ.د شريفي عبد الواحد

لجنة المناقشة:

أ.د. فـرقـاني جـازيـة	أستاذة التعليم العالي جامعة وهران	رئيســـا
أ.د. شريفي عبد الواحـد	أستاذ التعليم العالي جامعة وهران	مشرفا ومقررا
أ.د. رشيـــد بـن مـالك	أستاذ التعليم العالي جامعة تلمسان	عضـــوا
أ.د. تيجيني بن عـيسـى	أستاذ التعليم العالي جامعة تلمسان	عضـــوا
أ.د.عـبد الخـالـق رشيـد	أستاذ محاضر "أ" جامعة وهران	عضـــوا
أ.د. يوسـف وغـليسـي	أستاذ التعليم العالي جامعة عنابة	عضـــوا

السنة الجامعية:2011-2012

الجمهـــوريـــة الجـزائـريـة الديـــمقراطية الشـعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـتـعـلـيـم الـعـالـي و الـبـحـث الـعـلـمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
نيابة مديرية الجامعة للتكوين العالي في ما بعد التدرج والتأهيل الجامعي والبحث العلمي
Vice rectorat de la formation supérieure de post-graduation, de l'habilitation universitaire et de la recherche scientifique

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه

الموسوم

الترجمة المجازية من خلال الفكر اللساني المعاصر

إعداد الطالب :
دحمان نور الدين

إشراف :
أ.د شريفي عبد الواحد

لجنة المناقشة:

أ.د. فرقاني جازية	أستاذة التعليم العالي جامعة وهران	رئيسا
أ.د. شريفي عبد الواحد	أستاذ التعليم العالي جامعة وهران	مشرفا ومقررا
أ.د. رشيد بن مالك	أستاذ التعليم العالي جامعة تلمسان	عضوا
أ.د. تيجيني بن عيسى	أستاذ التعليم العالي جامعة تلمسان	عضوا
أ.د.عبد الخالق رشيد	أستاذ محاضر "أ" جامعة وهران	عضوا
أ.د. يوسف وغليسي	أستاذ التعليم العالي جامعة عنابة	عضوا

السنة الجامعية: 2011-2012

شكـــر وتقـــديـــر

أتقدّم بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذ:

الدكتور " عبد الواحد شريفي"

الذي احتضن هذا العمل منذ أن كان فكرة إلى أن كتب له أن يبصر النور ويحظى بشرف المناقشة، فله منّا جزيل الشكر والامتنان، ونسأل الله أن يوفقه في درب العلم والمعرفة.

الإهـــــداء

أهــدي هــذا العمل المتواضع إلى الأهــل أجمعين،

وإلى " أحمد " الابن

وإلى " أحمد" زيّان في دار البقاء،

وإلى الزوجـــة،

والى قاسم، وإبراهيم، وإسلام

وإلى سائر الأصدقاء فردا فردا ...

المقدمة

مـــقـــدّمـــــــــــة

يُشكّل التقاء البحث اللساني مع دراسات الترجمة رهانا حاضـــرا يهـــدف إلـــى ضبط الآليـــــات والوسائل المنهجية القادرة على الاستفادة من ارث اللسانيات المترامي الأطراف والأبعاد من أجل استثماره في البحث عن أفضل الطرق الممكنة لتذليل الإشكاليات التي طبعت دراســـــات الترجمة عبر عقود متطاولة.

كما أنّ اشتمال النصوص الأدبية والإبداعية عموما على عناصر بلاغية فنية وجمالية ترتدّ في أصلها إلى اعتبارات ثقافية وحضارية جعل الإقدام على ترجمتها يعرف عوائق جمّة جعلت كثيرا من المترجمين ينعتونها بصفة "عدم القابلية للترجمة" "l'intraduisibilite". وهذا الوصف ينسحب على ما يشكّل كلَّ أنواع العناصر البلاغية من مجاز و استعارة وتشبيه وكناية. وهو ما أدّى إلى أن تتأسّس إشكاليتنا على فرضية اعتبار مستوى الضبط النظري والمنهجي الذي عرفته الدراسة اللسانية المعاصرة رافدا هامّا في دراسة إشكاليات الترجمة الأدبية، وخصوصا إسهامات كلّ من المدرسة التوليدية التحويلية عند رائدها "نعوم تشومسكي"، و مرورا بمجمل التيّارات التي استثمرت الأطر النظريّة لهذه المدرسة اللسانيّة و التي تجاوز تأثيرها الإطار اللساني ليمتدّ إلى إدراج العناصر الذهنية والنفسية المشكّلة للظاهرة اللسانية؛ والذي من شأنه أن يثبت اتجاه العلوم الإنسانية نحو التقاطع و التداخل.

فهل بإمكان نظرية الترجمة، بانفتاحها على النظريات اللسانية المعاصرة، أن تطمح إلى استجلاء إشكاليات انتقال الدلالات المجازية بين اللغات الإنسانية ؟

من أجل دراسة كيفيّات انتقال هذه الدلالات المجازية بطريق الترجمة بالاعتماد على إطار اللسانيات التوليدية التحويلية والتيارات اللسانية التي تطوّرت عنها

وخصوصا تيّار "اللسانيات الإدراكية"، كان عنوان هذه الرسالة: "الترجمة المجازية من خلال الفكر اللساني المعاصر".

وهذا الموضوع تنبع أهمّيته من موقع اللسانيات ضمن خارطة العلوم الإنسانية التي تقترب نتائجها العلمية من الصرامة التي تطبع جملة العلوم البحتة التي استقرّت أسسها النظرية على الموضوعية والدقة المنهجية الصارمة. و تنبع هذه الأهميّة أيضا من موقع الترجمة ضمن خارطة النشاط الإنساني الذي يشهد انفتاحا على آفاق علمية متعدّدة بفضل الطفرة الرقمية التي قرّبت أجيال البشرية بعضها من بعض ومهّدت السبيل أمام سيل من النصوص المتعدّدة الأحجام والأنماط والأساليب بمختلف اللغات والألسنة.

إنّ هذا الموضوع –على أهميّته– لم ينل حقه من الدراسة والبحث المستفيضيْن؛ ويعود سبب ذلك إلى تسارع خطوات البحث اللساني الغربي وتشعّب تياراته ومدارسه؛ ممّا جعل اللغة العربية في هذا العصر تبحث عن موطئ قدم لها وسط هذا الكمّ الهائل من النظريّات اللسانية المُتعدّدة و المُتجدّدة، الأمر الذي يشكّل جانبا من الجوانب التي تجعل الباحث في مثل هذه المواضيع يسعى جاهدا إلى الاستفادة من كلّ النظريّات القادرة على إمداد درسَيْ الترجمة واللسانيات كليهما بالروافد العلمية الصلبة.

ولأهميّة دراسات الترجمة فإنّ استخدام "المنهج التحليلي" الذي يناسب مجال الدراسة وهدفها يبدو مشروعا وفاعلا؛ و ذلك لقدرة هذا المنهج على الاستفادة من النظريّـــــــة اللسانيّة بوصفها إطارا مرجعيّا أساسيّا؛ ثمّ تطبيق ذلك على دراسات الترجمة الأدبيّة وخصوصا ترجمة الدلالات المجازية والاستعارية التي يُضفي وجودها على النّص الأدبي مسحة جمالية و فنية راقية.

وهذا الموضوع الذي يتناول ترجمة المجازات من خلال الفكر اللساني المعاصر تمّت دراسته من خلال فصول ومباحث تنتقل من مجال عرض الأطر النّظرية المُمثّلة في المدرسة التوليدية التحويلية إلى تطبيق مبادئها وأسسها على دراسات الترجمة

المجازية. وبالتالي فإنّ هذا الموضوع، بالإضافة إلى مقدّمته وخاتمته، قد تضمّن من الفصول والمباحث ما يلي:

- الفصل الأول: حمل عنوان "الدلالة المجازية في حقول البحث اللساني" ، وقد تناول مبحثه الأول تأسيسا نظريّا للتمييز بين الدلالة الحقيقيّة والدلالة المجازيّة. وأمّا المبحث الثاني الذي عنوانه المجاز والتواصل اللساني فتعرّض إلى ذكر وظيفة المجاز ودوره في إثراء العلاقات الدلالية. في حين تناول المبحث الثالث الذي عنوانه المجاز في حقول البحث الإنساني نقاطا هامّة هي: المجاز في النقد الأدبي والمجاز في البلاغة والمجاز في علم الدلالة والمجاز في نظرية الترجمة الأدبيـــــة

- الفصل الثاني: فقد توجّه الاهتمام من خلاله صوب "الدراسة اللسانية للترجمة المجازية "؛ وهو العنوان الذي تعرّض مبحثه الأول المُعنوَن ب "النظريـــة التوليديـــة التحويليـــة" إلى جملة من القضايا اللسانيّة تتمثل في : مبدأ الكُليّات اللسانية في المدرسة التحويلية، وعلاقـــة الكُليّـــات بالترجمـــة. وأمّا المبحث الثاني منه فقد تناول أسس المنهج التوليدي والمُكوّن الدّلالي في اللسانيات التوليديـــة التحويليـــة. في الوقت الذي انتقل فيه المبحث الثالث إلى دراسة المنظور اللساني للترجمة المجازية؛ والذي اشتمل على ذكر خصائص الدّلالات المجازية بالإضافة إلى سرد القيمة المجازية للملفوظ اللساني.

- الفصل الثالث: وسمناه "اللّسانيات الإدراكية ودراسة الترجمة المجازية"؛ وفيه عرض لنظرية الاستعارة عند "جورج لايكوف"؛ وهو المنظور الإدراكي الذي يقسّم المراتب الإدراكية للوحدات المجازية. وأمّا المبحث الثاني فتناول آلية النظام الإدراكي الذي يُمكن استثماره في دراسة الترجمة المجازية، وهو ما يفرض عرض مفهوم التمثّل الإدراكي. أمّا المبحث الثالث ففيه تناول لنظريّة العلاقات المعجميّة الدلاليّة عند "راي جاكندوف" "Ray Jackendoff"، وذلك من منظور الاستفادة منها في التحليل الدلالي للوحدات المعجميّة المجازيّة.

- الفصل الرابع: حمل عنوان "النموذج التأويلي في دراسة الترجمة المجازية" فعرض مبحثه الأول إلى تأسيسيّة مصطلحَيْ التأويل و التأويلية، ثمّ تناول تأويليّة الصور المجازية. في حين عرض مبحثه الثاني إلى دراسة تاريخيّة نشأة النموذج التأويلي، بالإضافة إلى الحديث عن حدود دلالات الوحدات المجازية وشروط التأويل وحدوده. وأمّا المبحث الثالث فتناول الترجمة والتأويل والحقول المعرفية، وكذلك تأويليّة ترجمة العناصر الثقافية، وأخيرا الكفاءة النصيّة في عملية الترجمة التأويلية.

لا يمكن لأيّ بحث علمي أن يبصر النّور إذا لم يَلقَ من الرعاية و الاهتمام ما يُمكّنه من الانطلاق في آفاق البحث العلمي؛ ولقد ظفر هذا البحث العلمي بإشراف علمي متميّز من قبل الأستاذ الدكتور "عبد الواحد شريفي" الذي أبدى اهتماما بالموضوع، وتبنّى فكرته و أوصلها إلى تحقيق الثمرة العلمية المنشودة من إنجاز هذا النوع من البحوث؛ وهي أن يحظى هذا البحث بشرف المناقشة من قبل جلّة من أساتذة الاختصاص الأكاديمي الجادّ.

كما لا يفوتنا أن نشكر كلّ من أمدّنا من قريب أو بعيد بيد العون و المساعدة لإنجاز هذا البحث العلمي من أساتذة و أصدقاء و إداريين كلّ من موقع تخصصه العلمي و الفني. واللهَ العظيم نسأل أن يُوفّق جميع المخلصين إلى ما فيه صلاح حال اللغة العربية وإصلاحها؛ و الله من وراء القصد.

الفصل الأول

الدلالة المجازية في حقول البحث اللساني

المبحث الأول: – الدلالة الحقيقة والدلالة المجازية

– الدلالة الحقيقية

– الدلالة المجازية

المبحث الثاني: – المجاز والتواصل اللساني

– وظيفة المجاز

– دور المجاز في إثراء العلاقات الدلالية

المبحث الثالث: – المجاز في حقول البحث الإنساني

– الدلالة المجازية في النقد الأدبي

– المجاز في البلاغة

– المجاز في علم الدلالة

– المجاز في الترجمة الأدبية

المبحث الأول: – الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية:

لقد حظي الدرس اللساني المعاصر بالتشعُّب والغنى حتىّ شمل كثيرا من الحقول المعرفية المتنوعة، بل ودخل كثيرا من جوانب الحياة العلمية والاجتماعية والتعليمية والنفسية والثقافية. وما دام أنّ موضوع اللسانيات هو اللغة الإنسانية، وأنّ أداة الترجمة ووسيلتها هي اللغة؛ فلا ريب أن تصبح الترجمة موضوعا من موضوعات التطبيق اللساني للنظريات المتعدّدة التي أفرزها الدرس اللساني من خلال المدارس اللسانية التي ظهرت عبر مسيرة اللسانيات في تطورها الحديث والمعاصر؛ وكان من نتائجها جملة من المناهج اللسانية التي أكسبت الدرس اللساني المعاصر صرامة في النظرية والتطبيق.

إذا ما استطلع أيُّ باحث جملة المناهج التي تناولت الترجمة فإنّه يلاحظ زخما كبيرا يتناول بالدراسة والتحليل فاعلية الترجمة وتحققها في ثنايا النصوص الأدبية المُعدّة للترجمة. ومن ضمن هذه المناهج يمكنُ الإشارة إلى كل من: المنهج النقدي والمنهج العملي والمنهج الثقافي الاجتماعي والمنهج الحاسوبي والمنهج اللغوي النفسي؛ وأخيرا المنهج اللساني .

و ما يهمّ في إطار هذا البحث هو معرفة مدى ما استقرّ عليه أمر البحث اللساني في معالجة فعالية الترجمة باستثمار أطره النظرية وإجراءاته المنهجية وتطبيقها على دراسات الترجمة الأدبية. وبالتالي فإنّ السعي ينصبُّ نحو تسليط الضوء على أهم النظريات اللسانية المعاصرة التي يمكن استثمارها في هذا الجانب؛ وهو ما سيُمكّن من معرفة الكيفيّة التي يتمّ بواسطتها تفسير فعل ترجمة الآثار الأدبية قراءة وإنتاجا واستقبالا. كما يجدر الذكر إلى أن تحقُّق المعنى في ظل النص الأدبي ظل دائما مناطا للبحث لدى طائفة المشتغلين بدراسة نقاط التقاطع التي تجمع بين اللسانيات والأدب من منظور دلالي على وجه الخصوص. ولذلك يتركّز إطار البحث في "علم الدلالة" باعتبار هذا العلم يحتلّ في اللسانيات مكانا متميّزا، بسبب التطورات الهامّة التي خضع لها هذا العلم والتي دفعت به إلى آفاق أرحب سعيا نحو تناول علمي للدلالة ومظاهرها .

وما دام أنّ منهج علم الدلالة يهدف إلى: "دراسة خصائص المعنى بطريقة علمية منظّمة وموضوعية وذلك بالرجوع إلى المستنطقين واللغات التي يتكلّمونها"[1]، ولأنّ المعنى خضع هو الآخر للدراسات التي حاولت ضبطه وكشف حقيقته، فإنّ الاستناد إليه يبدو مبرّرا؛ وذلك سعيا إلى معرفة القوانين اللغوية التي تساعد على معرفة العلاقات التي تربط بين أجزاء المعنى الواحد من جهة، وبين أجزاء المعاني المختلفة بطرق الترادف أو الاشتراك أو التضاد. وأيضا الأحوال التي تعرض للوحدات المعجمية فتجعلها تتطور وتتغير وتتبدّل بسبب من الأسباب الداخلية والخارجية؛ ممّا يثبت الحاجة إلى هذه الدراسة الدلالية لتأسيس إطار لورود الوحدات المعجمية في ظل النص الأدبي المعدّ للترجمة؛ من أجل معرفة الطريقة التي يتمّ بواسطتها رصد الكيفيات التي تُسهّل انتقال الدلالات والمعاني بين اللغات بطريق الترجمة.

هذا ما يجعل العبء ينصبُّ على الدرس الدلالي في إطاره اللساني النظري منه والتطبيقي؛ وهو ما يمكّنه أن يُلخّص مهمّة علم الدلالة نفسه. "فليست مهمّة علوم الدلالة قتل الدلالة عدّا وإحصاء، وإنما اطلاعنا على شروط تشكُّلها ووجودها، والكشف عن مختلف المظاهر التي ساهمت في ذلك، ووصف العلاقات الرابطة بينها"[2].

وهو ما يُمكّن من استخلاص السمت العلمي الأظهر في علم الدلالة؛ وذلك في كونه يبحث عن حقيقة المعنى وكيفية الوصول إليه باستدلالات من التصوّر الإنساني للمعنى. وهذا يعني أنّ علم الدلالة ينشطر البحث في إطاره إلى أقسام هي:

"أ- قسم تحليلي يبحث عن الماهية بـــ"ما هو" و "ما هي".

ب- قسم تعليلي يبحث عن العلّة والسبب والكيفية .

ج- قسم يربط الظاهرة بدليلها"[3].

هذه السّمات اشتركت فيها وفي دراستها كثير من المباحث والحقول المعرفية كالفلسفة والمنطق وعلم الدلالة وفلسفة اللغة واللسانيات والسيميائيات. وأمّا المباحث التي استقرّ عليها البحث عند علماء الدلالة في إطار هذا العلم فهي: أنواع الدلالات

1- مازن الوعر: دراسات نحوية في ضوء اللسانيات المعاصرة، سوريا، دمشق، دار المتنبي، 2001، ص31.

2- تزيفتيان تودوروف: الأدب والدلالة، تر محمد نديم خشفة، سوريا، مركز الإنماء الحضاري، 1996، ص 17.

3- سمير شريف أستيتيه: اللسانيات، الأردن،عالم الكتب الحديثة، ط1، 2005، ص 257.

والصّلة بين اللفظ ودلالته، والمركز والهامش في الدلالة، وتطور الدلالة وعوامله؛ ومن ضمن مظاهر التطور الدلالي موضوعا "الحقيقة" و"المجاز".

وهذا الموضوع واسع سعة الفكر الإنساني ذاته، إنّه مترامي الأطراف يحتاج إلى الجهد والعناء لضبطه وحصره وذلك لتشعُّب الاهتمامات التي حاولت تسليط الضوء عليه؛ فهو موجود في: "أصول النحو وأصول الفقه وفقه الشريعة وفقه اللغة وفي الوضع وفي المعاجم وفي الأدب والبلاغة وفي النقد والصرف وفي الجدل والمنطق وفي التفسير"[1].

إنّ هذا التشعُّب يجعل حصر إطار البحث في علم الدلالة بما هو متعارَف عليه في ظل اللسانيات المعاصرة، والتي اكتسبت دفعا قويا بعد إدراج المبحث الدلالي الذي كان مُغيّبا في ظلال اللسانيات الحديثة التي يُؤرَخ لظهورها بنشر كتاب "دي سوسير" Ferdinand de Saussure"؛ "محاضرات في اللسانيات العامة" سنة 1916. وهو العمل الذي اعتبر بواسطته "أبّ اللسانيات الحديثة"[2]؛ نظرا لقيمة الأفكار الهامّة التي طرحها و التي أثَّرت في مجمل المدارس اللسانية التي جاءت بعده.

إذن إطار البحث هو "علم الدلالة اللساني" وهذا ما يجعل استطلاع أشهر النظريات اللسانية التي تناولت موضوع "الدلالة المجازية" يبدو ضروريا، ثمّ محاولة تطبيق هذه النظريات اللسانية على موضوع نقل هذه الدلالة المجازية إلى لغة أخرى بطريق الترجمة، أي ترجمة الدلالات المجازية في مقابل الدلالة الحرفية للكلمات والجمل.

تمتاز الدلالة المجازية بأنّها استعمال لمادّة اللغة في غير ما وُضعت له تحقيقا لأغراض جمالية عادة، و يكثر تواردها في مجال الأدب؛ وذلك من منظور أنّ الأدب هو التعبير الجميل عن شعور الإنسان. كما أنّ وسيلة هذا التعبير الجميل هي ما يردُ في صلب النص الأدبي من تراكيب لغوية تعكس صورا بيانية من تشبيهات واستعارات ومجازات؛ والتي تحتلُّ مساحة معتبرة في لغة كل أمة. وهي الصور البيانية التي لا

1- محمد بدري عبد الجليل:المجاز وأثره في الدرس اللغوي، لبنان، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1986، ص07 .

2- كاترين فوك – بيار لي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر المنصف عاشور، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص 13.

يمكن اختزالها و لا انتقاصها حينما يكون المترجم بصدد إنجاز ترجمة يطمح إلى أن تقترب من أصلها وتصير نسخة "أمينة" و"صادقة" عن النص في اللغة الأصل. كما أنّ تحقُّق الترجمة من شأنه أن يجعل آداب الأمم تتلاقى وتتلاقح نصوصُها ويستفيد القراء من هذه الترجمات زادا ثقافيا معتبرا.

غير أنّ تحقيق هذا العمل تعترضه جملة من العوائق تجعل تحققه أمرا عسيرا، ويرجع ذلك إلى ارتباط الدلالة المجازية بالحقل الثقافي الذي نبتت فيه ممّا يفرض مراعاة خصوصية الصورة البيانية الأصلية في اللغة الأصل؛ ثمّ إعادة هذا الانتقال إلى اللغة الهدف، حتى لا يخلق هذا الانتقال لدى المتلقي ارتباكا أو تشويشا مفهوميا من شأنه أن يصيب الصورة بالغموض فتفشل بالتالي عملية الاتصال التي هي القصد من إقامة الترجمة وعليها مدار العملية التواصلية.

وقبل عرض النظريات اللسانية التي اهتمت بدراسة الدلالات المجازية يتمّ استعراض المصطلحات التي تشكّل مفاتيح لفهم ودراسة الدلالات. ويُقصد بهذه المصطلحات كُلاً من "الدلالة الحقيقية"، و"الدلالة المجازية"، وعلاقة هذا بالترجمة المجازية.

- الدلالة الحقيقية:

يعتبر الاستعمال الحقيقي لمفردات اللغة ولألفاظها أولَ قسم من أقسام استعمال الكلام بالإضافة إلى الاستعمال المجازي. ومن المصطلحات المتداولة في هذا الإطار مصطلح " الدلالة الحقيقية". ويقصد به ذلك الوصف الذي يجعل الكلمات التي تستعمل للتداول اللساني تبقى على حالها المعروف والمشتهر، أي بدون استعمالات لدلالات تبتعد بها شيئا فشيئا عن أصل وضعها. وهذا المصطلح يطلق عليه باللغــة الفرنسية: "La signification dénotative ". أي أنّ مصطلح الحقيقة هو مقابل للمصطلح الفرنسي "Dénotation".

غير أنّ اللافت للنظر أنّ هذا المصطلح سواء في اللغة العربية أو اللغة الفرنسية يعرف اختلافات متشعبة تعود إلى اختلاف زوايا النظر إلى دلالة كلّ مصطلح في اللغتين. ولذلك تورد بعض المعاجم الترجمات التالية لهذا المصطلح:

– تأشير[1]، علامة، إشارة: sf: Denotation.

وبالتالي فإنّ مصطلحات: "التأشير" و "العلامة" و"الإشارة" كلُّها تدور في حقل دلالي يجعل دلالاتها تدلّ على أصل الوضع.

" La dénotation se définit par opposition à connotation, la dénotation est l'élément stable, non subjectif et analysable hors du discours de la signification d'une unité lexicale" [2].

"تُعرّف الحقيقة في مقابل المجاز، إنّها تُعرّف في مقابل Connotation، أنّها العنصر الثابت غير الذاتي، والقابل للتحليل خارج الخطاب لدلالة أية وحدة معجمية" {الترجمة لنا}.

"La dénotation d'une unité se définit aussi parfois par opposition à la désignation."[3]

"إنّ الدلالة الحقيقية لوحدة ما (الوحدة المعجمية) تُعرّف أحيانا بمقابلتها بالدلالة الإشاريّة أي: La désignation" {ت ل}.

فكأنّ الدلالة الحقيقية لوحدة ما تختلف عن الدلالة الإشاريّة، وهذا التفريق بينهما أي بين ما هو حقيقي وما هو إشاري تعترضه جملة من العوائق خصوصا ما تعلّق منه بالترجمة. إذ إنّ هاتين الكلمتين [الحقيقة، والإشارة] تتطابقان أحيانا عند بعض المُعجميّين، ممّا يجعل التعريف الذي يفصل بينهما تعريفا غير دقيق؛ ولتوضيح ذلك ورد مصطلح Désignation" في بعض القواميس ثنائية اللغة بالشكل التالي:

– تعيين :Désignation sf، جهاز تعيين الهدف: Désignation de l'objectif.

– طريقة الاختيار: Mode de désignation.

– عيّن، أشار إلى، سمّى، لقّب، عنى:Désignation vt:.

– حدّد الوقت: Désigner l'heure.

– ناداه باسمه:Désigner qqn par son nom

– دلّ على موضع: Désigner un endroit.

1– سهيل إدريس: المنهل قاموس فرنسي عربي، لبنان، بيروت، دار الآداب، ط23، 1999، ص376.

2 – Jean Dubois : Dictionnaire de la linguistique, France, Larousse 1er édition, 2001, P135.

3 – Jean Dubois : ibid, P 135.

- خصّص هدفا: Désigner un objectif.

- اختار خلفا: Désigner un successeur.

- صفاته تؤهله للقيام بهذا الدور[1]: "Ses qualités le désignent pour ce rôle".

يُلاحظ أنّ مصطلحي "Désignation" و"Dénotation" بينهما اشتراك دلالي؛ إذ إنّ دلالة الفعل Désigner بالترجمة تدُلّ على "الإشارة". وهي نفس الدلالة المتضمّنة في مادة Dénotation؛ ممّا يفرض على الباحث نوعا من الانتباه أثناء الاستعمال بمحاولة تحديد مجال كل منهما. ففي اللغة الفرنسية إذن هناك مصطلحان يتجاذبان الاشتراك الدلالي وهي التأشير (أي فعل "الإشارة) من جهة، وهناك من جهة أخرى دلالة هذا المصطلح على الحقيقة اللسانية للوحدات اللغوية المستعملة في التواصل اللساني.

ومع ذلك فلابد من المضي في إطار هذا البحث اللساني بغية التمييز بين هذين المصطلحين في بيئتهما اللسانية الفرنسية لتمييّز الفوارق المفهومية بينهما.

"La dénotation renvoie à la classe des objets répondant à un concept constituant le signifie de la classe"[2].
"إنّ مصطلح Dénotation يحيل إلى صنف من الأشياء تعكس مفهوما مؤسّسا لمدلول الصنف".

ويقصد بالصنف طائفة الأشياء في العالم الخارجي التي يستعملها الإنسان لضرورات التخاطب و التواصل، والتي يمكن أن تشترك مع كلمات أخرى وتتقاطع معها ضمن دلالات متجاذبة. فدلالة كلمة الفعل "وصل" تتقاطع دلاليا مع دلالة الفعل"جاء" ومع "أتى" و أقبل"؛ إلا أنّ دلالة الفعل "وصل" تُبقي على مفهوم خاص به، على الرّغم من إمكانية اشتراكه مع الأفعال الأخرى. وهذا ما ينطبق على دلالات صنف "الأفعال" في اللغة، ونفس الشيء ينطبق على صنف "الأسماء" في اللغة.

كما يمكن ملاحظة – من جهة أخرى – أنّ المفهوم الذي يجعل دلالة هذه الألفاظ اللغوية يبرز إلى الوجود هو مفهوم تصوّري؛ أي أنّ صورته الذهنية التي تنطبع في الفكر هي التي تجعل تحقُّقه في عالم الأشياء واضحا وجليّا وآليّا، ويُمكّن أفراد البيئة

1– سهيل إدريس: م س، ص389.

2 – Jean Dubois: ibid, p135.

اللغوية من تداوله بعد فهمه و الاتفاق على دلالته. ومسألة اقتران الدلالة بالمفهوم الذهني تعتبر حاسمة في تعيين المراد من الوحدات اللسانية أثناء تفريقها بعضها عن بعض، ورصد الفروقات الدلالية بينها؛ سواء في ذلك ما تعلّق بدلالة الوحدة اللسانية في حدّ ذاتها وما تعلّق باشتراكها مع غيرها من كلمات اللغة وألفاظها في دلالات تقترب أو تبتعد عن المعنى العام المركزي .

"Par exemple le signe chaise étant une association du concept « siège » à quatre pieds avec un placet, avec un dossier et de l'image acoustique [f £z] la dénotation sera : a,b,c … N sont des chaises[1] ".

"على سبيل المثال: العلامة "كرسي" تشكّل اقترانا لمفهوم "مقعد" له أربعة أرجل مع: موضع ومسند؛ مع الصورة السمعية "كرسي"؛ فإن دلالتها الحقيقية الذاتية هي أنّ العناصر: أ، ب، ج ... ن، كلها تعتبر كراس".

وهذا ما يُبيّن أنّ اتحاد واشتراك العناصر المذكورة الآنفة لهذا المفهوم واجتماعها معا يؤسّس لإطلاق لفظ "كرسي" على كلّ شيء اجتمعت فيه العناصر وهي: "أربعة أرجل + موضع + مسند + الصورة السمعية".

وبالتالي يتمحّض الفرق بين المصطلحين المذكورين وهما "Désignation" و"Dénotation ". ففي حالة المصطلح "Dénotation " فإنّ دلالته تنصرف إلى طائفة الأشياء التي تُكوّن الشيء وتجعله مشتركا مع غيره. وهي العناصر التي لا تختلف أينما وجد الشيء لأنها تمثل عناصر تكوينه الدلالي؛ مع ملاحظة هامّة وهو أنّه في هذه الحالة لا يُشار إلى شيء بعينه حتى ولو اجتمعت العناصر الدلالية السابقة.

وهذا على الخلاف من مصطلح " Désignation " الذي يدلّ على تعيين الشيء المراد الإشارة إليه. وبالتالي فمن يشير إنّما يشير إلى واحد بعينه؛ والمثال هنا لفظ "الكرسي". فحينما يُشار إلى "كرسي" بعينه فإنّ المصطلح المستخدم هو Désignation؛ وأمّا حينما يُراد إطلاق ما يُقصد به من لفظ "كرسي" فإنّ اللفظ المستعمل هو لفظ "Dénotation".

---

1 − Jean Dubois: Op.cit, p135.

يشكّل السعي في إطار التحليل اللساني لهذا النّوع من الدلالات دافعا إلى التعرُّف على العناصر المركّبة والمشكّلة لبنيته المفهومية؛ وهو ما يجعل تمييزه عن باقي المفاهيم في إطار اللغة الواحدة يظهر أثره في تصور المجموعة اللسانية له.

"Alors que, par la dénotation, ce concept renvoie à la classe des objets. Dans la désignation le concept renvoie à un objet isolé (ou un groupe d'objet) faisant partie de l'ensemble[1] ".

"بالدلالة الحقيقية فإنّ المفهوم يحيل إلى صنف من الأشياء، في حين أنّه في الدلالة التعيينيّة أو الإشاريّة فإنّ المفهوم يحيل إلى شيء معزول (أو قسم من الأشياء تكوّن كُليتّه)".

استخلاصا من هذا التفصيل فإنّ التمييز بين الدلالة الحقيقية والتعيينية يتبيّن من خلال هذا المثال؛ بحيث إنّه إذا ذُكرت العلامة اللسانية "كرسي" مثلا، فإنّ دلالتها الحقيقية تنطبق على كل ما يندرج تحت هذا الصنف من الأشياء باستيفاء العناصر التي يمثّلها هذا المفهوم. وأمّا التعينية فإنّ ذكر العلامة اللسانية "كرسي" مع الإشارة إلى كرسي بعينه حينما يقال "هذا الكرسي"، فإنّه في هذه الحالة يكون المتكلم بصدد تعيين لكرسي ما وليس تدليلا على حقيقة هذا الكرسي.

وبذلك يتمحّض الفرق بين الدلالة الحقيقية والتعيينية؛ بالاستناد إلى دلالة المصطلحين السابقين. ومع سهولة التفريق بين الدلالتين في إطار البنية اللسانية الفرنسية "Dénotation et Désignation"؛ فإنّ نقل هذين المصطلحين إلى اللغة العربية واجه بعض العقبات والصعوبات، تمثّلت في تقاسم أدوار كلّ من المصطلحين في اللغة العربية. من ذلك فإنّ بعض الباحثين استعمل مصطلح تعيين كترجمة Dénotation[2]، ونفس هذا المصطلح وهو "تعيين" ورد ترجمة لمصطلح آخر وهو Identification[3].

---

1 - Jean Dubois : Op.cit, p 135.

2- جوزيف شريم: التعيين والتضمين في علم الدلالة، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي العدد 18 شباط آذار 1982، ص72.

3- عبد المجيد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة، المغرب، دار توبقال، ط1، 2000، ص21.

وتنوعت إسهامات الباحثين في سبيل نقل هذا المصطلح Dénotation إلى اللغة العربية ولكنّها اختلفت ولَمَا تتفق؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- المعنى المباشر La dénotation[1].
- الماصدق أو عدد الأفراد Dénotation[2].
- الدلالة ذاتية، المعنى الحرفي Dénotation[3].
- الدلالة التقريرية، في مقابل الدلالة الإيحائية Dénotation / connotation [4].

وهذه الأمثلة كلُّها تبين صعوبة نقل هذه المصطلحات إلى اللغة العربية، كما يبيّن الجهد المبذول من المترجمين في فهم دلالات المصطلحات في بيئاتها الأصلية ومحاولة استنباتها في واقع لساني يختلف عن واقع اللسان الأصلي الذي أنبت هذا المصطلح.

فيما سبق عُرضت دلالة مصطلح Dénotation في اللغة الفرنسية، ويتمّ الانتقال الآن إلى دراسة هذه الدلالة في اللغة العربية. ويمكن التساؤل عن موقع هذه الدلالة بين أصناف الدلالات أو المعاني كما استقرّ عليه البحث الدلالي العربي. فبالنسبة للسانيات فإنّ "الدلالة الحقيقية هي منزلة من منازل المعنى"[5]، وليس هناك من داع إلى التأكيد على حاجة الإنسان الماسّة إلى التعبير عن مكنونات نفسه وخوالج ضميره بالألفاظ التي يراها حاملة لهذه المعاني.

غير أنّ المتكلم يضع في اعتباره أنّه ينقل بالكلام المعنى إلى مستمع في لغته داخل المجموعة اللسانية الواحدة؛ وأنّ اتفاق الدلالة واشتمالها على ما تدلُّ عليه أصلا وحقيقة يمهّد للمتكلم وللسامع كليهما أرضية للتواصل بينهما. ويتمُّ ذلك بواسطة كلمات اللغة وألفاظها التي تكتسب معنى واضحا وثابتا ومشتركا بين المتكلم والسامع. فاشتراكهما في فهم الدلالة الواحدة للوحدة اللسانية المستعملة في التواصل يجعل اتجاه الدلالة بينهما يسير في خط متصل ومباشر: "المعنى المباشر La dénotation وهو الذي من أجله وُضعت الكلمات، ومن أجل توصيله إلى الآخرين تكون الجمل والتراكيب،

1- سمير شريف استيتيه: م س، ص282.
2- عبد القادر قنيني: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، المغرب، دار إفريقيا، ط1، 2000، ص204.
3- جان جاك لوسركل:عنف اللغة، ترجمة محمد بدوي، لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005، ص467.
4- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، الجزائر، دار الحكمة، ط1، 2000، ص41.
5- سمير شريف استيتيه: م ن، ص282.

وقد ذهب بعضهم إلى تسميته المعنى الحقيقي وهي تسمية مرجوحة في نظري، لأنها تجعل قسيمه غير حقيقي، وذهب آخرون إلى تسميته "المعنى الدلالي" وهي تسمية غير موفقة لأنّها تجعل الشيء وصفا لذاته... أمّا تسميّة "دلالة ذاتية" فبعيدة مثلما أنّ الذاتية توحي بعدم الموضوعية"[1]. هذه الدلالة المباشرة للألفاظ والكلمات يوجد تعبير آخر لها بأنّها "الدلالة المركزية"؛ فيصبح مصطلح "دلالة مركزية" ترجمة لـــ:Dénotation. "أقصى ما يطمح فيه اللغوي هو أن يجعل تلك الدلالة المركزية واضحة في أذهان الناس، ولذا يعمد إلى ذلك القدر المشترك فيحدّده ويشرحه في معجمه مستعينا في هذا بطبقة المثقفين من جمهور الناس ومتخذا منهم نماذج دلالية في ذلك المعجم"[2].

وإيراد صفة "الدلالة المركزية" لتطلق على الدلالة الذاتية قد يوجد له تبرير من وجهة نظر معجمية؛ لأنّ الدلالة الحقيقية للوحدة اللسانية اكتسبت صفة المركزية بوضعها في بطون المعاجم والقواميس والموسوعات؛ فتصبح ثابتة ومتداولة لدى المجموعة اللسانية ويتمّ تسليمها بصيغتها ودلالتها إلى الأجيال اللاحقة.

غير أنّ الاستناد إلى المعجم في إكساب "الدلالة المركزية" معناها المتداول يجعل المعجم حاكما على الدلالات وبالتالي على اللغة كلّها؛ وهذا في الوقت الذي تشهد فيه اللغة تطورا وتغيّرا يصيب في كثير من الأحيان دلالتها المركزية هذه؛ ويفسح المجال أمام دلالة مركزية أخرى تصبح بالاستعمال عَلَما على الدلالة الجديدة التي حلّت محلّ الدلالة القديمة، وهذا ما يُؤكّد حيوية اللغة ومسايرتها لعوامل الزمان والمكان.

وبدون غمط لحقّ الدلالات المُعجمية التي توفرّها المعاجم و القواميس على اختلافها فإنّ الإشارة إلى أنّ الاعتماد الكلي على المعاجم لوحدها في حفظ الدلالات؛ يجعل اللغة قوالب جامدة لا تتطور ولا تتغير؛ لأنّه كما سبقت الإشارة إليه فإنّ الواقع اللساني يشهد بأنّ اللغة تتفاعل مع المحيط الاجتماعي والثقافي وتتغير؛ فهي كائن حي تعتريه عوامل النمو والتطور. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ المعاجم ليست مخازن للدلالات المركزية فقط؛ لأنّ المُعجميّن ما فتئوا يطورون أداءهم ويسايرون

1- سمير شريف استيتيه: م س، ص 282.

2- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط6، 1991، ص107.

الواقع اللغوي فيقومون بإدراج الدلالات غير الحقيقية في معاجمهم إلى جانب الدلالة المركزية.

يبدو جليّا من خلال هذه الأمثلة كلّها مدى تكاثر المصطلحات الدّالة على حقيقة واحدة وهي الدلالة الحقيقية؛ فهي عند بعضهم "الدلالة المركزية"، وعند البعض الآخر "الدلالة الذاتية" وعند آخرين "الدلالة المباشرة" إضافة إلى وصفها بالحقيقية.

لقد ألقت هذه الاختلافات في الصياغات المصطلحية لهذا النوع من الدلالة على ظلالها عند كثير من الباحثين أو على الأقل غياب الإجماع حول مصطلح بعينه يكون مقابلا للوحدة المعجمية Dénotation؛ انتقلت هذه الاختلافات إلى حقول معرفية متعددة. وأقرب هذه الحقول وأكثرها لصوقا بهذه الدراسة هو حقل الترجمة ذاته خصوصا مبحث نظريات المعنى في الترجمة، حيث يُشكّل هذا المبحث دعامة أساسية في دراسات الترجمة؛ بما يعمل على إمداد نظرية الترجمة بمفاهيم ومبادئ يمكن الاعتماد عليها في ميدان الترجمة عموما والترجمة الأدبية خصوصا.

"إنّ الترجمة الأدبية نشاط يتضمن جانبين الجانب الأول جانب إعادة الإنتاج Reproduction والجانب الثاني جانب العمل الخلاق Créative labour الذي يهدف إلى إحداث تأثير جمالي معادل وهو يقدّم أيضا تقسيمات لفئات مظاهر النص التي تتطلب معادلتها في الترجمة وهي المعنى المُحدّد Dénotative meaning وظلال المعنى Connotation والترتيب الأسلوبي Stylistic arrangement "[1].

إذن دلالة مصطلح Dénotation هي التحديد، فالمعنى المقصود هو المعنى المحدّد والمحدود الذي لا يمكن أن يفلت المعنى من إطاره، والإنسان بحاجة ماسّة إلى هذه الكلمات التي لا تتعدّى معانيها ولا تثير ظلالا للمعاني بما يشتّت ذهن المستمع؛ فبدلا من الفهم المباشر للعلامة اللغوية في ارتباطها بالدال والمدلول فإنّ المستمع وهو يدرك الدّال تذهب به الظنون وهو يلهث وراء المدلول سعيا لاقتناصه واستيقافه.

غير أنّ الأمر ليس كذلك لأنّ الدلالات المعجمية –على أهمّيتها– يعتريها كما هو معلوم من التبدّل ما تنتفي معه صفات الثبات والتحديد التي تعرفها الوحدات

1– محمد عناني: نظرية الترجمة الحديثة، لبنان، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2003، ص101.

المعجمية؛ كما أنّ المترجم حينما يصادف هذا النوع من الوحدات المعجمية – غالبا – ويبحث عن معانيها في بطون المعاجم لا يعثر على رصد تاريخي لتطورات هذه الوحدات المعجمية؛ بل إنّه يجد المداخل المعجمية ودلالاتها المعروفة والمشتهرة في ظلال اللغة بدون سياقات تاريخية لها. وهذا كلّه يحرم المترجم من معرفة وافية وكافية بطرق انتقاء أيّ الاختيارات المعجمية يكون أقرب من غيره إلى روح المعنى الوارد في وحدات النص الأصل.

ومع ذلك فإنّه لا بد من تحديد نقطة البداية للمعنى منها ينبثق لكي يكون علامة على الدلالة الذاتية التي يتمّ تحميلها في إطاره؛ وبالتالي ينفي دخول غيره في مجاله ويؤسّس لدائرة دلالية تكون قادرة على الإيفاء بالمعني الذاتي والمباشر والمركزي والمُحدّد من جهة؛ وتمنع دخول غيره من وحدات اللغة الكثيرة في مجالها، وتُقدّم خدمة جاهزة للمترجم تعينه على مجابهة صور التشتت الدلالي الذي يعتري وحدات اللغة ويجعله يقف حائرا أمام هذه الأحوال الدلالية المتعدّدة للوحدة اللسانية الواحدة.

"إنّ العلامة تعسفية أو توقيفية Aribtrary أي أنّها لا سبب ولا دافع لها Unmotivated وهكذا فإنّ كلمة "الجبن" العربية هي الدال الصوتي Acoustic signifier الذي يدلّ تحديدا Denotes على مفهوم الطعام المصنوع من مضغوط الألبان المتخثرة (المدلول) دون أن يكون ثمّت سبب كامن لإطلاق هذا الدال على ذلك المدلول"[1]. وهذه الفكرة هي التي أسّس عليها "دي سوسير" ما يطلق عليه اعتباطية الدرس اللساني؛ وهي فكرة عرض لها بالشرح والتفصيل "دي سويسر" في بحوثه، والتي تُمثل مظهر التميّز عند "دي سويسر" حينما باشر عرض الأفكار الجديدة التي أتى بها.

فيما سبق عرضه يقصد بدلالة Dénotation التحديد وليس التعيين؛ ومع صعوبة الاتفاق أو الاجتماع على مصطلح واحد بعينه فإنّ المصطلح الذي يفرض نفسه بالاستعمال والانتشار هو مصطلح "الحقيقة" الذي بإمكانه أن يعكس الحقائق الموجودة في صلب وحدات اللغة بدون أن يكون لهذه الحقائق نصيب من تجارب الأشخاص الحياتية أثر عليها؛ فهي وحدات قارّة وثابتة لا تقبل "الجواز" إلى غيرها.

1- محمد عناني: م س، ص102.

وهذا "الجواز" الذي يفتح المجال أمام تجارب شخصية للأفراد يُحمّلون بها وحدات اللغة "الحقيقية" فتصبح "غير حقيقية" يشيع استعماله في واقع اللغة وفي واقع النصوص الأدبية إنتاجا واستقبالا؛ وهذا التحميل الدلالي هو ما يطلق عليه "المجاز".

- **الدلالة المجازية La signification connotative** :

بعد عرض الدلالة الحقيقية فإنّ عرض الفرع الذي ينتج عن الدلالة الحقيقية يُسوّغ ذكر ما أصبح يطلق عليه في عرف اللسانيين والنقاد الدلالة المجازية أو اختصارا "المجاز"، مع بعض الاختلافات بين كل فريق حول المصطلح ذاته و حقيقته ومعناه.

إنّ النشاط الدلالي للكلمات لا يُتوصّل إليه من خلال الدلالات الحقيقية فقط لأنّ هذه الكلمات تخفي في ثناياها مشاعر المتكلم وأحاسيسه وثقافته وبيئته ممّا يجعل السامع يقع في الالتباس المفهومي إذا لم تتوفر قاعدة يُحتكم إليها لتعيين المعنى المراد من الوحدة الدلالية في رحاب اللغة الواحدة. فلا غرو أنّ نجاح عملية الاتصال اللساني يتوقف على "واحدية" المعنى للوحدات اللغوية وعدم تعدّد معانيها أثناء الاستعمال.

فإذا ما انتفى هذا الشرط ألفى المتكلم نفسه يقصد دلالة معينة، بينما السامع قد يفهم دلالة أخرى غير مقصودة وغير مدرجة في سجل المتكلم أصلا. وتداول الوحدات اللسانية بمعان قارة ثابتة أي حقيقية، لئن كان شائعا في بعض الوحدات إلا أنّ البعض الأخر يَندُّ عن هذا الحصر؛ ممّا يسمح لوحدات اللغة أن تتجاوز معانيها الحقيقية إلى دلالات أخرى متجاوزة أصل الاستعمال ومبتعدة عن حقيقتها المتداولة. وهذا التجاوز أو التجوُّز الذي يطرأ على وحدات اللغة هو ما يطلق عليه "المجاز".

ولتحقيق دلالة هذا المصطلح كما ورد في بطون المعاجم والقواميس ثمّ في اللغة والأدب سعيا إلى فهم البنية التصورية له و محاولة تمييزه عن غيره كان من الأجدى التعرض لمجمل دلالات هذا المصطلح في بطون المعاجم العربية.

المجاز: يورد ابن منظور عدة استعمالات لكلمة "مجاز" في اللغة العربية، والتي منها:

- مادة جوز" جزت الطريق وجاز الموضع جوزا وجؤوزا وجوازا ومجازا وجاز به.
- وجاوزه وأجازه وأجاز غيره.

- والمجاز والمَجازة الموضع والاجتياز السلوك والمجتاز: الذي يحب النجاء.
- والجواز: صك المسافر، وجوائز الأمثال والأشعار.
- والجواز ما جاز من بلد إلى بلد.
- وأجاز له البيع: أمضاه.
- والوجيز: الولي أو الوصي أو المقيم بأمر اليتيم.
- والجيزة من الماء: مقدار ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل.
- تجوّز بكلامه أي تكلّم بالمجاز[1].

يُلاحظ أنّ اشتراكات دلالية متنوعة تتداخل فيما بينها لتدلّ على حقل دلالي لهذه المادّة التي تندرج تحت المادة المعجمية لكلّ من: "جاز" و"جوز" و"أجاز" و"جوّز". وتلتقي بعض استعمالات هذه المادة في العبور من مكان إلى مكان، كما في "الجيزة" وهو مقدار ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل؛ وكذلك "المجاز" و"المجازة" و"المجتاز" وهو السلوك من موضع إلى موضع. وهذه الاستعمالات المادية تؤدّي إلى نقل الدلالة الكامنة خلف أسوار هذه الاستعمالات لتطلق على "من يتجوّز في كلامه"؛ فكأنّه عبَر واجتاز من موضع إلى موضع. ولا عجب فموضع الاجتياز هنا هو العبور من "حقيقة الكلام" إلى "مجاز الكلام".

وأمّا اصطلاحا: فإنّ الاقتصار على تعريف واحد "للمجاز" في إطار علم من العلوم الإنسانية التي درسته؛ يبدو سبيلا غير منهجي. ويعود سبب ذلك إلى طابع الانتشار الذي يعرفه استعمال مصطلح المجاز في عدة علوم ومباحث علمية ومعرفية متعدّدة. ومع ذلك فإنّ الاستعانة بآليات الدرس اللساني يبدو لا مفرّ منه لمعرفة مفهوم "المجاز" في إطار هذا البحث الإنساني الهامّ، وخير سبيل إلى ذلك هو إيراد تعريفات القواميس و المعاجم المتخصصة في اللسانيات لتعريف هذا المصطلح.

"Connotation: (n .) A term used in Semantics as part of a classification of types of meaning; opposed to Denotation. Its main application is with reference to the emotional associations (personal or communal) which are

---

1- أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مادة "جوز"، المجلد الخامس، مصر، القاهرة، دار المعارف للطباعة و النشر والتوزيع، ص326.

suggested by, or are part of the meaning of a linguistic unit, especially a lexical item"[1] .

"المجاز: مصطلح مستعمل في علم الدلالة كقسم من تصنيفات أنواع الدلالات، في مقابل الحقيقة. مجاله الأساسي هو مرجعيته على ارتباطات عاطفية (فردية أو جماعية) تثيرها الوحدات اللسانية أو تكون جزءا منها؛ وخصوصا الوحدات المعجمية".

يُذكر في إطار اللسانيات المجاز في مقابل الحقيقة؛ فإذا كان كلاً منهما ينطبق على قسم من أقسام المعاني التي تتحمّلها و تشحن بها الوحدات اللسانية؛ فإنّ الفرق بينهما يتمثّل في الإبقاء على المعنى المباشر والذاتي للوحدة اللسانية فيما يخص "الحقيقة". وأمّا المجاز فإنّ دلالته على ارتباطات عاطفية للأفراد والجماعات وتحميلها للوحدات اللسانية يجعل معنى الكلمة ينتقل من "الحقيقة" إلى "المجاز". وهذا الانتقال من الحقيقة إلى المجاز ليس وليد عصر من العصور أو هو شائع عند بعض الناس مفقود عند آخرين؛ ولكنّه حاضر مع الإنسان منذ أنْ اكتسب القدرة على ممارسة اللغة واستعمالها لأغراض التواصل الإنساني. وهو ما يجعل اللغة الإنسانية أداة طيّعة في يد الإنسان يُكيِّفها حسب احتياجاته ومتطلباته، ويعكس أيضا الجانب الحيوي من اللغة، وأنّها ليست قوالب جامدة تكرّر نفسها آليا. فاللّغة التي تتسم بالحياة والحيوية تكون لها القدرة على التعبير عن حال الإنسان ومآله بدقة وإتقان.

وما دامت تجارب الإنسان الحياتية والواقعية غير محدودة وغير متناهية في الوقت الذي تتناهى فيه وحدات اللغة المعجمية كثرة أو قلة بحسب اختلاف اللغات الإنسانية؛ فإنّ هذا يفرض على اللغة أن تساير إرادة الإنسان في التعبير عن مكنوناته وتجاربه حتى ولو اضطر إلى تكرار استعمال الوحدات اللسانية بدلالات أخرى غير المتعارف عليها. ومن هنا تظهر الحاجة إلى المجاز اللغوي ودوره في تزويد الإنسان بحاجته من الوحدات اللسانية التي يستعملها لأغراض التواصل اللساني.

---

1 – David Crystal : A dictionary of linguistics and phonetics, , USA, Blackwell publishing2008, 6 edition, P128.

- المبحث الثاني: المجاز والتواصل اللساني:

- وظيفة المجاز:

تُمثّل الدلالات اللسانية في حال اشتمالها على دلالاتها الحقيقية ضمانا لتداول سليم وفعّال بين الأفراد. لولا أنّ الأمر لا يسير على هذه الوتيرة دائما، فيجنح الإنسان نحو العدول عن الدلالات الحقيقية إلى استعمال الدلالات غير الحقيقية. وهذا ما يجعل المجازات تصبح متداولة في سياقات اللغة مثلها مثل الدلالات الحقيقية سواء بسواء. كما يجعل المجازات تحمل إلى الآخرين تجارب الأشخاص في الحياة؛ وهذا الجنوح نحو المجاز تمليه ضرورة ترك التصريح والاتجاه نحو الإيماء. فدلالة الشجاعة حينما يُقال عن شخص ما هذه العبارة: "أقبل الأسد"، تكون أظهر من تصريح ذلك بألفاظ اللغة وأساليبها المباشرة، ويظهر ذلك في جنوح الأفراد نحو استعمال المجاز بدلا من تداول الدلالات الحقيقية.

إنّ وظيفة المجاز تقع في صلب وظيفة اللغة ككل؛ إذ بواسطته يتمكّن كلٌّ متكلم من أن: "يختار من ضروب الكلام ما هو أبين لغرضه، فيقرّب ما بين متباعد الألفاظ، ويؤلّف ما بين مختلفها، ويولّد منها معاني شتى بحسب ما هو من فطنة وما اكتسب من تجربة ومران"[1].

وبالتالي فالمجاز يُتمكّن به وبواسطته من إظهار المعنى الواحد بأوجه وطرق متعدّدة، ويجعل اللغة تُتداول بين المتخاطبين بكفاءة و مهارة؛ وهذا في الوقت الذي تمارس فيه الدلالة الحقيقية حضورا أكيدا؛ إلاّ أنّ هذا الحضور تزاحمه الاستعمالات المجازية للكلمات في صلب اللغة الواحدة.

« The feelings or evaluations we associate with a word, its connotation, color the meaning we give it. Thus, our perception of a word connotation may be even more important than its denotation in how we interpret the meaning of the word"[2] .

1- محمد علي السراج: اللباب في قواعد اللغة، سوريا، دمشق، دار الفكر، ط1، 1987، ص 171.

2 - Rudolph F, Verderber, Kathleen S. Deanna D. Sellnow : The challenge of effective speaking, USA, Thomson, 2008, P 190.

"إنّ إحساساتنا وتقييماتنا التي نقرنُها مع الكلمات، أي مجازاتها، تُلوّن المعنى الذي نسنده لها. و من ثمّ إدراكاتنا لمجاز الكلمة يكون أكثر أهمّية من دلالتها الحقيقية من منظور كيفية تأويلنا لمعنى هذه الكلمة".

وهذه المجازات التي تشحن بها بعض كلمات اللغة تكون أقدر على حمل الشحنة العاطفية التي يريد المتكلم أن يوصلها إلى السامع لكي يتفاعل معه بواسطة نفس كلمات اللغة وألفاظها التي يعرفها كل منهما. ويعود سبب ذلك إلى طابع المجازات الذاتي والفردي الذي يعلم حالها ومآلها من تكلّم بها وطرحها للتداول اللساني. وحينما يُعرض لدور المجاز ووظيفته في التواصل اللساني لا ينفي ذلك – بالطبع– وظيفة الدلالات الحقيقية في اللغة و مركزيتها في الفكر الإنساني و قدرتها على حمل الأفكار والمشاعر إلى الآخرين. وهذا ما يُوصل إلى معرفة الدور الذي تلعبه الدلالة المجازية أو الدلالة الإيحائية؛ وهو قدرتها على تجاوز الدلالات الحقيقية التي– كما سلف– يشترك فيها أفراد البيئة اللسانية الواحدة، وإدراكها يخضع للعقل والفكر الإنسانيين.

أمّا الدلالة المجازية الإيحائية الهامشية فهي أيضا تحمل خصائص تُميّزها عن الدلالة الحقيقية، ويمكن ذكر من ضمنها دلالتها على المعنى العاطفي الزائد عن حد الدلالة الحقيقية. كما أنّ من خصائصها:

"1 – أنّها تختلف باختلاف الأفراد.

2 – أنّ إدراكها إدراك عاطفي.

3 – أنّها تؤدي وظيفة التأثير"[1].

وهذا ما يفسّر غياب معجم جامع بإمكانه رصد هذه الدلالات المجازية من أجل معرفة معانيها وتيسير سبل الوصول إليها بواسطة قاموس أو معجم يكون في متناول الأفراد. وهذا يعود إلى الطابع الفردي للوحدات المجازية مما يتعذّر معه على أيّ معجميّ أن يقدر على ضبط هذه الوحدات اللسانية في إطار معجم يوحدها ويجمعها.

1– محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب، لبنان، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص 81.

- دور المجاز في إثراء العلاقات الدلالية:

يُمثّل اللجوء إلى استعمال "المجاز" بأضربه المختلفة، ما تعلّق منه بالأصناف البلاغية كالاستعارة والمجاز المرسل والعقلي، أو ما تعلّق بالدلالات الهامشية أو الحاقة نوعا من استعمال الكلام لخلق معان جديدة وربط علاقات دلالية لألفاظ اللغة لم تكن معروفة سلفا في إطار استعمال الدلالات الحقيقية.

ومثلما استقرّ عليه أمر البحث الدلالي فإنّ دراسة العلاقات الدلالية التي تربط بين ألفاظ اللغة يغدو مبحثا هامّا، وذلك من منظور أنّ كلمات اللغة ليست جامدة ولا ثابتة بل تقبل التبديل والتغيير بموجب قوانين تضبط هذه التطورات الدلالية المتلاحقة. ويُعدُّ التغير الدلالي من: "الحقائق المقرّرة لدى علماء اللغة المحدثين، وتتعدّد المصطلحات الدالة على طرق التغيّر الدلالي بينهم، فمنهم من يطلق عليه مظاهر التغيّر الدلالي، وبعضهم يسميه قوانين التغيّر الدلالي" [(1)].

ومن ضمن صور التطورات الدلالية التي تصيب ألفاظ اللغة وكلماتها ما يطرأ على الوحدة اللسانية فينقلها من "الحقيقة" إلى "المجاز"، وهذا النقل لا يكون اعتباطا أو عشوائيا، وإنّما يحكمه في حالـــة المجاز قانون التجاور و التماثل. و من هنا يتبدّى واضحا دور الخيال خصوصا في تيسير سبيل هذا الانتقال الدلالي بين وحدات اللغة الحقيقية لتصير مجازية. "وانتقالات الاسم عبر تماثل المعاني أكثر تبدُّلات المعاني ورودا، ولعلّ الاستعارة خير شاهد على ذلك، وقد يكون تماثل المعاني ماديّا في الشكل، كما في ورقة الشجرة، وورقة الدفتر، كما قد يكون تزامنيا، كما في تداعي الصوت، أو اللون، أو الرائحة"[(2)].

والضرب الوارد هنا هو الانتقال الدلالي لوجود تماثل أي تشابه بين الأصل والحقيقة والصورة المنقول إليها وهو الاستعارة. أمّا في حالة المجاز كضرب من أضرب البلاغة؛ فيكون الانتقال بسبب التجاور؛ "وقد يكون انتقال الاسم عبر تجاور المعاني، وهذا ما نراه في المجاز والكناية، وهذا الانتقال قد يكون زمانيا، أو مكانيا، أو

1- فريد عوض حيدر: علم الدلالة، مصر، القاهرة، مكتبة الآداب، 2005، ص71.

2- عبد الواحد حسن الشيخ: العلاقات الدلالية، مصر، القاهرة، مطبعة الإشعاع، ط1، 1999، ص14.

سببيا"[1]. وهذا ما يثبت أنّ التجاور والتماثل بين وحدات اللغة اللسانية من شأنه أن يكون باعثا على تفجير طاقة اللغة واستنساخ دلالات جديدة ومتجدّدة تمكّن المتكلم من أن يصبغ عليها ما يشاء من فكره وعقله، ويلبس الألفاظ ما شاء من عواطفه ومشاعره؛ وهو ما يجعل اللغة تغدو من أكثر الأنشطة الإنسانية إنسانية والتصاقا بفكر الإنسان وشعوره.

وإنّما يتيسر له ذلك إذا استعمل اللغة بوعي منه لصور التشابه والتماثل والتجاور التي تجمع بين وحدات اللغة وأساليبها في التعبير. "إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كُلّما كان أشد؛ كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس إليها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، وذلك أنّ موضع الاستحسان، ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح، والمتألف للنافر من المسرّة، والمؤلّف لأطراف البهجة، أنّك ترى الشيئين بها مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين" [2].

فدلالة الوحدة اللسانية "الليل" هي دلالة حقيقية على القطعة من الزمان التي تحتسب بحساب دورة الكرة الأرضية على نفسها لتنتج النهار المشرق المضيء والليل المظلم الحالك؛ لكنّها بحساب المشاعر والأحاسيس تصبح ميدانا للحالمين أو الآرقين أو الساهرين يناجي كلّ "ليله" فيبثه شكواه وأحلامه.

وبالتالي فالمجاز يمتح من الخيال زادا معرفيا ولسانيا يمكّن الإنسان من تنشيط الفعل اللغوي بما يسمح له من التعامل مع اللغة بالكفاءة والمهارة التي يتطلبها حيازة الإنسان نفسه على هذه المقدرة التي يفقدها غير النوع الإنساني، كما تعكس جوانب عند الإنسان غير الجانب الجسدي المادي.

فوجود الإنسان في قلب الكون الواسع المترامي الأطراف والأبعاد يجعل محدودية الوحدات اللسانية تقف عائقا أمام اندماج فاعل مع منظومة الوجود؛ وهذا يظهر الحاجة إلى إدراج "المجاز" في صلب هذه المنظومة اللسانية التي يتوجب عليها أن تنفتح على مجمل السياقات والظروف والأحوال والمقامـــات التي تدفع الإنســـان

1- عبد الواحد حسن الشيخ: م ن، ص 14.

2- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد رشيد رضا، لبنان، بيروت، دار المعرفة، 1987، ص 63.

نحو المجاز بدلا من الاتجاه نحو الحقيقة. وهذا يؤدي إلى تقرير واقع، وهو أنّ: "المعنى المجازي لا يمكن لأبناء اللغة العاديين فهمه للوهلة الأولى، حيث يحتاج إلى سياق أو إلى مقام يبيّن أن المقصود ليس هو المعنى الحقيقي، أي المعنى الذي يتبادر إلى الذهن عند سماع الكلمة لأول مرّة"[1].

وبالتالي فقد شُغل البحث الإنساني بقضية المجاز في اللغة شغلا يعكس أهمّيته عبر العصور وفي مختلف الاختصاصات الإنسانية العلمية. ولذلك تشعبت سبل البحث أمام محاولة حصر موضوع بهذا الشكل الذي يجعل موضوع "المجاز" يتفرّع ليشمل عدة علوم مختلفة. وهذا كلّه يفرض الاقتصار على عرض أهم العلوم والمباحث التي درست المجاز كلّ من وجهتها الموضوعية ووفق طرائقها المنهجية.

1- بوهاس – جيوم- كولوغلي: التراث اللغوي العربي، ترجمة محمد حسن عبد العزيز، مصر، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2008، ص 194.

المبحث الثالث: المجاز في حقول البحث الإنساني.

مثلما سلف بيانه فإنّ هذا المصطلح يُتداول استعماله في رحاب الكثير من الاختصاصات والمباحث الفكرية والفلسفية؛ ويُمكن التعريج على الاختصاصات التالية والتي من ضمنها:

"النقد الأدبي" و"البلاغة" و"علم الدلالة" و "الترجمة الأدبية".

- الدلالة المجازية في النقد الأدبي:

يهدف النقد الأدبي باعتباره شكلا من أشكال المعرفة الإنسانية إلى إضاءة وتفسير شروط إنتاج الآثار الأدبية باعتبارها عملا لغويا بالاستعانة بمباحث علوم اللغة؛ وكذا معرفة الآليات والوسائل التي تضبط أسرار القول اللساني الإنساني.

في البداية لابد من استقصاء ورود هذا المصطلح في أدبيات النقد لمعرفة تصور نظرية النقد الأدبي لظاهرة الدلالة المجازية ولمعرفة أيضا مدى التشابه أو التوافق بين المبحثين الآخرين وهما "علم الدلالة" و"علم البلاغة" في تناولهما لظاهرة "المجاز" في اللغة.

ففي المعجم الأدبي: فإنّ من المواد التي أدرجها الكاتب للعرض والشرح كلاً من المصطلحين المترادفين؛ وهما مصطلحا " الحقيقة والمجاز" " Sens propre et sens figuré "؛ وقد عرّفهما على الشكل الآتي:

"1 – الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أصلا، وعليها مدار علم المعاني للبحث فيه عن مطابقة الحال.

2 – المجاز هو اللفظ المستعمل في غير موضعه الحقيقي لتحسين المعنى أو توضيحه أو ترسيخه في ذهن السامع أو القارئ"[1].

فهذا التعريف يسير مع الإطار العام لدلالة المصطلحين في الاستعمال اللغوي لهما، وإن كان هذا التعريف بصورته هذه يعتبر مقتضبا إلى حد بعيد، ممّا ينتج عنه غياب الضبط المفهومي لكل منهما. ومعنى ذلك أنّ اعتبار الحقيقة وحدها مدارا لعلم

1- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1984، ص96.

المعاني تنقصه الدقة العلمية التي تثبت من خلال العرض السابق لمفهوم المجاز في اللغة أهميته وفعاليته في اللغة بمختلف مستوياتها وأصنافها الدلالية.

وأمّا في موسوعة المصطلح النقدي فيمكن العثور على مصطلح "المجاز الذهني" "The conceit"[1]، إلى جانب دراسة مستفيضة تستطلع التاريخ والأدب معا في محاولة لتتبع مصطلح "المجاز الذهني"؛ وهي الترجمة التي اقترحها وارتضاها الكاتب للمصطلح الانجليزي" The conceit". ففي هذا الإطار أي إطار النقد الأدبي ما يهمّ في هذا السياق هو معرفة الدلالة التي يحملها مصطلح The conceit" في لغته الأصلية أي الانجليزية. ومن خلال معرفة هذه الدلالة يمكن التوصّل إلى استشفاف السبب وراء ترجمة هذه الدلالة إلى مصطلحي "المجاز الذهني". أوردت "الموسوعة الانجليزية العربية" المداخل المفهومية التالية لهذا المصطلح الأجنبي:

1- رأي أو تقدير شخصي؛ خداع.

2- استعارة أو تشبيه مبالغ فيه؛ قصيدة أو مقطع يتكوّن من تشبيه أو استعارة.

3- فكرة، رأي؛ فكرة وهمية أو خيالية.

4- حيلة صغيرة؛ بناء مبالغ فيه"[2].

يُلاحظ أنّ مادة "Conceit " كما هي في لغتها الأصلية لا ترتبط باصطلاح ثابت لفن من فنون القول أو البلاغة. وعلى هذا الأساس يظهر أنّ الدافع وراء اختيارها كمصطلح من مصطلحات النقد الأدبي هو اشتمال مدلولاتها على كلّ من الاستعارة أو التشبيه أو القصيدة المتضمّنة لكلّ من هذين الفنين كما يوجد أيضا معنى الحيلة؛ ولا شك أنّ المجاز هو تأنق لفظي يخرج بأصل الوضع عن حقيقته بالإضافة إلى معنى المبالغة في البناء.

إلاّ أنّ استطلاع ورود لفظ "المجاز" بما يمكن أن يقابله في اللغة الانجليزية لتبيّن وجود المصطلحات التالية:

- مجاز : (لغة) Metaphor, trope, Figuration, imagery, allegory

---

1- ك.ك رثقن: موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1983، ص415.

2-Atlas Encyclopedic Dictionary English – Uk, Arabic Atlas Publishing house, 2002 , p260.

- مجاز مرسل :Metonymy, syncdoche

- مجازا؛ على سبيل المجاز[1]: Figuratively, Metaphorically

فما الذي حدا بالمترجم إلى اقتراح مصطلح "المجاز الذهني"؟

يجيب المترجم قائلا: "ترجمة مصطلح Conceit بعبارة (المجاز الذهني) وهو ما يختلف عن المجاز العقلي في البلاغة العربية. ولأنّ المصطلح مولّد في الإنجليزية؛ فلا بأس أن أقول في العربية (المجاز الذهني) وحجتي في ذلك أنّ المجاز يشتمل على أنواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والإشارة والتمثيل والتشبيه وغير ذلك ممّا عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد"[2].

يتبيّن أنّ المجاز بهذا الاعتبار هو دائما عدول عن أصل الوضع إلى معان أخرى يستشفها القارئ من السياق والقرائن. فيصير المجاز واسعا في دلالته على كلّ ما يتجاوز أصل الوضع في اللغة إلى معان أخرى تصير بالاستعمال هي الأخرى أصلية بعد تفرّعها عن الدلالات الأصلية الحقيقية. وهذه الدلالة الفضفاضة لهذا المصطلح جعلت كثيرا من المعاجم تقترحه ترجمة لألفاظ مختلفة في اللغة.

ومن ضمن هذه المصطلحات المصطلح الأجنبي "Allegory"، والذي ترجم هو الآخر إلى مصطلح "المجاز".

"المجاز: Allegory: طريقة في العرض حيث يرمز شخص أو حدث أو فكرة مجرّدة لنفسه و لشيء آخر معا، وبهذا يمكن تعريف المجاز بأنّه استعارة موسّعة. ونحن نجده في القصة حيث الشخصيات وأفعالها تفهم على أساس مختلف عن ظهورها السطحي ومعانيها السطحية فهناك معان موسعة تحت السطح تمتلك تصورات خلقية أو روحية أكبر دلالة من الحكاية نفسها تجعل الشخصيات رموزا لأشياء أخرى"[3].

يبدو واضحا أنّ مصطلح المجاز أصبح لا يدلّ فقط على مقابلته لمصطلح الحقيقة؛ بل أصبح ينطبق على كثير من الدلالات الموسّعة التي تجعل الاتفاق على

1- ينظر روحي البعلبكي: المورد الوسيط، قاموس عربي انجليزي، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط3 ، 1995، ص 637.

2- ك ك رتقن: م س، ص 510، 416.

3- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، تونس، صفاقس، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ط1، 1986، ص 311.

مصطلح واحد بعينه عسير المنال. ومع وجود هذه الكثرة لهذه المفاهيم التي يدلّ عليها مصطلح "المجاز" يبدو عسيرا اجتماع المعجميين على مفهوم واحد وموحد يكون جامعا مانعا يحصر دلالة "المجاز" في أضيق مجال.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف المصطلحي إلا أنّه من الأهمية محاولة تعريف معنى "المجاز الذهني" في إطار نظرية النقد الأدبي. يقول الكاتب: "إذ يقارن الشاعر عيني حبيبته بنجمتين وأسنانها باللآليء إنّه يستخدم المجاز الذهني أو الإشارة إلى الجرح في جنب المسيح كخزانة ثياب، وإلى كفن المسيح كمنديل؛ ولو جُمعت ضروب المجاز الذهني في مسرد لغدا كتابا ذا حجم" [(1)].

إنّ استعمال المجاز يرتبط بمهارة لغوية وبراعة أدبية وسمت الأدب الغربي في عمومه وكانت عبارة "المجاز الذهني" تشتمل على صنوف من المعاني ترتدّ إلى اعتباره تعبيرا عن فكرة أو مفهوم أو صورة فكرية أو مثال ذهني. ففي القرون الوسطى دأب الشعراء على استخدام الصور البلاغية؛ غير أنّ هذا الاستعمال لم يكن بالصورة التي يصطلح عليها اليوم في إطار فنون النقد الأدبي: "فعندما كانت عبارة المجاز الذهني" تستعمل في علاقتها بالشعر كان الميل إلى استعمالها بصيغة المفرد لتعني الفكرة وراء القصيدة أكثر من الأفكار والاستعارات في القصيدة "[(2)].

ولكن بمرور الزمن اقترب "المجاز الذهني" من الاستعارة وصار المصطلحان مترادفين ممّا فسح المجال في بدايات عصر النهضة في أوروبا خلال القرن السادس عشر إلى تميّز الشاعر بلغته وأسلوبه وفصاحته. ومن مميزات هذا العصر الشعر الفكاهي والهجائي والقصائد الهزلية التي تطرقت إلى مواضيع جريئة مستمدة من واقع الحياة الإنسانية بكل أبعادها. "فالأدب مادة أولى تقدمها الحياة، ويعالجها الكاتب بفكره وشعوره، ثم بناء فني يتناول المادة ويسكبها سبك نظام ووحدة، فتخرج به و معه في شكل خاص، وصورة فنية خاصة"[(3)].

1- ك ك رتقن: م س، ص416.
2- ك ك رتقن: م س، ص 419.
3- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، لبنان، بيروت، دار الجيل، ط1، 1986، ص17.

وهذه الموضوعات حتى على اعتبار تفاهتها فتحت الباب لاحقا لعصر الأنوار ولجملة من الأدباء في بدايات عصر النهضة سمحت لهم باكتساب مهارات تعبيرية لإبراز كل ما تجيش به نفوسهم وخواطرهم من أفكار وتصورات لا تقف بهم عند حدود الحواس وإمكانياتها المحدودة؛ وتمكّنهم من الانطلاق في آفاق الكون دون وازع أو رادع يمليه عليهم سلطان الكنيسة الذي كان سيفا مسلطا على الرقاب والضمائر معا.

دفعت الروح الجديدة الأدباء إلى مسايرة العصر بابتكار طرائق في التعبير لم تكن مألوفة قبل ذلك؛ فقد كان "من المألوف في عصر الانبعاث القول بأنّ العالم يشبه صحيفة عامّة مشاعة؛ فإن كان الله قد خلق الشعراء على صورته كان عليهم أن يصبحوا صُنّاع مجازات ذهنية يمسكون بالمرآة في وجه الطبيعة لكي يُحمّلوا أشعارهم بمجازات يأخذونها من الكون حولهم أو يصنعونها على شاكلة ما يجدون"[1].

من هنا بدأ النظر في الكون من حيث دقته وانسجامه ثم ارتداد ذلك النظر إلى عالم اللغة لربط هذه الأشياء بالألفاظ التي تحسُن في موقعها من الكلام للحصول على حسن استعارة أو مجاز يؤهل الأديب لمكانة بين من حوله؛ "إنّها دلالة براعة أن يتخطىّ المرء أشياء واضحة فيختار أشياء غيرها بعيدة المنال"[2]. وهذا الاختيار هو عين الاستعارة؛ وحقيقتها أنّها تجد تبريرا لها في حاجة الإنسان للجمال والفن؛ ممّا يضفي ألقا على الأسلوب ونضارة في الكلام .

لا ريب أنّ فتح المجال أمام الاستعارة والمجاز كليهما لاحتلال مكان لدى المبدع والمتلقي قد يفتح الباب أمام استعارات وتشبيهات ومجازات خالية من المعنى أو قد تخدش أو تكون غير مستساغة، وعلى هذا الاعتبار فهل يتمّ تجاوز الاستعارة أصلا أم تلطيفها للمحافظة على جماليتها؟

لا بد من الاعتراف بأن الصورة المجازية تكون أقوى فنيا من الصور الوصفية المباشرة، وهذا ما يفسّر سبب لجوء الشعراء كثيرا وخصوصا شعراء الرمز منهم للصور المجازية، ولكن لا يلزم ذلك أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية: "فقد تكون

1- ك ك رتقن: م س، ص 428.
2- ك ك رتقن: م ن، ص 435.

العبارات حقيقية الاستعمال وتكون مع ذلك دقيقة التصوير دالّة على خيال خصب"[1]، كما يمكن أن تتجاور الصور المجازية مع الحقيقة، وقد تكون العبارات مجازية الاستعمال مع وضع كلمة أو كلمات فيقوم السياق بتعيين المعنى المراد.

ما يستوقف في محاولة رصد لظاهرة المجاز في الأدب الغربي خصوصا هو تعدّد الفلسفات التي بنيت عليها المدارس والمذاهب الأدبية المتلاحقة، وبالتالي اصطبغت فلسفة الجمال الفني وتلونت بتعاقب هذه المدارس الواحدة تلو الأخرى. وقد كانت الأسئلة التي تشغل بال نقاد الأدب هي أيتعلق الجمال وتعبير الفنان عنه بالعقل وعملية الإدراك أم بالإحساس والعاطفة والذوق؟

للإجابة عن هذا السؤال فإنّ الفلسفة الجمالية والواقعية تختلف اختلافا كبيرا وبيّنا؛ وهذا الاختلاف أغنى النقد الأدبي بمجوعة كبيرة من الدراسات يمكن القول إنّها أغنت ساحة النقد الأدبي بطائفة من الإسهامات سعت إلى استكناه الظاهرة الأدبية التي بقيت مستعصية على الشرح والتفسير وفتحت المجال أمام المزيد من الاجتهادات والإضافات أثرت ساحة النقد الأدبي.

فقد يكون الأدب صورة لحياة كاتبه أو صورة لحياة المجتمع، وقد يكون الأدب تعبيرا عن هرب أو شوقا إلى مثالية يتنبّأ بها الأديب مثلما فعل الرومانتيكيون، وقد يكون الأدب تعبيرا عن قيم جديدة يتطلّع إليها الجمهور، وقد يجعل الأديب من الأدب وسيلة للتطهير؛ أي تطهير الكاتب لنفسه أو للآخرين.

ومهما يكن من أمر فإنّ الأديب يتوسل اللغة دوما في تعبيره؛ وبالتالي تكون ألفاظه وتراكيبه هي التي تحمل فكره وشعوره إلى الآخرين؛ "فلغته وعباراته خيالية تصويرية، تسكنها أرواح لا تحصى من المجازات والتشبيهات والاستعارات، وهي أرواح وأشباح لا تنبع في خياله من الهواء، وإنما تتراءى له رؤية في كل شيء"[2].

وباختلاف الأجناس الأدبية التي عرفها الإنسان اختلفت درجة استعانة الأديب بالصور والخيال في نظرته للكون سواء ما تعلّق منها بالتعبير عن المحسوسات أو المعنويات. وبالتالي فإنّ النتيجة المُتوصّل إليها تعتبر "المجاز" في رحاب النص الأدبي

1- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، لبنان، بيروت، دار الثقافة، 1973، ص457.
2- شوقي ضيف: في النقد الأدبي، مصر، القاهرة، دار المعارف، ط7، 1998، ص170.

مؤشرا قويا على حيوية العقل الإنساني وأيضا حيوية العاطفة الإنسانية؛ بما يثبت قدرة المجاز على تشكيل وجود الإنسان الواقعي والتصوري.

- المجاز في البلاغة:

يعتبر الاستعمال المجازي للغة قرين الاستعمال الحقيقي للغة، وهو استعمال فرضته عدة عوامل ومتغيرات تصدّى الدرس البلاغي العربي لدراستها في إطار علم البيان العربي الذي يحوز قدما راسخة في بنيان البيان يعود إلى حقب ضاربة جذورها في أعماق التاريخ بما كان للعرب من اهتمام بملكة البيان اللساني؛ حتىّ إنهم أنشأوا أسواقا للكلام يتبارون فيها الأشعار ويتجاذبونها في "مربد" و"عكاظ" وغيرهما. تشتمل هذه المنظومة البلاغية العربية على "الحقيقة والمجاز" الذي يثبت التطور الدلالي؛ "فتطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات يلمسها كل دارس لمرحلة نمو اللغة وأطوارها التاريخية"[1].

فأمّا مصطلح "المجاز " فقد ورد في التراث العربي ضمن حقول معرفية متعدّدة ارتبطت بمنظومة القرآن وتفسيره في بداياتها ثم انتقلت إلى غيرها من العلوم المجاورة كالبلاغة والمنطق.

"يعتبر كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت210ه) أقدم وأوسع محاولة لمدّ الجسور بين النص القرآني والعربية عبر النص الشعري وتقاليد القول العربي؛ ذلك الجسر الذي سُمّي المجاز"[2]. يعثر القارئ لكتاب "أبي عبيدة" على السبب الذي ألجأه إلى وضع هذا الكتاب؛ وهو ما يفسر الحاجة العلمية أو الفنية الداعية إلى ذلك. و قد ورد ذلك في فاتحة كتابه؛ حيث يقول:

"إنّما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فلم يحتــج السلف، ولا الذين أدركوا وحيه -صلى الله عليه وسلم- أن يسألوا عن معانيه لأنهم عرب الألسن فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معاينة عمّا فيه ممّا في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص، وفي

1- إبراهيم أنيس: م س، ص123.

2- محمد العمــري: البلاغة العربيــة – أصولهــا وامتداداتهـــا-، المغــرب، دار إفريقيا، ط1، 2001، ص92.

القرآن ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ومن الغريب والمعاني"[1]. غير أنّ ما يلفت الانتباه أنّ مصطلح "المجاز" يتداخل ويتقاطع مع مصطلحات أخرى عند أبي عبيدة منها: التفسير- المعاني- الغريب- التأويل؛ وبالتالي فإنّ "المجاز" كما سيتأسس لاحقا في ظل الدرس البلاغي لم يكن بنفس التمييز والتدقيق كما هو عند "أبي عبيدة" باعتباره رائدا من رواد البلاغة العربية.

إن أسبقية "أبي عبيدة" التاريخية هي التي تجعل من يأتي من بعده ينسج على منواله؛ وذلك مثل: "السكاكي" و "القزويني". ولكن حتى يُمكن تمييز الجوانب المتعلقة برصد تاريخ ظهور الدراسات المتعلقة بالمجاز؛ لتمييزها عن الجانب التأسيسي لنظرية بلاغية في "المجاز" يمكن أن يُعتمد على كتاب أبي عبيدة " مجاز القرآن "؛ من أجل تحقيق مصطلح " المجاز " لتنقيته عمّا يمكن أن يعلق به من الحقول الدلالية التي لا يمكنها أن تكون مستندا في إطار البحث عن دلالة " المجاز " في التراث.

ففي كتاب أبي عبيدة يمكن التمييز بين نوعين من المجازات :

- النوع الأول: مجازات لا تتعلق بالبحث الدلالي بصفة مباشرة؛ لأنّها تتعلّق باللغة العربية وبتطورها؛ كما تتعلّق أيضا بأثر اللهجات في مسيرة اللغة العربية منذ فترة ما قبل الإسلام؛ وصولا إلى الفترات الأولى للعصور الإسلامية وما شهدته من ظهور العلوم اللسانية العربية المستندة في الأصل إلى القرآن الكريم ومحاولات تفسيره وتأويله.

- النوع الثاني: "مجازات نصيّة أي أنها تدخل في نسيج النص و تسافر معه عبر تاريخه و تفسح المجال واسعا للمؤول. إنّها إشكالات ناتجة عن عمل في اللغة نفسها، في تركيبها الداخلي (النحوي و الدلالي) و في علاقتها بالعالم"[2].

لقد استوت البلاغة العربية على سوقها وبلغت أشدّها حينما صنّف علماء البلاغة العرب تصانيف تشهد لهم بالباع الطويل في ميدان البيان والتبيين، وعلى الأخص ما تعلّق "بالحقيقة و المجاز"؛ وربطوا ذلك كله بوروده في القرآن الكريم تحقيقا وتقديرا.

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن، تعليق محمد فؤاد سزكين، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1954، ص18.

2- محمد العمري: م س، ص104.

ولقد أنكر جمع من علماء اللغة الأقدمين وقوعه في القرآن ابتداء ثم سحبوا ذلك على اللغة؛ فأنكروا وقوعه في اللغة ككل. وشبهتهم أنّ المجاز أخو الكذب، والقرآن منزّه عنه، وأنّ المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا أعجزته الحقيقة فيستعير، وكلّ ذلك لا يجوز في حق الله، "وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن، فقد اتفق البلغاء على أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلوّ القرآن من المجاز وجب خلوّه من الحذف و التوكيد وتثنية القصص وغيرها"[1].

ولقد ألقت هذه الأفكار بظلالها على الدراسات البلاغية التي انقطعت لدراسة البلاغة وفنونها؛ والتأسيس بالتالي لفصلها عن سائر أنواع العلوم اللسانية في بدايات ظهورها وتشكّلها؛ وهو الشئ الذي دفع "عبد القاهر الجرجاني" إلى إفراد "المجاز" بالدرس والتحليل في كتابه "أسرار البلاغة". وهو بهذا الاعتبار؛ وبواسطة هذه الدراسة اعتبر مؤسّسا للبلاغة العربية؛ وتظهر بصمته الحقيقية في دراساته حول كل من: التشبيه، والتمثيل، والاستعارة، وعلاقة كل ذلك بالمجاز و الحقيقة كليهما. وأمّا تعريفه للمجاز، فيقول:"وأمّا المجاز فكلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الأول والثاني فهي مجاز. وإن شئت قلت: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"[2].

ما يُلاحظ من خلال هذا التعريف أنّ "الجرجاني " يعتبر وقوع المجاز في اللغة أمرا مفروغا منه ابتداء، ثم يبيّن أنّ وقوع المجاز إنّما مستنده أصل الوضع أي "الحقيقة"؛ فالحقيقة تكون أوّلا ثم يعرض لها المجاز فينقلها من أصلها إلى ما تدلّ عليه في رحاب الاستعمال المجازي الذي وصفه "الجرجاني" بأنه "متجوّز" أي تجاوز به المتكلّم من أصل الوضع إلى الدلالة المجازية المنقول إليها.

1- جلال الدين السيوطي:الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1967 ، الجزء 2، ص 109.

2- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد رشيد رضا، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1988، ص 304.

يتبيّن ممّا سبق مدى ما توصلت إليه البلاغة العربية منذ عصورها الأولى من التفات إلى مسائل البلاغة وأسرارها بما يثبت تكامل المنظومة البلاغية العربية وثراءها الدلالي.

- المجاز في علم الدلالة:

يدرس "علم الدلالة" المعنى اللغوي للكلمة المفردة أو الكلمات في مستوى الجملة، وهو يعتبر أحدث فروع الدراسة اللسانية بالقياس إلى العلمين الآخرين وهما: "علم الأصوات ووظائفها" و"علم التراكيب اللغوية أي النحو". وتعتبر دراسة دلالات كلمات اللغة وجملها معبرا هامّا يمكّن من استجلاء نظام اللغة الإنسانية بوسائل علمية وموضوعية.

"إنّ علم الدلالة كمبحث من المباحث اللغوية حسب ماهية اللسانيات، يهتمّ بحلقة من حلقات علم اللسان البشري، هذه الحلقة تكمن في المظهر الإبلاغي وما يتعلّق به، فالرسالة الابلاغية هي التي تضطلع بنقل دلالة الخطاب إلى المتلقي بحيث يتمّ في الحالات العادية استيعابها استيعابا كافيا"[1].

يظهر من خلال هذا التعريف أنّ هذا الفرع من البحث العلمي يتميّز باشتغاله على الكلمات ومعانيها ودلالاتها. وهذا يظهر أنّ موضوع علم الدلالة هو الكلمة من حيث معناها؛ لأنّ الكلمة تعتبر من أهم الوحدات اللسانية الحاملة للدلالة والمستعملة في التواصل. فهي تشكلّ أهم مستوى لساني من ضمن المستويات اللسانية؛ فإذا ما وضع في الاعتبار أنّ الجملة اللغوية السليمة نحويّا هي أكبر وحدة دلالية تستعمل في التواصل؛ فإنّ الكلمة أو اللفظة هي وحدة لسانية دلالية لا يمكن بناء الوحدة الدلالية الكبرى بدونها. كما أنّها تدخل في بناء الجملة والجمل المتتابعة؛ وبالتالي تدخل في بناء النص في كليته وشموليته.

1- منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، سوريا، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001 ، ص 20.

وما يهمّ من علم الدلالة إلى جانب الموضوع الذي يدرسه هو مباحثه التي يتناولها ممّا يكون له حتما ارتباط بموضوعه العام. وهذه المباحث الدلالية هي: التطور الدلالي، العلاقات الدلالية، الحقول الدلالية، الحقيقة و المجاز.

ومن المباحث الهامّة في إطار هذا العلم المبحث المتعلّق" بالحقيقة والمجاز"؛ حيث إنّ هذا المبحث يظهر ارتباط استعمال اللغة إمّا باستعمالها فيما وضعت له أصلا؛ أو بالانحراف بها عن أصل الوضع إلى استعمال دلالات يقصدها المتكلم استجابة لدواع نفسية أو اجتماعية أو سلوكية أو حضارية، كما يرتبط هذا المبحث أيضا بدراسة المعنى من خلال التغيّر الدلالي الذي يصيبها. وعلى هذا الأساس استنبط علماء اللغة قوانين تنطبق على الكلمات وما يصيبها من تطور دلالي خلال الاستعمال في فترات زمنية مختلفة. "فاستعمال اللغة يقتضي تصريفا مزدوجا للألفاظ بين دلالة بالوضع الأول وهي الدلالة الحقيقية ودلالة بالوضع الطارئ وهي الدلالة المجازية التي تعتبر دلالة منقولة ومُحوّلة"[1].

وهذا الانتقال الذي يعتري وحدات اللغة فينقل دلالاتها ويحوّلها يتقاطع من حيث المحتوى المعرفي مع الدراسة الدلالية التي تهتم برصد قوانين التغير الدلالي؛ ويتمثل هذا التغير في قوانين ثلاثة هي :

1- تخصيص الدلالة .

2- تعميم الدلالة .

3- نقل الدلالة .

وممّا يرتبط أشد الارتباط بهذه الدراسة هو العنصر الثالث أي نقل الدلالة، فهذا الانتقال الذي يصيب دلالة الكلمة إنّما يخرجها من دلالتها الأولى المتداولة و المعروفة أصلا لكي تصبّ في دلالة جديدة. وقد قام العلماء بدراسة هذا النوع من الانتقال الدلالي الذي يجري عادة بين الكلمات، ولاحظوا أنّ هذا الانتقال لا يحدث بطريقة عشوائية، وإنّما يخضع بعد الفحص والتمحيص إلى وجود علاقة دلالية تربط بين المعنى الأول والمعنى الجديد، وتتمّ غالبا هذه الانتقالات بين كلمات تربط بينها وبين معناها علاقة

1- عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، تونس، المطبعة العربية، 1986، ص 96.

دلالية معينة كأسماء الألوان وأعضاء الجسم وأسماء الحواس. وقد ميّز اللغويون بين نوعين من انتقال معنى كلمة إلى معنى آخر على أساس العلاقة التي تربط بينهما أي المعنيين، وهاتان العلاقتان هما :

1- انتقال مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين المدلولين؛ وهو ما يطلق عليه في عرف البلاغة "الاستعارة".

2- انتقال مجال الدلالة لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين، وهو ما يطلق عليه "المجاز"، و"المجاز المرسل". واستعمال الكلمة بالمعنى الجديد على سبيل المجاز لا يلبث مع كثرة الاستعمال أن ينتشر بين الناس، وتتحول الدلالة المجازية إلى حقيقية.

وقد أثبت اللغويون ملاحظاتهم بأنّ تغيّر الدلالات غالبا ما يتمّ من خلال نقل الدلالات من طابعها الحسي إلى طابع الدلالات المعنوية فتصبح مجازية؛ والمسافة بين المعنى الحقيقي (الحسي) والمعنى المجازي (المعنوي) تمثّل رحلة تغيّر الكلمة من الحقيقة إلى المجاز. وهذا ما يظهر قيمة بحث المجاز في رحاب البحث الدلالي، ويبيّن السبب الذي جعل علماء الدلالة يفردونه بدراسات متخصصة تبحث في إطاره بحثا مستفيضا يتناول تارة مبحث "الحقيقة والمجاز"؛ وتارة مبحث "التغير والتطور الدلاليين".

ولذلك فالمجاز:" يعدّ مبحثا خصبا لعلم الدلالة، إذ فيه تتجلّى مرونة النظام اللغوي وانفتاحه على كل تغيّر للمعنى، وهو يؤكد من جانب آخر على مطاوعة اللغة لأساليب التعبير التي يفرضها الموقف ويتمّ في صلب النظام اللغوي استحداث أنظمة إبلاغية جديدة تحافظ على نقل الرسالة الإبلاغية، وهي غاية ما يرمي إليه أي نظام لغوي"[1].

وهذا ما يبيّن قيمة الإشكاليات التي يطرحها تناول مسألة المجاز و على الأخص جانب ترجمته إلى لغات أخرى؛ وهذا النقل بواسطة الترجمة هو في حدّ ذاته نقل لكلمات اللغة الواحدة أي اللغة الأصل إلى لغة أخرى أي اللغة الهدف. ومادام أنّ المجازات يشيع استعمالها في ثنايا نسيج نص أدبي؛ فإنّ الترجمة الأدبية تصبح ملزمة

1- منقور عبد الجليل: م س، ص 75.

بالبحث في كيفيات انتقال الدلالات المجازية إلى اللغات الأخرى بواسطة الترجمة؛ وترصّد سبل هذا الانتقال من منظور تحققه أو فشله في الإبقاء على الصور المجازية الأصلية أو تحويلها وتحويرها بما يعمل على تشويهها أو تجاوزها لصالح استعمالات لغوية حقيقية أو مجازية.

– المجاز في الترجمة الأدبية:

ممّا لا شك فيه أنّ التواصل اللساني يعتبر أرقى أنواع الاتصال الإنساني؛ حتىّ وإن شهد العصر الحاضر حضورا قويا لأنواع أخرى منها الصورة والصوت والإشارة بشتى أنواعها الرمزية والدلالية.

ومع ذلك فلا تزال اللغة الإنسانية قطب الرحى في سلسلة التواصل الإنساني. وعلى هذا الأساس جعل "رولان بارت" السيميولوجيا جزءا من اللسانيات و ليس العكس كما كان الحال عند "دي سوسير"[1] .

إذن لتحقيق التواصل اللساني بكلّ فعالية وأمانة لجأ الإنسان لضرورات التقارب والتعايش إلى ترجمة هذا الفعل الإنساني المتمثل في اللغة. غير أنّه أثناء هذا النقل تختفي بعض الدلالات؛ وتظهر دلالات أخرى بسبب الاختلاف الكائن بين النظامين اللسانيين. ولدراسة فعالية هذا النقل وتحققه الفعلي تدلي نظرية الترجمة بدلوها في هذا المجال بالاستناد إلى محاولة استثمار الإسهامات اللسانية وتطبيقها على دراسات الترجمة. وذلك من منظور أنّ الترجمة عملية متعددة الجوانب –لا شك في ذلك–؛ ولكنّها في عمقها وأساسها عملية لسانية، لأنّها تتعامل أول ما تتعامل مع آليات اللغة ووحداتها وأنساقها، فلا يمكن بالتالي تجاوز هذه الأنظمة اللسانية أو إغفال قيمتها ووضعها على الهامش.

فاللغة بمستوياتها اللسانية الصوتية والصرفية والتركيبية والنصيّة تتآزر فيما بينها لتحقق المستوى الدلالي، ولذلك فإنّ تحقق الدلالة من خلال النظام اللساني هو

1– ميجان الرويلي سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص107.

غاية ما تطمح إليه نظرية التواصل اللساني وهنا تلتقي الترجمة في اشتغالها على الدلالة مع التواصل اللساني.

ومثلما سبق بيانه فإنّ وجود الدلالات الحقيقية والمجازية في اللغة الواحدة ينتج عنه بعد إجراء الترجمة دلالات حقيقية ودلالات مجازية، ولكن في نسيج النص المترجم. غير أنّ الإجراءات تختلف الواحدة عن الأخرى، ممّا ينتج عنه نوعين من الترجمة أيضا؛ وهما الترجمة الحرفية والترجمة المجازية. والترجمة المجازية تكون أليق وألصق بالنصوص الأدبية، لأنّ هذا النوع من الترجمة يتعامل مع الصور والمفاهيم الواردة في النص الأدبي تعاملا خلاّقا يخرج بها عن مجرد الوضع والاستعمال إلى تلمُّس أفانين القول وروائعه. وهذا ما يفرض التركيز على هذا النوع من الترجمة ودراسته في ضوء النظريات اللسانية الأكثر جدة و حداثة.

ولذلك فإنّ أساس العمل في الترجمة هو على اللغة بوصفها نظاما من الإشارات والرموز، ولكن تبرز أثناء الدراسة مجموعة من العوائق تتعلّق بأنساق اللغة ذاتها بوجه عام؛ وبأنماط النصوص الأدبية التي تخضع للترجمة في حالة الترجمة الأدبية: "فكل ترجمة –أي الترجمة الأدبية– من هذا النوع تنطوي بالضرورة على خسارة شكلية أو مضمونية، أو على الخسارتين معا. وكلّما كان العمل الأدبي عظيما كلّما كان عصيّا على الترجمة. أمّا التعادل أو التكافؤ المطلق في الترجمة الأدبية فهو أمر مستحيل التحقيق، ولذا أخذ علماء الترجمة يستعيضون عنه بمفهوم التعادل الديناميكي أو النسبي، بل إنّ بعضهم استبدل مفهوم التعادل بمفهوم التقارب"[1].

وتبرز هذه الصعوبة جليّة في مجال الترجمة المجازية؛ لأنّها تتعلــق أساسا بنقــل غير حــرفي للمعاني والدلالات؛ كما أنّ الاستناد إلى "عــلم الــدلالة اللساني" "La sémantique linguistique"، يصبّ في إطار وضع إشكالية الترجمة المجازية في مجالها الصحيح، و هو إطار التعبير اللساني.

وقد كان لهذا الاحتكاك الحديث بين اللسانيات والترجمة نتائج بارزة تمثلت في صرامة القواعد التي توصّلت إليها اللسانيات والتي أصبحت مسلمات علمية راسخة؛

1– عبده عبود: هجرة النصوص، سوريا، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1995، ص 60.

ممّا يُمكّن اللسانيين والمترجمين من التآزر والتساند لتحقيق ترجمة مجازية "ناجحة". وإنّما يتمّ ذلك بالابتعاد قدر الإمكان عن النقل الحرفي للنصوص؛ لأنّ اعتماد الحرفية لنقل صور مجازية في لغة أخرى يصيب هذه الصور بالتشويه والبتر، ويُبتعد بالتالي عن روح الدلالة في أصلها؛ وربما أحدثت من سوء الفهم لدى اللغة المصدر ما يخرج بها عن دلالتها الأصلية إلى ما لا يقصده لا المترجم ولا صاحب النص نفسه؛ وذلك لأنّ عمليّة الترجمة معقدة تتجاذبها عدة عوامل تتآزر فيما بينها لتحقيق المعنى والدلالة، فهناك الجانب اللغوي البحت، وهناك الجانب الثقافي الحضاري، وهناك المجال التداولي التواصلي.

ومع ذلك فإنّ قطب الرحى الذي تدور حوله عملية الترجمة هو "المعنى" أي كيفية نقل المعنى من لغة لأخرى بدون خيانة أو تشويه. غير أنّ الدراسات التي جاءت لتثري نظريات الترجمة أدلت بدلوها في هذا المجال، وكان من ثمرة هذا الدرس الترجمي كمّ من النظريات والمفاهيم إلى جانب ثروة من المصطلحات العلمية التي تُلفى حاضرة بقوة في كتابات المنظّرين للترجمة وأصولها.

لقد شهدت اللسانيات تطورات كبيرة وخطيرة في نفس الوقت بدءا من أعمال "دي سوسير" إلى مدارس اللسانيات التي خرجت من بوتقة الفكر السوسيري ممثّلة في أعمال كل من: "حلقة براغ"، و"حلقة كوبنهاغن"، و"المدرسة الوظيفية"، و"المدرسة التوزيعية"؛ وانتهاء بالتطور النّوعي في مجال "النحو التوليدي والتحويلي" عند نعوم تشومسكي[1].

كما شهد البحث اللساني تطورا بارزا نقل اللسانيات من مستوى التركيب اللساني على مستوى الجملة إلى مستوى أكبر هو مستوى الوحدات النصية. وكان لهذا التطور على المستوى اللساني أثره في نظرية الترجمة التي ما فتئت تستجيب لكل تطور يحصل في اللسانيات لتقوم بتطبيق وتطعيم الترجمة به لإكسابها مزيدا من الوفرة والثراء. ويظهر هذا التطور في الانفلات من أسر معاني الكلمات والجمل والاتجاه

1- ينظر جورج مونان: علم اللغة في القرن العشرين، تر نجيب الغزاوي، سوريا، دمشق، مطابع مؤسسة الوحدة، ط1، 1982.

صوب معاني النص. وهذه النقلة النوعية للسانيات فتحت المجال لاستثمارات متعددة في عالم ترجمة النصوص بمختلف أشكالها و أنماطها.

"ينبغي على عالم الترجمة أن يكون عالم معنى قبل أي شيء آخر. ولكن ما نعني بعالم المعنى عالم بمعنى النص. وليس مجرد عالم بمعاني الكلمات والتراكيب والجمل. إنّ المفهوم الأساسي للمعنى في الترجمة هو المعنى النصي"[1].

في مجال الترجمة المجازية يُستهدف المعنى النصي ولكن ليس أي معنى نصي إنّه معنى مشحون بصور وأشكال من الرؤى والمفاهيم الجمالية الخاصة التي يتميّز بها أديب عن آخر. وعلى هذا الأساس تكون الترجمة المجازية هي حاملة أدب أمة ما إلى أمم أخرى. ولا يكون هذا النقل إلا بدراسة الصور المجازية وورودها في النص الأصلي ثمّ تحقق نفس هذه الصورة أو ما يضارعها في النص الهدف.

« Les connotations sont partout dans le langage. Certes le lien privilégie de leur déploiement, c'est le discours littéraire, et décrire un texte littéraire, c'est essentiellement dépister les réseaux connotatifs qui le traversent et le structurent, mais elles investissent même le discours scientifique »[2] .

"المجازات موجودة في كل كلام. حقيقة، فإنّ رابط وجودها المميز هو الخطاب الأدبي، ووصف نص أدبي ما هو بالأساس فرز للشبكات المجازية التي تعبره وتهيكله، والتي تتوارد حتى في الخطاب العلمي".

فكيف التعامل مع هذه الصور والأفكار والأخيلة التي لا تخلو لغة أمة من أمم الأرض منها. فلكل لغة عبقريتها ورؤيتها الخاصة للعالم والحياة والأحياء؛ وفي كثير من الأحيان حينما يروم مترجم تقديم ترجمة لصورة مجازية قد يكون ذلك مثارا للاستغراب وربما للاستهجان. فإذا ما حاول ترجمة الجملة العربية التالية: " تواصلت أشغال المؤتمر على قدم وساق " إلى اللغة الفرنسية مثلا: Les travaux du congrès se poursuivent sur jambe et pied .

1- روجر بيل: الترجمة وعملياتها، ترجمة محي الدين حميدي، السعودية، مكتبة العبيكان، ط1، 2001، ص177.

2 -Catherine Kerbrat : La connotation, France, Lyon, Presses universitaires, 1977, P199.

لكان الناتج من الترجمة صورة غير مستساغة في الثقافة الفرنسية، وهذا يحرم المتلقي من نواح بلاغية هي مدار عدول القائل في جملته هذه عن الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية: "إنّ الآداب تعتمد على التصوير والعاطفة والتأثير والانفعال إلى جانب ما يمكن أن تشتمل عليه من أفكار. ولا يكون الأدب أدبا إلا بخروج الكلمات عن دلالتها اللغوية وشحنها بفيض من الصور والأخيلة. ومترجم الأدب لا يقنع أبدا إلا بترجمة أدبية تبرز نواحي الجمال في النص المترجم كي يتذوق القارئ أكبر قدر ممكن من جمال النص الأصلي ويبقي على عناصر المهارة فيه"[1].

فإذا كان هناك سعي نحو فهم دقيق وصائب لعملية الترجمة فإنّ تمييز الحقيقة من المجاز في النص يبدو أمرا بالغ الأهمية حتى يُجنّب المترجم نفسه العثار والزلل ويضع الأمور في مواضعها؛ ولذلك فهذا التمييز يبدو ضروريا من أجل تبين سبيل التعامل مع النصوص.

ومسألة التمييز بين "الحقيقة والمجاز" مسألة ليست حديثة في الفكر الإنساني برمته لأنّ لهذه المسألة الدلالية أصل عميق في التاريخ، حتى إنّ العالم اللغوي العربي "ابن جني" يقرر أنّ: "هذه اللغة أكثرها جار على المجاز، وقلّما يخرج الشيء منها على الحقيقة"[2].

فكلمات اللغة وألفاظها وإن استعملت للتداول بين الناس إلا أنّها تحمل معاني مخصوصة ومحدودة؛ كما أنّ الواقع اللغوي يظهر حيوية الألفاظ وبالتالي يعتريها التطور والتغير. ومنه فإنّ علماء الدلالة أفردوا بحوثا تصبّ في هذا الإطار فيما يتعلق بأعراض التطور الدلالي ومظاهره. وهذا التطور والتغير يجعل الحقيقة والمجاز تتبادلان الأدوار فيما بينهما فتأخذ الحقيقة مكان المجاز والمجاز مكان الحقيقة، ومن الأمثلة على ذلك ألفاظ كالصلاة والزكاة والصيام والحج فإن حقيقتها على التوالي قبل الإسلام: الدعاء والنماء والكف والقصد.

ولكن لمّا جاء الإسلام تغيّرت معانيها فأصبحت حقيقتها هي الشعائر التي يُطالب المسلم بأدائها، ويمكن قياس كثير من ألفاظ اللغة على ذلك. فقد تتغير المصطلحات التي

1- إبراهيم أنيس: م س، ص174.

2- ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، مصر، القاهرة، المكتبة العلمية، ج 1، ص305.

تتناول هذا المبحث الدلالي إلا أنّها تتفق في دراسة الدلالة في حدّ ذاتها ومدى تحققها في القول والكلام وبالتالي في نظام اللغة.

إنّ مصطلحيْ "الحقيقة والمجاز" قد يُعبّر عنه في الكتابات المتأخرة بالدلالة المركزية وبالدلالة الهامشية تارة، وبالتعيين والتضمين تارة أخرى، وقد يُعبّر عنه بالإيحاء" أو "بظلال الدلالة". وما يهمّ في مجال الترجمة المجازية أنّ القدرة الإيحائية للفن من خلال عباراته وتراكيبه وألفاظه هي ميدان اشتغال المترجم لتحقيق ترجمة مجازية مقبولة، ولذلك كان الأسلوب الأدبي هو الذي يبرز هذه الطاقة في اللغة، "ويعدّ الأدب بنوعيه الشعري والنثري تربة خصبة لاستغلال الدلالات الهامشية (وهي ظلال المعاني) لغرض تحقيق المتعة الفنية في الفن الأدبي، والتأثير في المخاطبين وإشراكهم وجدانيا في الترجمة الشعورية ويتفاوت الأثر الوجداني الذي يحسّ به المتلقون باختلاف درجة اكتناز النص المقروء أو المسموع بالإيحاءات العاطفية"[1].

وخلاصة القول إنّ حضور الدلالات المجازية يعتبر حضورا لافتا وبارزا، ممّا يستدعي إفراده بالدرس والتحليل لأهمّيته القصوى في مسار التخاطب الإنساني، ومثلما هو مُبيّن فإنّ كثرة المصطلحات المقترحة من قبل الباحثين لهذا النوع من الدلالات يجعل الاكتفاء بإيراد أكثرها شيوعا وانتشارا وهما مصطلحا "الحقيقة والمجاز"، كما أنّ التطورات المتلاحقة للفكر اللساني المعاصر يبرّر اعتماد أسس المنهج اللساني في تحليل ظاهرة النقل الدلالي للمجازات في ثنايا النصوص الأدبية المعدة للترجمة.

1- جمال محمد جابر، منهجية الترجمة الأدبية، الإمارات العربية المتحدة، العين، دار الكتاب الجامعي، ط1، 2005 ، ص20.

الفـــصل الثاني

الدراســـــة اللسانيـــة للترجمـــة المجازيـــة

المبحث الأول: – النظريـــة التوليديـــة التحويليـــة

– مبدأ الكليات اللسانية في المدرسة التحويلية:

– علاقـــة الكليـــات بالترجمـــة:

المبحث الثاني: – المنهج التوليدي

– المكون الدلالي في اللسانيات التوليديـــة التحويليـــة

المبحث الثالث: – المنظور اللساني للترجمة المجازية :

– خصائص الدلالات المجازية

– القيمة المجازية للملفوظ اللساني

المبحث الأول: النظريـــة التوليديـــة التحويليـــة:

تتبوّأ هذه النظرية مكانا متميّزا في الدراسات اللسانية المعاصرة وذلك لجدّتها وللجهد الذي بذله رائدها " تشومسكي" في محاولة إماطة اللثام عن القواعد العالمية التي تنتظم اللغات؛ إذ إنّ النظرية التوليدية التحويلية تعتبر ثورة ثانية في صلب الدراسة اللسانية المعاصرة. ففي الوقت الذي اعتُبرت فيه جهود "دي سوسير" ثورة في التفكير اللغوي وفي النظر إلى اللغة، فإنّ عمل "تشـــومسكي" هـــو أيضا ثـــورة في اللســـانيات ذاتها. ويتأكّد دوره الريادي في محاولته البحـــث عن القواعـــد العالمية الكلية "universal grammar" التي تنتظم اللغات كلّها إن وجدت؛ بل و أكثر من ذلك حاولت هذه النظرية أن تثبت إمكانية النفاذ من خلال دراسة النظام اللغوي إلى دراسة ومعرفة طبيعة العقل البشري ذاته. وهي القضايا التي تقود إلى التساؤل عن أصل الإنسان واللسان معا، لأنّ الوجود البشري ملتحم باللغة، وليس ثمة إنسان مجرد من هذه المَلَكة فهو يقطع سنوات من عمره في سبيل اكتسابها؛ فإذا اكتسبها أصبحت المصاحب الدائم لجميع مظاهر السلوك الإنساني.

تُمثّل اللغة وسيلة التواصل الاجتماعي التي تيسّر للإنسان القدرة على الاندماج الاجتماعي وتمنحه إمكانية التكيف مع متطلبات بيئته وواقعه. وهذا لا يتعلّق فقط بقدرة الإنسان على اكتساب لغته الأمّ بل بما يمكن للإنسان أن يتعلّمه من لغات أخرى؛ إذ كلما ازدادت قدرة الإنسان على اكتساب لغة ثانية كلما زادت قدرته على الاندماج الاجتماعي لم تكن من قبل: "لا تستخدم اللغة لمجرد الإشارة إلى حالات شعورية أو ادعاءات أرضية بل لتشكيل عقول بعضهم بعضا. فاللغة جهاز مهندَس بإتقان لوصف الأماكن و الناس و الأشياء الأخرى و الأحداث و حتى الأفكار والمشاعر"[1].

ولذلك لا ينفك الوجود الإنساني متمثلا إلا في رحاب لغة تعين الإنسان على الإبانة والإفصاح وتيّسر له سبل التواصل وآلياته وتحقق إنسانيته ومفارقته للأجناس الأخرى بواسطة اللغة. كما يضاف إلى هذه الأبعاد كلّها أبعاد أخرى لا تقل أهمية عنها؛ وهي الأبعاد البيولوجية والنفسية والثقافية والتي تؤكّد تميّز الجنس الإنساني وتساميه

1- مايكل كورباليس: نشأة اللغة، ترجمة محمود ماجد عمر، الكويت، عالم المعرفة، ط1، 2006، ص 16.

على بقية الأجناس بواسطة اللغة؛ فقد أوتيها الإنسان وحُرمت منها أنواع الموجودات الأخرى. كما أنّ قدرة الإنسان على ممارسة اللغة لا تتعلّق باللغة الواحدة فقط؛ بل إنّ قدرته تتعدّى ذلك إلى قدرته على تعلّم أكثر من لغة واحدة إلى لغات متعددة. وهي القدرة التي تجعل مشروعية الاحتكام إلى وجود الترجمة وتحققها في عالم الأشخاص مبررة ومشروعة، وذلك باعتبارها وسيلة من وسائل الاتصال الإنسانية المتميزة.

ولقد بيّنت تجربة الإنسان مع اللغة سهولة الانتقال بين اللغات لدى البعض وافتقادها لدى البعض الآخر؛ وبذلك تجد الترجمة بين اللغات فسحة للبروز والظهور بما يحقق مشروعيتها الواقعية.

وفي خضمّ هذه التساؤلات الكثيرة التي تفرضها طبيعة اللغة وقيمتها فإنّ فحص موقع الترجمة كنشاط لغوي إنساني من هذه النظرية يجد مشروعيته في الاتجاه صوب الجانب الدلالي أي انتقال الدلالات وخصوصا المجازية منها التي تُميّز النشاط اللساني عن بقية أنواع العلامات المستعملة داخل المجتمع.

وبالتالي فإنّ الوسيلة المعتمدة نحو استكناه عالم الترجمة هو الآلية اللسانية ممثلة في "النظرية التوليدية التحويلية" عند "نعوم تشومسكي"؛ الذي دشنت نظريته عهدا جديدا في الفكر اللساني المعاصر يأخذ في الحسبان تشعب الظاهرة اللسانية وعدم اقتصارها على النظام النحوي لوحده، بل يشرك المظاهر النفسية والذهنية في العملية اللغوية. وبهذه الأفكار يكون تشومسكي فتح المجال أمام أفكار لسانية متعدّدة استطاعت أن تدفع البحث اللساني أشواطا متقدمة ومعتبرة، بحيث يعتبر "النحو التحويلي هو أفضل نظرية لسانية ظهرت حتى الآن لوصف تركيب اللغة الإنسانية وتفسيرها بطـــريقة منهجية Systematic ؛ ومعنى هذا أيضا أنّ معرفة النحو التحويلي وفهمه يعدّ ضرورة أساسية لأيّ فيلسوف أو عالم نفس أو عالم أحياء يرغب في دراسة القدرة اللغوية"[1].

ومن بين أهمّ الأفكار في إطار هذه النظرية هو اعتبار أنّ أفضل وسيلة للنفاذ إلى فهم عمل الفكر هو فهم عمل اللغة. وأنّه ليس بالإمكان فهم كيفية تعامل دماغنا مع المعلومات بدون فهم كيفية عمل اللغة. وفهم كيفية تعامل الإنسان مع اللغة و معطيات

1- جون ليونز : نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة حلمي خليل، مصر، القاهرة، دار المعرفة ، 1995، ص 32.

الدماغ يؤدي إلى التساؤل عن علاقة اللسانيات بالترجمة لأنّ عمل الترجمة هو عمل عقلي واع. وهذا الموضوع لا يزال يشغل الباحثين بمختلف توجهاتهم ومشاربهم الفكرية والفلسفية، حيث يعتبر "جورج مونان" من أشهر المنظّرين للعمل الترجمي ويعتبر أيضا من الفئة التي تؤيد ارتباط اللسانيات بالترجمة، يقول "جورج مونان" :

"حقيقة، إنّ اللسانيات الأمريكية هي الأولى التي تحقق الاحتكاك بين اللسانيات والترجمة على المستوى النظري وتوضح خاصة المشاكل كأمثلة أمريكية وإفريقية كثيرة ومتنوعة التي تبرز بصورة جيدة العائق الناشئ عن الاختلافات بين الحضارات"[1].

ما يهمُّ في خضم هذه التساؤلات الكثيرة التي تفرضها طبيعة اللغة وبنيتها ونظامها هو محاولة فحص موقع الترجمة كنشاط لغوي إنساني انطلاقا من النظرية التوليدية التحويلية، وعلى الأخص ما تعلّق بجانبها الدلالي أي انتقال الدلالات وخصوصا الدلالات المجازية والاستعارية. وبالتالي فإنّ هذه الوسيلة اللسانية المتوفرة تهدف إلى محاولة دراسة تحقُّق الترجمة بالاحتكام إلى هذا الإطار اللساني الذي يُوفّر للدارس الأساس الذي بإمكانه تفسير هذه الأبعاد كلها، ويجعل استكناه عالم الترجمة مبنيا على أساس من الآلية اللسانية ممثلة في النظرية التوليدية التحويلية عند "نعوم تشومسكي"، كما تقصد أيضا إلى التدليل على قيمة هذه النظرية اللسانية في تناول هذه الدراسة لها والاستناد إليها لدراسة قضايا اللسانيات والترجمة.

ظهر كتاب "نعوم تشومسكي" الموسوم "البُنى التركيبية" structures « syntaxiques » سنة 1957. وبواسطته مهّد السبيل أمام المدارس اللسانية أن تظهر وتتطور مستفيدة من الأفكار التي طرحها "تشومسكي" بداية من أواخر الخمسينيات إلى أوائل الثمانينيات بما يشكّل دفعا قويا للنظرية اللسانية في أطرها النظرية والمنهجية معا. وقد توالت كتبه بعد ذلك تصبّ معظمها في إطار عرض النظرية التوليدية التحويلية؛ وهي النظرية التي مرّت عبر أطوار من المراجعة المستمرة.

1- جورج مونان: اللسانيات والترجمة، ترجمة حسين بن زروق، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1996، ص 06.

كما أنّها استفادت من الحقــول المعــرفية التي بإمكانها إمداد الدرس اللساني بعــدّة نظرية صلبة تكون قادرة على" تفسيــر" القــول اللســاني وليس مجــرد الوصــف فقــط مثــلما شــاع في أبجــديات اللسانيات الأوروبيــة المعتمــدة على أفكــار "دي ســوسير". وممّا يلفــت النظــر في هــذه النظــرية اللسانية هــو مشروعها الطموح الذي انبرت لتحقيقه في إطار التوليد والتحويل مثلما يدل على ذلك اسمها "la théorie générative et transformationnelle".

كما تمتاز هذه النظرية بالاتجاه نحو محاولة تفسير المقدرة اللغوية الكامنة لدى كلّ فرد و التي تمكّنه من التعامل مع التراكيب النحوية بطريقة إبداعية؛ و هي المقدرة التي تجعل كل إنسان قادرا على تمثُّل أي نظام نحوي مهما بلغت درجة تعقيده، ممّا يضفي طابع الشمولية على هذه النظرية ويجعلها قادرة على تفسير النظام النحوي. هذا النظام الذي يعني "استعمال العلاقات التحويلية المشكَّلة في صورة قواعد "Rules ووصف الفروق بين جمل لها أنماط مختلفة موضحة بأمثلة من الانجليزية ولكنّها قابلة في الأساس للتطبيق على كل اللغات"[1].

فاستعمال سلسلة التحويلات و التوليدات في اللغة يُمكّن من فهم القواعد الكليّة التي تنظم اللغات جميعها، هذه القواعد الكلية التي يعتقد "نعوم تشومسكي" بوجودها ويدافع عنها بوحي من الإطار الفكري الفلسفي الذي تشبّع به وهو إطار الفلسفة العقلانية؛ التي ترى أنّ العقل مصدر كل معرفة، وبالتالي فهناك قضايا قَبلية يولد الإنسان وهو مزوّد بها. كما تأثر أيضا تشومسكي" برومان جاكبسون" وخصوصا بفكرته حول الكليات الصوتية الوظيفية أي المشتركة بين الإنسانية كلها. فهو يرى أنّ "الأبنية الصوتية المختلفة الموجودة في لغات العالم ما هي إلا مجرد تنوعات ظاهرية تخضع لنظام أساسي عام"[2].

وبذلك يكون "تشومسكي" قد أبرز قيمة الدراسة اللسانية في التحام مستوياتها المكوّنة لها والتي لا تسعى إلى إغفال أي مستوى لساني على حساب آخر، فكما يُلاحظ اهتمام "تشومسكي" بالجانب الصوتي الفونولوجي وذلك لدور هذا الجانب في تنظيم

1- ر. ه.روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر أحمد عوض، الكويت، عالم المعرفة، 1997، ص 337.
2- أحمد مختار عمر: محاضرات في علم اللغة الحديث، لبنان، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1995، ص 161.

عملية إنتاج الكلام البشري مع إيلاء جانب النظم النحوي حصة الأسد واعتباره قطب الرحى الذي يسخّر المستويات اللسانية الأخرى لخدمته.

إلى جانب ذلك اعتبر "تشومسكي" المادة اللسانية –وهي اللغة– بمختلف وحداتها وسيلة من الوسائل التي يمكن اعتمادها لمعرفة كيفية اشتغال العقل البشري. فهذه النظرية التوليدية التحويلية أسهمت في إماطة اللثام عن كثير من القضايا اللسانية التي كانت قيد البحث والدراسة اللسانية. ومن ضمن هذه الأفكار فكرة "الكليات اللسانية"؛ والتي مكّنت العلماء من الاستفادة منها في تعميق الدراسة اللسانية. كما تكشف جهود "تشومسكي" أيضا عن عمق التحولات الفكرية والفلسفية الحاصلة في العالم وخصوصا في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، وبداية أُفُول نجم الدراسة اللسانية البنيوية لصالح أفكار جديدة تماما.

– مبدأ الكليات اللسانية في المدرسة التحويلية:

سعى "تشومسكي" من خلال أبحاثه إلى بناء نظرية لسانية صلبة قادرة على اكتشاف القواسم المشتركة بين الأنظمة النحوية، وهو الجهد الذي حاول أن يصرفه نحو البحث عن "الكليات اللغوية". ومُلخّصها أنّ اللغات الإنسانية يشبه بعضها بعضا في البنية الأساسية إلى حدّ التماثل والتطابق، فالطبيعة الرمزية للّغة تبين أنّ اختلاف أنماط اللغات على مستوى الشكل والأداء كليهما إنّما هو دليل على انتظام هذه الرموز في عالم تصوّري مُطابق لعالم واقعي. وآلية هذا الانتظام تظهر على مستوى النحو وقواعده والتي بإمكانها وصف معطيات اللغة الطبيعية. وبالتالي يتوجّه البحث اللساني نحو وجهة تأخذ بالحسبان إمكانية وجود هذه القواعد ثم رَصْفها وتفسيرها لتبسيطها وتيسيرها.

وهذا ما حدا بالباحثين إلى التوجه صوب البحث في هذه الكليات اللسانية التي يمثّل الوصول إلى الكشف عنها واكتشافها خطوة مهمة نحو فهم وظيفة اللسان واكتشاف النحو الكلي الكوني الممثل للحالة الفطرية الأولى للكائن البشري؛ مادام أنّ إثبات وجود هذه الطبيعة المشتركة بين البشر يؤدّي إلى الإعلان بأنّ الطبيعة اللغوية واحدة عند الناس جميعا.

« The job of linguistics is to establish the universal design. Characteristics which define human languages"[1]

"إنّ مهمة اللسانيات هي تأسيس النموذج الكوني. وهي الخصائص التي تميز اللغات الإنسانية".

هذا النموذج الكوني العالمي الذي يشرك مستويات اللغة المختلفة من نحو وصوت وصرف لاكتشاف القواعد الشاملة والمجردة التي تُطبّق على جميع اللغات بما هي ظاهرة إنسانية عالمية وشاملة.

« Each grammar is related to the corpus of sentences in the language it describes in a way fixed in advance for all grammars by a given linguistic theory »[2].

"كلّ نحو مرتبط بمدوّنة من الجمل في اللغة ويوصف بطريقة معدّة سلفا لكل الأنحاء من قبل نظرية لسانية معطاة".

فطريقة الاكتساب اللغوي كما درسها علماء النفس أدّت إلى تلمّس الخطوط العامة التي يشترك فيها الأطفال في سنّ الاكتساب واختلفت الرؤى في ذلك؛ لكن بمنظور النظرية التوليدية التحويلية فإنّ الطفل يتناول مادته اللغوية من لغة كلية محددة، فيقتصر عمله على تحديد لغته من ضمن مجموعة اللغات المحتملة أي من ضمن ما يمكن تسميته بـــ"اللغة الكلية"، وهي ما رَمَز به "تشومسكي" إلى تنظيم من الضوابط تخضع لها القواعد بصورة عامة:

" On appelle universaux du langage les similarités existant dans toutes les langues du monde .Certains universaux relèvent de la psycholinguistique, pour autant qu'ils dépendent du rapport entre langue et pensée humaine ; d'autres relèvent de l'ethnolinguistique, pour autant qu'ils dépendent du rapport entre langue et culture .[3] "

"تُسمّي الكليات اللغوية النظائر الموجودة بين كل لغات العالم. فبعض هذه الكليات يتعلّق بعلم النفس اللغوي كلّما ارتبط ذلك بالعلاقة بين اللغة والفكر الإنساني، والبعض الآخر يتعلّق بعلم اللغة الإناسي كلما ارتبط ذلك بالعلاقة بين اللغة والثقافة".

1 − David crystal: linguistics. , UK, PenguinP 228.
2 − Noam Chomsky: Syntactic structures, Germany, Mouton, 2000, P14.
3 − Jean Dubois : Op. cit. P 500.

وهذا يعكس نتيجة أنّ قواعد اللغة الأمّ أو اللّغات محفورة في الخريطة البشرية وأنّ هناك أُسُساً يعتمد عليها الإنسان في مرحلة الاكتساب اللّغوي تُشكّل زادا فطريا جاهزا للاستعمال.

- **أنــواع الكليــات:** أورَدَ "تشومسكي" ثلاثة أنواع من الكليات اللغوية:

1. الكليات الجوهرية: تتكوّن الكليات الجوهرية من مجموعة فئات تضم العناصر الخاصة بكل لغة من اللغات. ويمكن ذكر من بين هذه العناصر السمات والعناصر الفونولوجية الخاصة، والتي أماطت الصوتيات العامة والصوتيات الوظيفية كلتيهما الكثير من أوجه الشبه والتلاقي بين اللغات المتعددة؛ سواء منها ما انتسب إلى سلالة لغوية مشتركة أو ما اختلفت أصولها وتباعدت مكانيا وتاريخيا. ويضاف إليها فئات الاسم والفعل وهي فئات تحتوي عليها كل اللغات البشرية التي يمكن وصفها وتحليلها، "فكل الألسن لها صياغم، ويمثل ازدواج التمفصل إلى صواتم وصياغم كليّا ووظيفيا"[1].

2. الكليات الصورية: تضمّ هذه الكليات كلّ ما يمكن أن يشترك بين اللغات وإن اختلفت أشكال التعبير؛ فهي إذن تختص بالقوانين المؤلّفة لقواعد اللغة على الرغم من التباين بينها واختلاف تراكيبها النحوية.

وهي كليات بالإمكان رصدها لتعلّقها بقواسم لسانية مشتركة تجعل النظرية اللسانية برمتها تستفيد منها وليس النظرية التوليدية التحويلية فحسب. يفسّر هذا الاشتراك بين هذه اللغات إمكانية وصفها و تصنيفها تمهيدا لتفسيرها وتعليلها.

3- الكليات التنظيمية: تتعلّق هذه الفئة بكيفية انتظام قواعد كل لغة وعلاقة هذه القواعد بكل مستوى من مستويات الفعل اللغوي فهي تختصّ إذن بكيفية ارتباط المستويات اللغوية فيما بينها وتعالقها بالشكل الذي يجعل منها أداة حقيقية للتواصل. يقول "تشومسكي": "إنّ قواعد البنية الصوتية تعتمد في جزء كبير منها على مبادئ تحكم الأنظمة الصوتية الممكنة للغات البشرية وتحدّد العناصر المكونة لها الطريقة التي

---

71 – روبرت مارتين: مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري، لبنان، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2007، ص93.

تتألف منها والتغيرات التي تحدث لها في السياقات المختلفة وهي جزء من المَلَكَة اللغوية الفطرية"[1].

يتبيّن أنّ الاختلافات الموجودة بين أنواع الأبجديات الإنسانية إنّما هي تنوعات نطقية تخفي نمطية متواترة لدى البشر جميعا، يسعى علماء الأصوات إلى دراستها لاستنباط هذه الخصائص المشتركة بينها والوصول بالتالي إلى استنتاج القواعد العامّة و الشاملة ؛ سعيا إلى استثمار ذلك كله في مجال الترجمة و تعليم اللغات لقدرة البحث اللساني على اقتراح الحلول العملية التطبيقية للمشاكل التي تعترض الناطقين في درب التعلم اللغوي، وهي المشاكل المتعلقة بخصوصيات كل لغة على حدة.

وفي هذا السياق فإنّ اللسانيات التطبيقية عبر المناهج والإجراءات المختلفة ما فتئت تركّز على الاستفادة من الإرث اللساني رغم اختلافه وتنوعه لاقتراح الأصلح والأصوب من التطبيقات اللسانية المتنوعة لتسهيل عملية التعلم اللغوي. ولقد شكّلت أفكار"دي سوسير"[2] حول أولوية المنطوق اللغوي وهيمنته على المكتوب دعامة أساسية في مجال التعلم اللغوي؛ لأنّ مدار العملية التواصلية إنّما يتحقق بالسماع الذي يعكس قدرة اللغة التفاعلية في المحيط الطبيعي لها.

وهذا يُمكّن أيّ متعلم للغة أجنبية من اكتسابها وفهمها و ييسر له سبل استعمالها استعمالا سليما في المواقف الاجتماعية والنفسية المختلفة. وبالقدر الذي تنجح فيه اللسانيات في فهم أسس الاكتساب اللغوي ينعكس ذلك على عملية الترجمة، لأنّ وشائج ما بين هذين الحقلين العلميين تجعل منجزات اللسانيات العامة والتطبيقية كلتيهما تجد لها صدى في مجال الترجمة، وتمكّن العلماء من اقتراح القواعد التي بإمكانها تفسير العملية اللغوية ورصد القواسم المشتركة لها بما يجعل اقتراح الحلول للإشكاليات اللسانية أمرا في متناول الباحثين الذين يركّزون على الأسس المتعلقة بالاكتساب اللغوي ثمّ انعكاس ذلك كلّه على عملية التعلم اللغوي وعلى عملية الترجمة تبعا لذلك.

وهذا بدوره يؤكّد مرونة العلوم المتعلقة بالإنسان وحيوية الاتجاه اللساني. وليس تكاثر المدارس اللسانية في أقطار الأرض إلاّ دليلا على أهمية الظاهرة اللغوية لدى

1- مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، الأردن، عمان، دار الشروق، 2002 ، ص 40.

2 – Ferdinand De Saussure : Cours de linguistique générale, Algérie, Enag Editions, 1990, P 62.

الإنسان سواء ما تعلق باللغة الواحدة أو باللغات المتعدّدة، وهو ما يؤكّد مشروعية الاستفادة من المدارس اللسانية المختلفة لفهم كيفيات انتقال الدلالات بين اللغات؛ وهو الانتقال الذي يرجّح كفة الترجمة باعتبارها وسيطا حضاريا هاما ويمكّن من فهم أسس التعلّم والاكتساب اللغويين من خلال البحث عن هذه الأسس في لغة الأطفال؛ حيث تُمثل آلية اكتساب اللغة في سنوات الاكتساب ميداناً للفحص والتحرّي عن هذه القواعد الكلية العالمية.

يتقاطع من هنا دور اللسانيات مع علم النفس، بل إنّ علم النفس المعاصر وجد في أفكار "تشومسكي" عن المعرفة اللغوية أي (الكليات اللغوية) ميدانا تطبيقيا للتدليل على صحة هذه الأفكار. ولقد نادى "تشومسكي" نفسه بأن تلحق اللسانيات كفرع معرفي بعلم النفس لأنّه ذاك هو ميدانها الطبيعي. كما تطرح مسألة الكليات اللغوية بعد إثبات وجودها طبعاً؛ مسألتين في غاية الأهمية وهما مسألة الإدراك ومسألة الإنتاج. فمسألة الإدراك تنصرف إلى معرفة الكيفية التي يُؤَوّل بها الإنسان ما يسمعه من الآخرين فيفهمه داخل المنظومة اللغوية المتجانسة.

وأمّا المسألة الثانية فهي مسألة الإنتاج أي استثمار جانب الإدراك المعرفي لإنتاج الفعل اللغوي ضمن الظروف والأحوال الاجتماعية. وهذا الشق يرتبط في صلب النظرية التحويلية بمفهوم "الإبداعية". ولا شك أنّ فاعلية الترجمة تعتمد على هذين العنصرين اعتماداً وثيقاً وإن كان اعتمادها على مسألة الإنتاج أكثر باعتبار أنّ الترجمة هي إنتاج قول ملفوظ في مقابل ملفوظات قيلت أو صيغت في رحاب لغة و لغات أخرى.

- علاقـــة الكليـــات بالترجمـــة:

إنّ اعتماد الكليات اللسانية يجعل تحقيق الترجمة أمراً يسيراً على الأقل من الوجهة اللسانية، وإن كان يُضاف إليها بُعد وأبعادُ أخرى تمثّل روافد مهمة لعمل الترجمة كالحقل الثقافي والجانب التداولي وغيرهما. وما دامت المحاولة هنا يُراد منها الاقتصار على تحقيق الترجمة من الوجهة اللسانية فإنّ اعتماد الكليات يُسهّل من أمر

الترجمة على اعتبار أنّ القواعد التي تنتظم في إطارها اللغات واحدة أو على الأقل متشابهة.

وبالتالي فإن الترجمة تعتمد على مسألة الترميز أي كيف يتم نقل رمز لغوي صِيغَ في لغة معينة إلى لغة أخرى مع محاولة الإبقاء على نفس الدلالات الأصلية.

« La manière dont se comporte les énonces est spécifique à chaque langue, alors que la manière dont fonctionne l'esprit est universelle ».[1]

"إنّ الطريقة التي تنتظم بها الملفوظات هي خاصة بكل لغة، بينما الطريقة التي يشتغل بها الفكر فهي كونية"؛

واعتماد الترجمة بهذا المفهوم يخفف من سطوة القائلين باستحالة تحققها؛ أو القائلين بأنّ أنظمة كل لغة هي أسوار حصينة لا يمكن اختراقها إلا بنَوع من التحايل بزُخرُف من القول.

إنّ اعتماد المنهج اللساني في تحقيق الترجمة أثبت جدواه؛ بل ولربما كان المنهج اللساني في مقاربة الترجمة هو أكثر الميادين نشاطا وإنتاجا على اعتبار القاسم المشترك بين اللسانيات والترجمة ؛ وهو اللغة ذاتها كمادةِ عمل وإنتاج. فقد يُؤخذ على المنهج اللساني إغفاله لكثير من الأمور الخارجية التي تحكم سير الترجمة ولكنّ استخدام اللغة بطريق الترجمة أظهر إمكانيات أكثر ثراءً في مهارة الاستخدام اللغوي وصارت الترجمة نفسها تكتسب جَذباً يقترب بها إلى ضفاف الإبداع.

كما لا يجب أن يغيب عن البالِ أنّ الترجمة بكل مناهجها إنّما تعتمد على نقل المعاني والدلالات، وهي إنّما تصيب أو تخطئ بمقدار ما تنجح في نقل هذه المعاني والدلالات. "يبحث اللغويون المهتمّون بالترجمة بكيفية نقل المعاني من لغة إلى أخرى. وتُفهم إعادة بناء المعنى على أنّها شكل من أشكال إعادة الترميز اللغوية؛ وحسب وجهة النظر هذه تكون الترجمة نشاط بحث وإعادة كتابة أساساً"[2].

---

1 – Georges Garnier : linguistique et traduction, France, Paradigme, 1985, P09.

2– ألبرت نيوبرت: الترجمة وعلوم النص، ترجمة محي الدين حميدي، السعودية، الرياض، مكتبة الملك فهد، 2002، ص 27.

إنّ الإمكانية التي تُتيحها الكليات اللسانية في مجال الترجمة تجعل اعتماد المبادئ الهامّة التي أفرزها الدرس اللساني في إطار المدرسة التحويلية التوليدية من الأهمّية بمكان خصوصا ما تعلّق بمفاهيم البنية السطحية والبنية العميقة؛ حيث إنّ وجود هاتين البنيتين في إطار اللغة الواحدة يفتح المجال واسعا أمام المترجم ليمارس دوره في انتقاء أكثر البُنى ترجيحاً في نقل الدلالات إلى لغة أخرى. وبالتالي فليس هناك بنية لغوية واحدة يتصيّدها المترجم إمّا أن يصيبها وإمّا أن يخطئها.

وممّا لاشك فيه أنّ اعتماد الترجمة بهذا المفهوم يجعل إقبال المترجم على الترجمة يضفي على عمله صورة فنية إبداعية؛ ولا يضير المترجم تعدّد المعاني الفرعية إذا ما أقبل على الترجمة مُدركا لبنية النّص الكلية غير ساع إلى تشويه الدلالة المركزية للنص الأصل؛ لأنّ الملكية الفكرية لصاحـــب النص إنّما تتعلق بالنص كلّه شكلا ومضمونا. فإذا ما أُخِذ في الحسبان جانب الدلالة الذي يَنِدُّ عن الحصر حتى إنّها لتشكّل مادة زئبقية لا تثبت على حال يمكن إدراك عمق المعاناة التي يعانيها المترجم حينما يطالب بإصابة المعني بدقة وإلا اعتُبر عمله خيانة وخرقاً وتشويهاً.

« S’il est bon, d’une part, que les traducteurs soient conscients des traits qui distinguent les langues les unes des autres, il est également bon, d’autre part, qu’ils apprennent a reconnaître des traits qui se retrouvent dans toutes les langues et qui fondent la possibilité même de la traduction, à savoir les universaux linguistiques » [(1)].

"إذا كان على المترجمين أن يكونوا على وعي بالملامح التي تميّز اللغات بعضها عن بعض من جهة؛ فمن الأحسن لهم من جهة أخرى أن يتعرّفوا على الملامح الموجودة في كلّ اللغات، والتي تُؤسّس لإمكانية الترجمة في حدّ ذاتها، وهي التي يُطلق عليها "الكليات اللسانية".

إنّ تاريخ الترجمة يبيّن تحقق الترجمة عبر مسار تاريخ الإنسانية الطويل، بداية من عصور ما قبل التاريخ ومرورا بعصور التاريخ واكتشاف الإنسان للكتابة. هذه الكتابة التي استطاعت أن تدخل الإنسان إلى عصر أنوار العلم والاكتشاف بواسطة

1 − Jean-Claude Margot : Traduire sans trahir, Suisse, L’age d’homme, 1990, P74.

الكتابة نفسها وبواسطة الترجمة التي لولاها لما كان لحركة التاريخ تطور نحو الأمام. فالنظر إلى الإنسان في كليته وشموله ممّا أكّدت عليه اللسانيات التوليدية التحويلية من خلال هذه الفكرة أي فكرة الكليات اللسانية.

إنّ هذه الإمكانية التي أوردتها اللسانيات التوليدية تُسهم في حل نقاش طويل بين دعاة استحالة الترجمة وبين من يدافع عن إمكانيَّتها. ويضاف إلى ما سبق بُعد يكتسي أهمية قصوى وهو أنّ الترجمة وإن كانت تعتمد على نقل المعاني والدلالات إلاّ أنّ الأمر ليس على ظاهره لأنّ الدلالات تنقسم إلى حقيقية ومجازية. ففي بعض الأحيان يُكتفي بنقل الدلالات الحقيقية وذاك هو ميدانها؛ وفي مجال آخر لا يمكن اعتماد الدلالة الحقيقية إلاّ بضرب من ضروب المجاز والاستعارة. وأمام هذا العائق عبَّر "تشومسكي" قائلا:

« To study actual linguistics performance, we must consider the interaction of a variety of factors, of which the underlying competence of the speaker-hearer is only one. In this respect, study of language is no different from empirical investigation of other complex phenomena »[1]

"لدراسة الأداء اللساني الآني يجب أن نهتم بالتفاعل بين مختلف العوامل التي تُمثل وحدة الملكة بين السامع و المتكلم. ومن هذا المنظور فإنّ دراسة اللغة لا يختلف عن البحث التجريبي للظواهر المعقدة الأخرى".

فتحقيق التواصل بين أطراف العملية التواصلية يتمُّ عبر إشراك عوامل متعددة تصبُّ في إطار فهم الدلالة الكامنة في ثنايا القول اللساني. ونقل الوحدات اللسانية بطريق الترجمة سواء في ذلك الدلالات الحقيقية أو المجازية يجد إمكانيته في السعي الدائب من قبل الباحثين للاستفادة من أفكار "تشومسكي " حول الكليات اللسانية.

فبالرغم من التسليم بوجود نموذج نحو عالمي بما يُبشِّر بتيسير أمر الترجمة وتحقُّقَها فإنّ إمكانية وجود إجراءات محددة للترجمة يبدو أمراً مستبعداً؛ وما ذلك إلاّ لأنّ الدلالات المجازية تتحكم في اتجاه الترجمة مداً وجزراً.

---

1 − Noam Chomsky: Aspects of theory of syntax, USA, MIT, 1965, P04.

على الرغم من إمكانية الرصف النحوي بين لغتين إلا أنّ الواقع اللغوي يعكس تفاوتا واضحا في تحقيق الترجمة بين اللغات التي بإمكانها تحقيق درجة من التكافؤ والتعادل. وهذا الأمر مردُّه إلى قدرة المترجم على فهم الإطار المكاني والزماني للنص الأصل في سياقه الثقافي الذي يَرِدُ فيه؛ مثلا الملفوظ التالي: "a warm welcom" فإنّ ترجمتها الحرفية هي "استقبال دافئ". غير أنّ العقل الثقافي العربي لا يستسيغ مثل هذا التعبير لأنّه يعبّر عن هذا الاستقبال بعبارة "استقبال حار" التي تقابل في الإنجليزية " Hot welcome"، وبالتالي يَرى المترجم نفسه مُجبراً على تلطيف أجواء الصورة المجازية بما يخدم ما بين اللغتين من وشائج الاتصال والقرابة.

مثلا الملفوظ التالي: "This landed them in prison" فإنّ ترجمته إلى اللغة الفرنسية تكون كالتالي: " Cela les fit atterrir en prison ". ولأول وهلة تكون الترجمة إلى العربية كالتالي: "هذا هبط بهم أرضاً إلى السجن"، فيُلاحظ أنّ الناتج من العبارة الانجليزية والفرنسية لا يستقيم على أيّ نحو بالعربية كما أنّ ترجمة العبارة نفسها إلى الفرنسية تستدعي التأنّي والتركيز. أمّا بتغليب جانب الدلالة المتضمنة في صلب النص الأصلي؛ فإنّ ترجمة الملفوظ الانجليزي إلى اللغة الفرنسية يمكن أن تكون على الشكل التالي: "Cela leur valut la prison" وهنا تتدخل فكرة الجزاء والعقوبة، وعلى هذا الأساس تُترجم العبارة إلى العربية بالشكل الآتي: "هذا أودى بهم إلى السجن".

ولإيلاء جانب الدلالة المتضمّنة في صلب النصوص اللسانية فإنّ تسليط الضوء عليها باعتماد المنهج التوليدي يجعل الدراسة اللسانية لإشكاليات الترجمة تأخذ منحى علميا منضبطا.

المبحث الثاني : المنهـــج التوليـــدي:

هو المنهج الذي يفرّق بين قدرة المتكلم للّغة وبين استعماله لها، هذا الاستعمال الذي يثبت الجانب الإبداعي و الإنتاجي لدى الفرد أثناء استخدامه للغته في الإطار الاجتماعي. ومن هنا انبَرَت النظرية التوليدية لتضع مجموعة من الضوابط تمثّل بالفعل إنجازا لسانيا رائدا بفضل الأفكار والمبادئ التي توصّلت إليها والتي لا زالت لحد الآن موضع قبول عند الباحثين في مجال اللسانيات وحقول البحث الإنسانية الأخرى. ولقد درج مؤرخو النظرية التحويلية التوليدية على التأريخ لها بمراحل متعدّدة؛ حيث بدأ ظهور هذه النظرية التوليدية للغة نهاية الخمسينيات من القرن العشرين على يد "تشومسكي" الذي يعتقد أنّ نحو اللغة وقواعدها الأساسية يتألّف من قواعد معينة تسمح بتكوين عدد غير محدود من الجمل.

وقد دعاه إلى تبنّي هذا الاتجاه أنّ بعض التصورات البنيوية للنحو أضحت في وقته غير ملائمة لوصف اللغات. ويمكن أن تتميز هذه المرحلة أساسا بنشر"تشومسكي" لكتابه سالف الذكر "البُنى التركيبية"[1]، وهو الكتاب الذي بظهوره اطّلع جمهور الباحثين على أفكار ورؤى جديدة سمحت باحتلال النظرية التوليدية التحويلية المكانة اللائقة لها في المدارس اللسانية المعاصرة؛ ففي هذا الكتاب عرض للقواعد التوليدية وللقواعد التحويلية.

وما دام أنّ مجال اشتغال اللسانيات على اللغة؛ فإنّ عمل الترجمة أيضا هو عمل لغوي سجّل حضورا قويا ومتميزا عبر العصور أسهم في دفع حركة الفكر إلى الأمام محققا تراكمية الفكر الإنساني بما يخدم مصلحة الإنسانية جمعاء في استفادة الأجيال اللاحقة من إرث الأجيال السابقة بواسطة الترجمة التي نقلت التجارب والخبرات بين هؤلاء وأولئك ومكّنت من تحقيق ترجمات اقتربت من الدقة والإتقان في بعض الأحيان؛ وجانبتهما في أحيان أخرى. وهو الشيء الذي يحدو الباحثين في هذا العصر إلـــى محاولة تجنّب الأخطاء القديمة، والتأسيس لعلم للترجمة يأخذ بالحسبان تطور البحث اللساني وتطور العلوم الإنسانية على العموم كعلم النفس وعلم الاجتماع والانثربولوجيا.

1- جون ليونز: م س، ص 135.

إنّ الإقبال على تبنّي هذا الطرح يؤكد أنّ الظواهر الإنسانية في تفاعلها مع المحيط الإنساني والاجتماعي يثبت ارتباط العلوم الإنسانية على اختلافها للإسهام في دراسة نشاط الترجمة باعتباره نشاطا إنسانيا، كما يؤكّد من جهة أخرى عدم الاقتصار على بعد واحد في دراسة إشكاليات الترجمة حتى ولو كان هذا البعد اللغوي اللساني رغم أهميته القصوى.

تمتاز النظرية التوليدية التحويلية باستخدام الرموز في عرضها لتحليلاتها اللسانية تأسّياً في ذلك بالتوزيعيين مثل "هاريس" "Harris"؛ الذين كانوا يميلون إلى اختصار عرض أنماط الجمل في رموز حرفية. ومن هذه الرموز المستخدمة في هذا الإطار ما يلي: "NP" للمركب أو المكون الاسمي، و "VP" للمكون أو المركب الفعلي، و "ART" للمكوِّن الحرفي"؛ و هي المصطلحات التقليدية المألوفة في الإشارة إلى أقسام الكلام"[1] .

وعلى هذا الأساس تعرّضت هذه النظرية إلى دراسة تصورها لبنية اللسان النحوية من خلال افتراض وجود ثماني قواعد نحوية بالإضافة إلى القواعد المعجمية التي تعمل كلّها مشتركة على إنتاج الجمل.

ووفقا لهذه النظرية فإنّ الأدوات النحوية تُسهم في إجراء سلسلة التحويلات التي بإمكانها إظهار علاقة الجُمل بعضها ببعض. وتعتبر هذه التحويلات ضرورية لتقديم وصف كامل لكثير من الجمل. أمّا في النظرية البنيوية، فلم يكن للأدوات النحوية من هذا القبيل أيُّ دور يذكر. لكن في أواخر السبعينيات من القرن العشرين، برزت خلافات كبيرة بين علماء اللغة التوليديين في إطار مساعيهم للوصول إلى تحديد خصائص عالمية وأساسية للغات؛ و هذا في الوقت الذي يُلاحظ أنّ هذه القواعد التوليدية التحويلية اكتسبت شهرة وقبولا.

ومردُّ ذلك لبساطتها ولقدرتها على التطبيق على أكثر اللغات، وهذا يخدم طبعاً اتجاه "تشومسكي" في القواعد الكلية العالمية؛ كما يعكس هذا أيضا الأثر العلمي البارز لأقطاب اللسانيات المعاصرين في بلورة الأفكار التي من شأنها إثراء رصيد الفكر

1- جون ليونز: م س، ص 102.

اللساني. كما لا يفوت التذكير بأنّ النموذج التوليدي خضع للتعديل على مَرِّ المراحل التي مرّت بها مع المحافظة على الهيكل العام والمبادئ العامة.

وإنما يُركّز في هذا البحث على ما له صلة وثيقة بموضوع الدراسة؛ وهو "الدلالة" بشقيها الحقيقية وغير الحقيقية؛ لأنَّ المكون الدلالي كما –سبق ذكره – كان حاسماً في سلسلة التعديلات التي أجراها "تشومسكي" على نظريته. حيث قام بالتركيز على المكوِّن الدلالي في إطار نظريته "النموذجية الموسعة" بعد اعتراضات كلّ من تلميذي تشومسكي "كاتز" و "فودور". فإذا كان "تشومسكي" إنّما ركّز على المكوّن الدلالي في إطار بنية اللغة الواحدة؛ فإنّ إطار الترجمة يتعامل مع كيفيات النقل الدلالي بين لغتين فأكثر ثَبَتَت بينهما قرابة أو لم تثبُت لهما هذه القرابة.

- المكوّن الدلالي في اللسانيات التوليديـــة التحويليـــة:

عالجت النقاط السالفة فكرة أنّ المدرسة اللسانية البنيوية أقامت الدراسة اللسانية على أساس عزل المعنى عن تحليل اللغة؛ لأنّه لا توجد في رأيها علاقة تقابلية بين المعنى والشكل. فيمكن للعناصر الصوتية أن تختلف فيما بينها ثمّ هي تعني الشيء نفسه. أي يمكن للوحدات اللغوية أن تأخذ أشكالا مختلفة لمعان متشابهة.

وعلى الطريق نفسها أول الأمر مضى "تشومسكي"؛ غير أنّ إحدى التغيرات التي طرأت على فكره بشكل واضح هو أنّ مفهومه للقواعد اللسانية توسَّع ليشمل "مُركَّباً أو مكوِّناً دلالياً"، وبقي مركَّبُه النحوي كما كان عليه سابقاً. وهكذا أصبحت القواعد النحوية تشير إلى توارد سلسلة "المورفيمات" لتمثيل الجمل القواعدية. غير أنّ كل جملة أصبحت تُفسَّر دلالياً، أي أصبحت الدلالة تحكم على أي جملة من الجمل بالصحة والمقبولية، فحيثما تعذَّر قبول الجملة دلالياً حتى ولو صحَّت قواعدياً فإنّها تُصبح حينئذ مستبعدةً. وبالتالي أصبحت السلامة النَّحوية لا تشفع من حيث القَبول إذا ما اعترضت الدلالة سبيلها.

وبهذا الاعتبار تمَّ إدراج المكوِّن الدلالي في صلب النظرية اللسانية التوليدية المُوسّعة عند "تشومسكي": "إنّ الأشياء التي ولَّدتها هي جمل بالمعنى القديم ولكن بها

معان تلتصق بها الآن وبدقّة. فقد أصبحت الجُمل مؤلّفة من ازدواجية من التمثيل الصوتي والتمثيل الدلالي"[1].

ولقد أحسّ "تشومسكي" بالحاجة إلى إدراج التحليل الدلالي في صلب النظرية اللسانية؛ لأنّ عزل المعنى عن النحو قد ضيّق من مجال اشتغال اللسانيين الذين تشكّل التحليلات النحوية لوحدها عندهم نواتج ملفوظية تكون صحيحة من الناحية النحوية وذلك بسب احترامها الشديد لقواعد النحو الصارمة؛ ولكنّها بمعياري المعنى والدلالة لا تكون مستساغة ولا مقبولة.

والتحام النحو ومستوياته مع الدلالة شكّل محور المراجعة التي أجراها "تشومسكي" على مجمل النظرية التوليدية التحويلية؛ وكان ذلك سببا في بروز "المكون التأويلي" La composante interprétative " الذي يجمع بين هذين القطبين لتحقيق فاعلية القول اللساني :

«En grammaire générative, on donne le nom d'interprétative aux deux composantes phonologique et sémantique, parce que la composante sémantique attribue un sens à la structure profonde générée par la composante syntaxique»[2].

"في النحو التوليدي نعطي اسم التأويلات للمكونين الفونولوجي والدلالي ، وذلك لأنّ المكون الدلالي يربط معنى بالبنية العميقة المتولّدة من المكون النحوي".

إنَّ التحام الدلالة مع النحو يمكّن من فهم النظام اللساني في شموليَّته وكُليَّته، وهذا ينطبق على كل اللُّغات التي تتوافر على نظام نحوي ثابت. ولأهمية دور الدلالة في عملية الإنتاج اللساني ظهرت عدة محاولات لدراستها دراسة علمية منهجيـــة؛ فلأول وهـــلة يُلاحظ توارد استعمال مصطـــلحين شائعين لدى الباحثين الغـــربيين وهما "sens, meaning و signification " أي" المعنى والدلالة". وهـــذان المصطلحان يستعملان جنبا إلى جنب لدى هؤلاء الباحثين بطريقة ترادفية غالبا.

1– ب.ه. ماثيوز: الموسوعة اللغوية، ترجمة محي الدين حميدي، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود الفيصل، 1999 ، ص 120.

2- Jean Dubois : Op. cit. P254.

تمثّل عملية إدخال الدلالة في صلب النظرية التوليدية التحويلية تحولاً منهجياً مُهمّاً جدّا؛ وذلك لأن المكوّن الدلالي تمّ إقصاؤه سابقاً، فحتى التوليدية التحويلية لم تهتمّ به أول الأمر إلا بعد التطور الحاصل في رحاب اللسانيات المعاصرة؛ وهذا ما يقود إلى التساؤل عن الكيفية التي يتم بواسطتها اعتماد المكون الدلالي؟ وفي أية مرحلة يتمّ ذلك؟ وما هي اعتبارات هذا الاعتماد؟

يجب بادئ ذي بدء التذكير أنّ اجتماع اللسانيين على اعتماد المكوّن الدلالي لم يكن متيسرا بصفة آلية منذ الإرهاصات الأولى للتطور اللساني المعاصر؛ وذلك بسبب النظرة إلى علم الدلالة على أنّه علم تتجاذبه عدة علوم واختصاصات لغوية وغير لغوية. ولكنّ هذه النظرة تغيّرت من قبل اللسانيين وفتحت اللسانيات المجال أمام علم الدلالة للإدلاء بما يمكن أن يسهم في تناول علمي للمشكلات اللسانية وعلى رأسها مشكلات الترجمة التي تبدو الحاجة إليه أشدّ و أكثر إلحاحا.

« Du point de vue linguistique, la signification tient à la fois de syntaxe et de sémantique, elle en est la résultante, et ne saurait appartenir exclusivement a aucune d'elle ». [(1)]

"من وجهة النظر اللسانية فإنّ الدلالة ترتبط بالنحو وأيضا بعلم الدلالة. إنّها ناتج عنهما ولكنّها لا تنتمي إلى أيّ واحد منهما".

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هذا الارتباط بين الدلالة والنحو كليهما وإن خفي لدى بعض الباحثين المعاصرين إلاّ أن التراث اللساني العربي القديم حفل بإشارات استباقية شكّلت إطارا هامّا لبناء نظرية لسانية في الدلالة العربية؛ وعلى رأس هذه الإشارات ما يلي:

"و ممّا ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر أنّه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجرّدة من معاني النحو"[(2)]. فهذا النّص واضح في دلالته على أهمّية الانسجام بين مستويات اللغة الصوتية والصرفية والمعجمية و النحوية والدلالية

1- Mustapha Zaoui : Sémantique et étude de langue, Algérie, OPU, 1993,P122 .

2 – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط5، 2004، ص 410.

لرصد شبكة المعاني التي يحفل بها نظام اللغة. كما يعكس من جهة أخرى ثراء النظرية اللسانية في أطر مكانية وزمانية خارج إطار اللسانيات الغربية وخارج إطار العصر الحديث؛ وهذا من شأنه إثراء ساحة اللسانيات والفكر اللغوي برمّته .

يتمّ إدماج المكوِّن الدلالي بإضافة المداخل المعجمية وربطِها بالبُنى التركيبية لإعطاء تفسير دلالي لجملة من الجمل الممكنة؛ وبواسطة قواعد الإسقاط يمكن اعتبار اللغة نسقاً من المفردات والقواعد التي يشترك فيها متكلّمو تلك اللغة؛ ذلك أنّ: "مفردات اللغة أو ألفاظها هي المداخل وطُرُق تجميع هذه الألفاظ مع بعضها قصد تكوين الجُمَل ليس عشوائيا بل تحكمُها قواعد مضبوطة؛ ذلك أنّ الخروج عن هذه القواعد ينتج بنيات لاحنة"[1].

وتتمّ عملية الربط الدلالي هذه بين البُنية العميقة وبين البنية السطحية بواسطة قواعد الإسقاط. وهذا كلّه بقصد إقامة التفسير الدلالي الذي يمكّن المتكلّم للغته من التمييز بين ما هو من كفايته اللغوية الممكنة وبين ما هو أداء لغوي يخرج إلى السطح وينتقل منه إلى السامعين داخل المجموعة اللسانية الواحدة. وهنا يُشار إلى كلّ من مفهومي "السلامة النحوية والمقبولية الدلالية"؛ ويُعني به أنّ المتكلم المثالي بعدما يختار في إطار لغته بين ما هو سليم نحوياً من الجمل؛ ينتقي من الجمل ما هو مقبول دلالياً فتتزاوج بالتالي السلامة النحوية مع المقبولية الدلالية.

فالمتكلّم قادر على الحكم على جملة ما تحتوي على التباس دلالي بالنظر إلى عدم انتظامها نحويا أو عدم مقبوليتها الدلالية معا. فلأغراض التواصل اللساني يمتلك المتكلم المنسجم مع لغته آليات دلالية تمكّنه من تمييز الجمل التي يتفاعل معها دلاليا لأنّها توافق أفقه الدلالي و يستبعد تلك التي تشكل خرقاً لمبادئ المقبولية الدلالية. "فكفاية متكلم بإمكانها التقاط الالتباس أي بإمكانها تحديد التفسيرات الممكنة بالنسبة للجملة الواحدة فتعود على المكوِّن الدلالي مهمّة تحليل الجُمل غير المقبولة من حيث الدلالة والتي لا يمكن تحليلها من خلال تراكيبها"[2].

1- عبد المجيد جحفة: م س، ص 59.

2- ميشال زكريا: المكون الدلالي في القواعد التحويلية التوليدية، مجلة الفكر العربي المعاصر، لبنان، بيروت، مركز الإنماء القومي، العدد 40 تموز آب 1986، ص15.

و هذا ما يجعل الملاحظة تتجه إلى أنّ هذه التفسيرات تظهر مدى استفادة اللسانيات من علم النفس؛ لأنّ هذه الإمكانيات اللسانية التي بحوزة المتكلم، والتي تجعله قادرا على الاختيار بين الجمل الممكنة والمحتملة ثمّ الحكم بعد ذلك بالسلامة والمقبولية عليها، إنّما هي إمكانيات ذهنية وفكرية تدخل في مجال اختصاص علـــم النفـــس.

و يتقاطع بالتالي ما هو لغوي مع ما هو نفسي؛ وهمزة الوصل في هذا الإطار الذهني تُنجز بواسطة قواعد الإسقاط، هذه القواعد تَقرن بين المفردات المعجمية وبين البنية التركيبية قصداً إلى إقامة النموذج الدلالي الذي يجمع بين "المعجم والتركيب والدلالة" ضمن سيرورة ذهنية آلية.

وهذه الأطراف التي تتدخل كلها وتتآزر فيما بينها لإنجاح عملية التواصل اللساني لا يمكن النظر إليها على أنها منفصلة ومتمايزة إلا على فرض دراستها و فحصها علميا؛ لأنّ الواقع اللساني يبيّن أنّ هذه العمليات العقلية تتمّ بصفة آلية ولا تستغرق زمنا طويلا تيسيرا لعملية التخاطب الإنساني في المواقف المختلفة. كما يمكنها أن تلقي بظلالها أيضا على دراسات الترجمة المعاصرة لوجود أوجه شبه متعددة وواضحة بين اختيارات المتكلم المثالي قبل إقدامه على الكلام وبين اختيارات المترجم قبل إقدامه على إنجاز الترجمة.

إنّ المفردات في اللغة لا حصر لها والبُنى التركيبية في اللغة محدودة؛ وعملية الإنتاج اللغوي في إطار التوليدية التحويلية تستند على فرضية الإسقاط لأنّها قادرة على إعطاء التفسير المنطقي لمجمل العمليات الذهنية التي بموجبها يلتحم النحو مع الدلالة.

وهذا الالتحام بين كلّ من البنية المنطقية والبنية اللسانية يجعل النظرية التوليدية تتميّز بهذا الاتجاه الذي لا يرى في الفكر سابقا أو لاحقا للعملية اللغوية لدى الإنسان؛ وإنّما متداخلان يعكس أحدهما وجود الآخر حيث: "تقوم نظرية الدلالة التوليدية على مفهوم يذهب إلى أنّ هناك بنية منطقية تستتر تحت كل جملة مفترضة في اللغة. ثمّ إنّ هذه البنية المنطقية تتضمّن معنى الجملة" [1].

1- مازن الوعر: م س، ص 62.

وهذا الالتحام الذي اختلفت زوايا النظر فيه من قبل كل المدارس اللسانية بين مثبت لوجوده أصلاً وبين من يفسِّره تفسيراً ينزع عنه صفة اللسانية ويرتدّ بالتالي إلى مباحث فلسفية أو رياضية دون اعتبار للطابع اللساني الواضح في مثل هذه المباحث يعكس تميّز هذه النظرية اللسانية.

فقواعد الإسقاط كما أوردها "تشومسكي" تقضي بأنّ هذا المبدأ يقوم بتمثيل البنية المعجمية في كل مستوى نحوي.

و للتمثيل يرد المثال الآتي: "درس العالـــم نظريـــة"

درس ⟵ /فعل /+ تام /+ متعدي /+ ...

ال ⟵ /تعريف /+ محدّد /+ مفرد أو جمع /مذكر أو مؤنث /...

عالم ⟵ /اسم /+ حي /إنسان /+ ذكر /+ راشد /...

نظرية ⟵ /اسم /– طبيعي /– مادي /+ معنوية /...

فهذه المُشيرات الدلالية ترتدُّ إلى المجال المعجمي الذي يتميز بسِمات فونولوجية وتركيبية ودلالية ويقوم في هذا الإطار المعجم بإسناد معنى أوليّا لكل كلمة.

ثم ينتقل التحليل إلى مجال قواعد الإسقاط وهنا يُلاحظ ما يلي:

– وجود التوافق بين المشيرات التركيبية والدلالية لأركان الجملة، أي ارتباط أركان الفعل درس مع الركن الاسمي "العالم".

– التوافق الدلالي يقوم على استبعاد كل ما ليس له صلة مع المميزات التركيبية، فمثلا هذه الجملة "درس العالم النظرية"، لا تتوافق في المداخل المعجمية مع جملة أخرى يتصدّرها فعل آخر نسب استعماله الإحصائية مرتفعة جدا، وهو الفعل "هضم"، فاجتماع هذا الفعل مع الاسميين الآخرين في هذه العبارة وهما "العالم – النظرية" ينتج بنيات لاحنة دلاليا و ليس نحويا.

فالتركيب اللغوي السليم يرتدُّ إلى حفظ اللغة قواعديا من حيث الرتبة و الإسناد و الموقع وسائر القرائن النحوية التي لا يمكن لمتكلم اللغة أن يتجاوزها أو أن يُعدّل فيها، أو أن يعدل عنها إلى غيرها، لأنّها موجودة بالقوة بدون إرادة الناطقين. غير أنّه على مستوى الدلالة تتدّخل عوامل من نوع آخر تجعل القول اللساني مقبولا، ويؤدي دوره في عملية الاتصال الإنسانية. هذه الإشارات تؤدي بدورها إلى الإسقاط على

عملية الترجمة لتشابه ما بين العمليتين؛ حيث إنّ المترجم قد يعتقد أنّه قد أنجز ترجمة مقبولة بمجرد الانتهاء من عملية الرصف النحوي بين اللغتين الأصل والهدف؛ لكن يتبيّن له بعد المراجعة الدلالية لما كتب أن مجرد الاقتصار على الرصف النحوي بين اللغتين ليس مسلكا سليما.

فلو أُخِذ هذا المثال الوارد في الملفوظ التراثي: " أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا" فإنّ ترجمته إلى اللغة الفرنسية تكون بالشكل التالي:

« La plus rapide en me suivant sera celle qui a la plus longue main ».

يمكن ملاحظة أنّ متلقي النص باللغة الفرنسية سوف يغيب عنه إدراك الدلالة الكامنة في صلب هذا النص؛ والتي تشكّل فرادة هذا النص الفنية؛ لأنّ المتلقي سوف يفهم هذا التركيب على ظاهره. وهذه الدلالة الظاهرية للنص ليست هي المقصودة؛ وإن تمّت بواسطة وحدات معجمية يسيرة التناول. فالمقصود من عبارة: "أطولكنّ يدا" هو أكرمكنّ أو أجودكنّ، وهما يشكلان بنية النص العميقة؛ والتي يتوقف على فهمها تحقيق العملية التواصلية بين صاحب النص الأصلي وبين متلقيه في اللغة الهدف؛ وهذا يوجب على المترجم نفسه أن تكون له القدرة على إدراك البنى العميقة للنصوص وعدم الاقتصار على القراءة العابرة التي تشوه جمال النصوص الأدبية.

وعلى هذا الأساس يكون التركيز على الاهتمام بعملية الفهم والإدراك مَعبَرا مهمّا نحو السعي إلى دراسة جادة للترجمة بصفة عامة و الترجمة الأدبية على وجه الخصوص؛ لأنّه "إذا كانت الشفرة اللغوية هي مناط البحث في علوم اللغة بصفة عامة، فإن الشفرة الأدبية – ونعني بها مجموعة القواعد والأعراف السائدة في تراث أدبي معين– هي مناط البحث في فنون الترجمة الأدبية"[1].

وهذا يظهر أنّ الترجمة ظاهرة لسانية متشابكة الأجزاء لا يمكن لحقل علمي لوحده أن يدّعي تفسيرها أو الإحاطة بجوانبها المتشعبة. ولقد استطاعت "النظرية التوليدية التحويلية" أن تحقق هذا الانفتاح من خلال الاستفادة من منجزات علم النفس

1– محمد عناني: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، 2004، ص 08.

وأيضا من خلال المراجعات للقضايا والمبادئ اللسانية التي كانت تعرضها عبر محطات زمانية، وكانت سببا في ضبط المبادئ العامة لنظريـــة اللسانيات التوليدية التحويلية بواسطة جهاز من المفاهيم والمصطلحات والإجراءات أغنت ساحة الدرس اللساني المعاصر على مستوى التنظير للملكة اللغوية والذهنية معا والتي بسطها "تشومسكي" في صلب نظريته "التوليدية التحويلية". وكلّ ذلك يبين مقدار ما أوتِيَه من قدرة على النفاذ إلى مشكلات تكتسي طابع التعقيد والتشظي.

وفي إطار استثمار مفاهيم هذه المدرسة اللسانية يمكن الإشارة إلى أنّ تطبيقات هذه النظرية على المستوى الدلالي يمكن أن تعترضه جملة من العقبات تتعلّق أساسا بالتحام النحو بالدلالة. وهنا يمكن الإشارة إلى أنّ مفهومي "السلامة النحوية والمقبولية الدلالية" وإن خضع للدراسة والتحليل، إلا أنّ هذه الدراسة يمكن أن تجد لها ميدانا للتطبيق، ولكن على مستوى الدلالات الحقيقية؛ أمّا الدلالات المجازية فإنّ الدراسة المتفحصة المتأنية هي وحدها الكفيلة بتذليل صعوباتها وعوائقها.

فالمثال السابق ذكره "هضم العالم النظرية"؛ و إن كان غير مقبول من جهة الدلالة الحقيقية بتطبيق قواعد الإسقاط؛ إلا أنّه مقبول من جهة الدلالة غير الحقيقية- المجازية-. ولذلك فإنّ الإشكال الذي يطرح نفسه على مستوى الترجمة هو: أيّ الدلالاتين يتم انتقاؤها للترجمة الحقيقية منهما أم المجازية؟.

لا شك أنّ انعدام المقبولية الدلالية للملفوظ السابق يجعل منه ملفوظا غير ذي اعتبار من الوجهة اللسانية؛ ولكنّه في ثنايا نص أدبي يكتسي طابعا فنيا وجماليا بسبب منحاه البلاغي المجازي. وهذا ما يؤهله إلى "الترجمة الأدبية" التي تختلف عن سائر ألوان الترجمة.

وعلى الرغم من ذلك فقد أنتج ظهور اللسانيات العامة والتطبيقية معا وانفتاحهما على العلوم الإنسانية اتجاها نحو وضع هذه الأفكار كلّها أو بعضها ميدانا لتنفيذ الإجراءات التي تُيسّر دراسة مجمل هذه الإشكاليات وذلك منذ ظهور هذا النوع من البحث اللساني إلى الآن.

والذي يهمّ هو ميدان التطبيق اللساني على دراسات الترجمة وخصوصا الترجمة المجازية. و ذلك لمعرفة مدى ما حققته هذه النظرية من تناول علمي لقضايا الترجمة

الأدبية التي تقع على تخوم الدرس اللساني والبلاغي والأسلوبي بما تمثله هذه الحقول من زخم معرفي ومنهجي يكتسب يوما بعد يوم صرامة ودقة منهجيين في تعاملهما مع قضايا الترجمة.

و بهذا الاعتبار يمكن استخلاص الفائدة العلمية التي يمكن أن تجنيها نظرية الترجمة حينما تدرج جانب المهارة اللسانية القولية في تناول النصوص المُعدّة للترجمة؛ و مدى ما يحصل عليه المترجم من إجراءات تطبيقية علمية تستند في أصلها النظري و المنهجي إلى ما أقرّته مدارس اللسانيات المختلفة في مقاربتها للظاهرة اللغوية إنتاجا واستقبالا؛ بما يمهّد السبيل أمام تناول جاد لإشكاليات الترجمة المجازية من الوجهة اللسانية.

المبحث الثالث: المنظور اللساني للترجمة المجازية :

تشكّل ترجمة الاستعارات والمجازات والتشبيهات تحديًّا أمام المترجم الذي يُقدم على مواجهة نص أدبي مثقل بهذه الحمولة الجمالية فيتخيّر أنسب الطرق للتعامل معها؛ ففي الترجمة الأدبية طبعا يتمّ الحديث عن النص الأدبي الذي يغلب على طابعه وجود هذا النوع من الزخرفة البيانية؛ وإن كان الكلام العادي نفسه لا يخلو عادة من المجاز لأنّ النص الأدبي إنّما يسمى أدبيا لغلبة هذا المنحى على أسلوبه؛ بل إنَّ ورود هذا النوع من الأساليب البيانية هو ما يشكّل أدبية النص الأدبي وشاعريته، أي من حيث سيطرة الوظيفة التعبيرية والقدرة الإيحائية الكامنة وتعدُّد معانيه وقابليته للتأويل ولامركزية المعنى واللعب الحر للدوال؛ وهي كلّها صفات تزيد من صعوبة قراءة النص وتأويله في إطار اللغة الواحدة؛ فما بالك بترجمة للنص الأدبي يُرجى منها أن تحقق المعادلة على جميع مستوياته اللسانية وغير اللسانية.

« The « poetic » of a text becomes the function of the author's skill in selecting units of various degrees of conventionalization in order to symbolize particular semantic contents »[(1)] .

" إنّ شعرية نص ما تغدو وظيفة لمهارة الكاتب من خلال انتقاء الوحدات لدرجات متعدّدة من الاتفاقات من أجل ترميز محتويات دلالية محددة".

يرتبط الخطاب في النص المُعَدّ للترجمة ارتباطا وثيقا باللغة التي صيغ في إطارها النص. والدلالات في هذا الإطار اللساني تلتحم مع قواعد اللغة ونحوها لتشكّل الفكرة أو الأفكار المراد إبلاغها للقارئ. وهنا يقوم المترجم بفهم هذا الخطاب على المستوى القواعدي لتمييز المعاني النحوية التي ترتبط بالمستويات اللغوية المختلفة وتتآزر فيما بينها وتدور في فلك النص، وبين سائر المعاني التي يمكن لنص ما أن يعكسها.

وهذه المعاني هي مناط البحث لدى المترجم، لأنّه لا يمكن بأي حال إغفال الدلالات التي تحفّ بالنص قبل ترجمته وتجعل المترجم يجتهد لإدراكها وفهمها تمهيدا

1- Elezabieta Tabakowska : Cognitive linguistics and poetics of translation, Germany, ED : GNV, 1993 P:24.

لترجمتها ونقلها. وهذه الدلالات الحاقة هي التي تشكّل ما يطلق عليه "ثقافة النص"؛ ففي رحاب هذا المستوى الثقافي للنص تشكّل المحافظة على أفكار الكاتب الواردة في النص الأصل ثمّ نقل هذه الأفكار "نفسها" إلى اللغة الهدف تحديّا لأيّ مترجم. وإنّما يُحكم على تحقق ذلك مدى ما يتوصل إليه المترجم من إدراك لجملة الأبعاد الظاهرة والخفية للنص أي دلالات النص "العميقة والسطحية".

يستطيع المترجم أن يتسلّح بعدة منهجية تجعل إجراءاته نحو تحقيق الترجمة تكتسب يسرا وسهولة؛ وذلك بتكوين "ثقافة لسانية" تتآزر مع مهاراته اللغوية لفهم ثقافة النص. تتمثل هذه الثقافة اللسانية في معرفة ما يكون بين اللغات من أواصر القربى والتعالق. ولذلك فإنّ الدرس اللساني يُزود الباحث اللساني و المترجم كليهما بمبادئ لسانية يسيرة لتمييز زمر اللغات التي تتشابه قواعدياً وتركيبياً أو على الأقل تتشابه من حيث الأصل والأرومة.

فلقد قام اللسانيون ودارسو اللغات البشرية بتقسيم اللغات إلى فصائل وأسر تتضمن كلّ فصيلة عددا من اللغات تنتمي إلى أصل واحد. وظهرت لسانيات تنهج مناهج متعددة تبعا للتصانيف التي أوردها علماء اللسانيات للغات البشرية. وهكذا يُميَّز بين مناهج متعددة منها؛ المنهج المقارن méthode comparative:

"الذي يهتمّ بدراسة وتصنيف الظواهر الصرفية والصوتية والنحوية المتشابهة في اللغات التي تنضوي تحت أسرة لغوية واحدة"[1]. وفي هذا الإطار يمكن إجراء مقارنة بين الانجليزية والألمانية أو بين العربية والعبرية؛ وذلك لاتحاد الفصائل بين اللغات المذكورة.

وهذا إلى جانب المنهج التقابلي أو التجريبي؛ وهو: "المنهج الذي يقارب بين لغتين فأكثر لإبراز أوجه الشبه والاختلاف بينهما"[2]. وواضح أنّ اللغتين المعنيتين في إطار هذا المنهج مختلفتان، أي لا تنتميان إلى أسرة لغوية واحدة، وبذلك يتبين أنّ الاطّلاع على هذه التصنيفات اللسانية يخدم عمل المترجم ويؤهل عمله للدقة العلمية المتوخاة؛ لأنّه حين الإقدام على الترجمة فإنّ تمييز أواصر القربى بين اللغات يمكّن

1- محمد خليفة الأسود: م س، ص 66.
2- محمد خليفة الأسود: م ن، ص 67.

المترجم من معرفة أوجه التشابه بين اللغات على الأقل على مستوى القواعد لأنّ المعجم وروحه هو قاسم مشترك بين اللغات جميعا؛ و إنّما يظهر الاختلاف على مستوى البنية والتركيب.

إنّ الدراسة اللسانية للغات البشرية أبرزت الأنماط والخصائص التي تمتاز بها كل لغة عن الأخرى. فمن خصائص اللغة العربية الإعراب، وهي خاصية تكاد لا توجد في كثير من اللغات التي تنقل عنها العربية أو تنقل عن العربية بطريق الترجمة.

و كذلك خاصية الاشتقاق والتعريف والإسناد الذي يُمثّل نواة الجملة العربية التي تنقسم إلى جملة بسيطة وأخرى مركبة؛ والجملة البسيطة تنقسم إلى اسمية وفعلية والاسمية تتكوّن من مبتدأ وخبر. والجملة الفعلية تتكوّن من فعل وفاعل أو نائب فاعل. هذه الخصائص التركيبية في اللغة العربية قد تكون مفقودة في اللغات الأخرى، وخصوصا من أكثر اللغات المعاصرة التي تنقل عنها العربية بالترجمة وهي الانجليزية وباقي اللغات الأوروبية.

فمن خصائص الانجليزية على المستوى الصوتي تعدّد الأصوات للحرف الواحد مثل cent- cat- special . وهناك ما يكتب ولا ينطق وهناك مالا يكتب وينطق. وأمّا على المستوى النحوي فإنّها لغة لصيقة جدول أفعالها الشاذّة الذي لا يخضع لأية قاعدة قياسية يمثل علامة مميزة في قواعدها؛ بالإضافة إلى جدول من الأزمنة والأفعال المساعدة وآليات تعالق الزمن مع الفعل في صيغ تحفظ عن ظهر قلب مما لا يتسع المجال لذكره.

ممَّا سبق يتبين أنّ المترجم بين لغتين مثل العربية والانجليزية إنّما يتوسَّل منهجيا بالمنهج التقابلي؛ ثم يبحث عن الآليات التي تمكّنه من تلطيف حدة الاختلاف بين اللغتين على المستوى النحوي باعتماد جملة من الإجراءات دأب المترجمون على استثمارها في ترجماتهم. ولأنّ اتجاه البحث إنّما يتعلق بالجانب الدلالي في رحاب النحو التحويلي، فلا شك أنّ النحو التحويلي التوليدي عند" تشومسكي" أحسّ منذ الفترة الأولى أنّ الاعتماد على النحو وحده لا يحلّ الإشكالات المفهومية التي يمكن أن تظهر على سطح جملة واحدة ناهيك عن محاولة نقل دلالتها إلى لغة ولغـــات أخرى.

وهذا الإحساس هو الذي حدا بـــ "تشومسكي" إلى مراجعات دورية – كما سبق– لموقفه من الدلالة؛ وأضحت بالتالي تكوِّن جانباً مهمًّا من جوانب "النظرية التوليدية التحويلية"؛ الشيء الذي مكّن لنظريته أن تكتسب دقة منهجية.

« Le mouvement de sémantique générative se caractérise cependant par l'extrême diversité des formulations qu'il propose. En outre, aucun des linguistes que nous avons cités n'a élaboré de model grammatical aussi complet que ceux de Chomsky »[1].

"إنّ تيار الدلالة التوليدية يتميّز بتنوع كبير في الإجراءات التي يقترحها. إضافة إلى ذلك لا يوجد لساني من المذكورين استطاع أن يُقدّم نموذجا نحويا متكاملا مثلما فعل تشومسكي".

فهذه الأفكار تجعل الاستفادة منها في مجال الترجمة أمرا متيّسرا باعتماد مجمل الإجراءات التي أصبحت قاسما مشتركا لدى جميع المدارس المنضوية تحت تيار"اللسانيات التوليدية التحويلية"؛ و بالانفتاح –كذلك– على التطورات اللاحقة للدرس اللساني التوليدي. ومادام أنّ هذه المدارس اللسانية قد أحسّت بقيمة العنصر الدلالي في التواصل الإنساني بصفة عامة و أولته الاهتمام اللائق به؛ فلا شك أنّ ذلك سينسحب على تناول المترجم لمجمل هذه الإجراءات وتعامله معها.

فمن نافلة القول التذكير بأنّ التطور الحاصل في "علم الدلالة" إنّما يدين في جانب منه إلى انفتاح الدرس "اللساني التوليدي" على العنصر الدلالي. كما لا يفوت التذكير أنّ "علم الدلالة" نفسه قد استفاد من هذه التطورات، وتبوّأ مكانة هامّة في الفكر اللساني المعاصر؛ وأصبحت "الدلاليات" بالتالي مناطا للبحث لدى أقطاب المدارس اللسانية. وبهذا الاعتبار أصبحت المفردة اللسانية الواحدة جزءا من شبكة من الأنساق التي تتقاطع فيما بينها في علاقة تكامليـــة لتحقيق المعنى الكامن في ثنايا نسيج النص.

فالمفردة الواحدة هي ما ينتج عن الصورة الذهنية، وعن جزئيات المعاني المنضوية تحت معنى المفردة نفسها؛ مثل كلمة "منزل"، التي تضم معان متضمنة مثل "سقف– نافذة– جدار–أرضية– باب. . ."؛ ثمّ يُضاف إلى ذلك معناه المعجمي؛ ثمّ معناه

1- Jean-Paul Bronckart : Théories du langage, France, Editions Mardaga, 1995, P212.

السياقي. وهي المعاني التي يتوقف على ضبطها ورصدها قدرة المترجم على الاختيار والانتقاء. فإذا ما أضيف إلى ذلك جانب المهارات اللغوية الذي يجعل المفردة اللغوية تستعمل استعمالات لا حصر لها تُدرك قيمة العنصر الدلالي في النظرية اللسانية؛ مثلا كلمة "منزل" فقد تستعمل بطريقة استعارية لتؤدي دلالة متجددة مثلما ورد في البيت التالي:

لك يا منازل في القلوب منـــازل أقفـــرت أنتِ و هنّ منك أواهل[1]

فكلمة "منازل" هنا تدل على معنيين اثنين أحدهما حقيقي والآخر مجازي. فالمعنى الحقيقي وهو كلمة "منازل" الأولى يدلُّ عليه المعنى المعجمي للكلمة. أمّا الكلمة الثانية "منازل" فهي تدلُّ على معان منها: الوداد والحب والألفة؛ وهي معان لا علاقة لها – من الوجهة الظاهرة– بالمعنى المعجمي لها. يقول "جون ليونز" : "إنّ معنى الجملة يعتمد جزئيا على معنى الكلمات التي تتكوّن منها تلك الجملة، والعامل الآخر ولاشك تركيبها النحوي، إذ يمكن أن تتكوّن جملتان من الكلمات ذاتها، ومع ذلك تختلف الجملتان الواحدة عن الأخرى"[2].

ومن هنا يقع العبء على المترجم في قدرته على الاختيار بين بدائل متعددة يقترحها كلّ من المعجم، والسياق، والاستعمال اللغوي، ويجعله ينقل المعنى دون إخلال بالدلالة أو إنقاص منها مع مراعاة لقواعد النحو وضوابطه؛ لأنّ الحد الأدنى الذي لا يمكن التفريط فيه هو أن الالتزام بقواعد النحو هو من المُسَلَّمات؛ فلا يمكن التفريط في القاعدة النحوية لأنها صمَّام الأمان في كل لغة من اللغات؛ وبالتالي فإنّ مجال اشتغال المترجمين إنما ينصَبُّ على الدلالة لا على النحو لوحده.

إنّ العنصر الدلالي لكل جملة من الجمل في إطار النظرية التحويلية يشتق كلية من بنيتها التحتية عن طريق التأويل الدلالي. ومن هنا فإنّ فتح المجال أمام التأويل الدلالي ليمارس حضوره إنما هو اقتناع بمركزية المكوّن الدلالي وقيمته الكبرى. وسوف يتم التأكيد على أنّ الاعتراف بوجود القدرة التأويلية لدى المترجم تجد لها

1– أبو البقاء العكبري: شرح ديوان المتنبي، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، م3، ط1، 1997، ص263.
2– جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، العراق، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1987، ص24.

صدى في التطور اللاحق للنظرية اللسانية بظهور تيار "اللسانيات الإدراكية" الذي ينصبّ مجال اشتغاله على رصد البنية الذهنية لمتكلم اللغة وعلاقة ذلك كلّه بالبنية اللسانية. وبالتالي يتبين أنّ التركيز إنّما يكون على الدلالة لا على النحو لوحده – على أهمّيته–.

ومن هنا فالمترجم بعد ضبط الجملة تركيبيا ينتقل إلى المكون الدلالي فَيُوليه عناية خاصة: "إنّ كثيرا من الجمل التي يعتبرها اللساني جملا نحوية لا تجد لها مكانا في الواقع. وإذا كانت هذه الجمل قد بُنيت على صورتها التي هي عليها بشكل مقصود فإنّها ستكون مستحيلة على فَهْم المتكلم أو سيضطر إلى تأويلها. وندرك بهذا أنّ الجمل عندما تدخل في حيز الواقع عن طريق المتكلّم تختلف لأسباب نفسية مع العلم أنّ اللساني يصفها جميعها بأنها قاعدية"[(1)].

وبهذا الفهم تتيح النظرية التوليدية التحويلية بإدراجها للمكوِّن الدلالي للمترجم مجالا لممارسة عمله الترجمي بدون قيود ضاغطة؛ ما دام أنّ الأمر ليس بيد المترجم ولا حيلة له إذا تحمّلت الجمل من المعاني والدلالات ما لا يقدر على حصره. وهذا كلّه في مجال الجمل العادية في مواقف التخاطب المختلفة فكيف يكون الأمر إذا انصبّ نشاط الترجمة على الآثار الأدبية التي تزخر بضروب شتى من صور التفنن القولي والبراعة البلاغية؟

إنّ الاهتمام بدراسة الدلالة لدى "المدرسة التوليدية التحويلية" نتج عنه الاتجاه السائد حاليا نحو إشراك العناصر الخارجية والداخلية معا للغة في البحث عن ترجيح الدلالة التي يتوقف على فهمها فهم النص في كليته وشموليته. ومن هذه الأبعاد الهامّة في النص الأدبي المعد للترجمة هو البعد المجازي والبعد الاستعاري للملفوظ اللساني:

« Connotation in language involves the semantic or deep-structure of words, expressions, and texts and is, therefore strongly, related to literature and culture » [(2)]

1– منذر عياشي: النظرية التوليدية و مناهج البحث عند تشومسكي، الفكر العربي المعاصر، العدد 40، تموز آب 1986، ص43.

2 –Salih Salim Ali : Connotation and cross-cultural semantics, Translation journal,volume 10,number 4, October 2006, P 03.

"المجاز في اللغة يشرك الدلالة أي البنية العميقة للكلمات والتعابير والنصوص كما أنّه مرتبط أيضا بالأدب وبالثقافة".

فإذا كانت النظرية الدلالية اكتسبت هذا القبول العلمي بفضل الأفكار اللسانية التي عُرضت سابقا فإنّ الترجمة تستفيد بدورها عُدّة نظرية تجعل تطبيق هذه الإجراءات كلها أو بعضها مما تحفل به النظريات الدلالية المختلفة. وبالاستناد إلى منجزات المناهج العلمية الحديثة فإنّ إخضاع هذه الأفكار إلى الدراسة يستدعي التحلي بالموضوعية والدقة في عرض هذه القضايا. ولتيسير ذلك وتذليل هذه الصعوبات والعوائق لجأ علماء الدلالة المعاصرون إلى اعتماد تقسيم للدلالات يتمثل في الدلالة المركزية والدلالة الهامشية. ولقد تعدَّدت المصطلحات لهذين النوعين من الدلالات ولكنّ أشهر هذه المصطلحات هما:"Dénotation et Connotation".

ففي اللغة العربية لم يقع الإجماع على مصطلح بعينه كما سبق بيانه؛ فمن المصطلحات المتداولة والتي تقترب من مادة هذا البحث هما مصطلحا: "الحقيقة والمجاز. ويشكلّ البحث في إطارهما مادة خصبة تنفتح على آفاق أرحب وأوسع.

وبالتالي فالمترجم إمّا أن تكون ترجمته تجنح نحو الدلالات الحقيقية فينقلها إلى اللغة الهدف نقلاً أميناً حقيقياً؛ و إمّا أن يجنح نحو الدلالات المجازية فيوليها عناية خاصة لكي يكتسب عمله الترجمي ثقة وقبولاً. واستناداً إلى مبدأ الكليات اللسانية عند "تشومسكي" فإنّ التعامل مع الدلالات المجازية لا يبتعد كثيرا عن هذا المبدأ.

وذلك من منطلق أنّ المترجم خصوصا مترجم النصوص الأدبية الإبداعية المثقلة بصور المجاز والاستعارة والكناية يحتاج إلى جهد للحصول على ما يناظرها في اللغة الهدف، إلا أنّ هناك قدْراً مشتركاً لدلالة الكلمات في كلّ بيئة هو الذي يطلق عليه "المعاني الكلية". وبمقدار ما يُوفق المترجم في تحديد ما هو عامّ و مشترك بين البشر جميعا على المستوى اللغوي فإنّه يوفق إلى الاقتراب من السمات الدلالية المركزية التي هي جوامع مشتركة لا ينفكّ الوجود الإنساني عنها استعمالا في إطار التخاطب اليومي. وهي "الكليات الدلالية" الموجودة في كل اللغات بدون استثناء مثل كليات: الحياة- الموت- الحب- الصحة- المرض- الحسد- الحرية...؛ فهذه الكليات

لا يجهلها إنسان في إطار لغته مهما ارتقى في سلم الحضارة أو تردّى في دركات التخلف.

وهذا كلّه إذا حافظت هذه الكليات الدلالية على دلالتها الحقيقية؛ أمّا في حالة الشحن الدلالي الذي يضيف سمات دلالية أخرى عليها فهنا يجد المترجم نفسه أمام دلالات إضافية قد تغدو بالاستعمال دلالة حقيقية ترتبط بها دلالات إضافية أخرى ممّا يحتّم عليه التحلي بنصيب من التركيز لضبط مجمل هذه الدلالات. ومن هنا تتأرجح الدلالة بين الدلالة المركزية الحقيقية وبين الدلالات المجازية التي يُطلق عليها الهامشية والإضافية والحاقة وغيرها من الأوصاف. كما أنّ دراسة هذه الدلالات في مجال نظرية الترجمة يعتبر من البحوث المتأخرة بالمقارنة مع دراسات الترجمة الأخرى والبحث في إطارها ما يزال يسعى حثيثاً للوصول إلى مستويات أرفع وأضبط.

ولقد اتجهت البحوث الدلالية نحو دراسات "المجاز" وسائر أشكال التحول الدلالي الذي يعتري المفردة اللغوية ضمن شبكات من الدلالات المترادفة والمتعاكسة والمشتركة مستفيدة – على وجه الخصوص– من إسهام "اللسانيات الإدراكية" التي بنت نظريتها اللسانية على إحلال البنية الذهنية المتضمنة في صلب اللغة مكانة مركزية. وتحوّل مجال اهتمام المترجمين من اللغة وأدواتها إلى دراسة المفاهيم المُحرّكة لإنتاج اللغة.

« The foreign words are transformed into concepts, and these concepts become the basis for a translator’s producing essentially the same meaning in another language[1]".

" **إنّ** الكلمات الأجنبية تُحوَّل إلى مفاهيم، وهذه المفاهيم تغدو أساسا لإنتاج المترجم لنفس المعنى في اللغة الأخرى".

وهذا ما يجب البحث في إطاره؛ وهو إطار الدلالات المجازية في اللغة الواحدة والبحث في خصائص هذه الدلالات المجازية في التركيب اللغوي؛ وعمليات التحول المفهومي الذي يطرأ على الوحدات اللغوية.

---

1 –Eugine A Nida : Contexts in Translation, Netherlands, Amsterdam, John Benjamins Publishing Company, 1984, P78.

- خصائص الدلالات المجازية:

تطرح مسألة الترجمة المجازية جملة من العوائق تتعلّق بطبيعة "المجاز" وموقعه من خارطة البحث اللساني؛ وهي المسألة التي عُرضت أسسها سابقا. وتمّ التأكيد على أنّ انفتاح الدرس اللساني على العنصر الدلالي مكّن للدلالة المجازية أن تدلف إلى ساحة البحث اللساني وتكتسب مشروعية في الانتماء إلى رحاب اللسانيات. كمّا تتعلّق العوائق من جهة أخرى بطبيعة الترجمة ذاتها التي تعرف وفرة في الإجراءات والنظريات المتعدّدة. كما تتعلّق أيضا بمهارة المترجم وقدرته على النفاذ إلى تحقيق الدلالة المقصودة. "إنّ المترجم لا يقوم بالمحاكاة وحسب، ولكنه يشارك المؤلف الأصلي في مسئوليته في العمل الإبداعي والكتابة الإبداعية، وعليه أن يلجأ للاستراتيجيات المختلفة باستخدام حدسه الشخصي ومهارته وذكائه وغير ذلك من القدرات الفنية، وذلك من أجل الوصول إلى ترجمة جيدة"[1].

ومن الخصائص التي يمكن إيرادها عن الدلالات المجازية ما يلي:

- يُلاحظ أنّ استعمال المجازات ليس له أي ضابط لغلبة الطابع الذاتي المستمدّ من تجارب الفرد وأحاسيسه، وهذا ينسحب على كلّ الكلمات داخل المجال المعجمي التي يمكن تحميلها وشحنها بهذه الطاقات التعبيرية.

- يُلاحظ أنّ الدلالات المجازية يشيع استعمالها لدى فئات اجتماعية معينة بدلالات مقصودة ضمن أطرها الخاصة المعيّنة مثل: معجم الحرفيين، معجم الطبقة المثقفة، معجم السياسيين. وهؤلاء يوظفون ألفاظ اللغة بطريقة مجازية في إطار رتبهم الاجتماعية. والأظهر من هؤلاء وأولئك فئة الأدباء - إن جاز تمييزهم في طبقة اجتماعية - الذين يجنحون إلى استخدام الدلالات المجازية لأغراض فنية وجمالية تعكس بنيات عميقة للقول اللساني لا يتمّ فك ترميزها إلاّ في إطار هذه الجماعة اللسانية المتجانسة اجتماعيا. وهذا من شأنه أن يخلق تعدُّد المراتب التعبيرية للدلالات المجازية؛ و هذا ما يجعل هذه الفئات الاجتماعية تستخدم معجما لغويا تتداوله فيما بينها وتعمل على استعمال ألفاظ اللغة بطريقة معينة قصدا إلى تحقيق أهداف مختلفة.

1- محمد حسن يوسف : كيف تترجم؟ لبنان، بيروت، الجامعة الأمريكية ، ط1، 1997، ص 78.

– يُلاحظ أنّ الدلالات المجازية تكتسب صعوبة في الدراسة تتأتّى من منظار عدم خضوعها للدرس والبحث والتنقيب على غرار باقي المباحث الدلالية التي أُفردت بالدرس مثل علاقة الدال والمدلول وأنواع الأدلّة. و بالتالي فهو موضوع بكر يحتاج إلى الإقبال على دراسته وبحثه وتيسير سبل الاستفادة من النظريات التي تطرح للبحث لتعلّق ذلك بالبحث اللساني و الإنساني على حد سواء.

– يُلاحظ أنّ الانتباه إلى وجود المجاز ذاته في ثنايا القول اللساني وفي ثنايا النصوص الإبداعية ليس متيسرا لدى طائفة من المشتغلين بالترجمة نفسها لتعلّق ذلك بمهارات التفنن في القول و الإبداع فيه.

– يُلاحظ أنّ تطبيقات النحو التحويلي على دراسات المجاز وسائر أضرب الفنون البلاغية لم يجد له مجالا للتطبيق والدراسة؛ لاشتغال النظرية اللسانية التوليدية بالتنظير للقول اللساني ضمن أكثر البنى النحوية أصالة وبساطة لضبط الأصول النحوية ورصد امتداداتها و تفرعاتها النحوية المحتملة. فمن المعلوم أنّ مجال التطبيق اللساني للنظرية اللسانية التحويلية إنّما ينصبّ على الجمل البسيطة ذات الدلالات الحقيقية – غالبا –؛ بينما ترتدّ دراسة المجاز والاستعارة وأضربهما نحو علوم لغوية أخرى أشهرها: البلاغة والمنطق. في الوقت الذي تتجه فيه الأبحاث اللسانية المعاصرة نحو الدراسة اللسانية النحوية للمجاز والاستعارة كليهما بالاستفادة – خصوصا– من العلوم النفسية والعصبية.

ولقد وجد من الباحثين اللسانيّين من اتجه صوب البحث في لسانية المجاز والاستعارة و رصد الأسس النحوية لهما:

« My main audience is therefore the community of linguists at large, including other students of language who are interested in the identification and study of metaphor grammar and usage, with special interest into its cognitive nature, function, and effects. » [1]

1- Gerard J. Steen : Finding metaphor in grammar and usage, Netherlands, Amsterdam, John Benjamin publishing, 2007, p 04.

" إنّ قرّائي – عموما – هم من اللسانيّين، ومن ضمنهم طلاب اللغة المهتمّين أساسا بتمثل ودراسة قواعد الاستعارة واستعمالاتها، مع تركيز خاص على طابعها الإدراكي وعلى وظيفتها و على وقعها".

ولا يغيب عن البال أنّ الفضل في الالتفات إلى دراسة "المجاز" دراسة لسانية إنّما يعود إلى إشارات "تشومسكي" في مجال الحديث عن الكليات اللسانية، و مفاهيم كل من البنية العميقة و البنية السطحية، إضافة إلى إدراج المكون الدلالي في النظرية اللسانية.

ظهر في ظل المدرسة التوليدية التحويلية إمكانية الترجمة كفاعلية لسانية أتاحها إمكانية القول بالكليات اللسانية في إطار المكوّن الدلالي وارتباطه بالمكونات الأخرى الصوتية والنحوية. غير أنّ الترجمة الهادفة إلى تحقيق التعادل الموضوعي إنّما تركّز على المكوِّن الدلالي؛ الذي ينشطر إلى مكون دلالي حقيقي وآخر مجازي.

تشكّل ترجمة الدلالات المجازية وسُبُل التعامل معها إشكالا مطروحا للبحث؛ خاصة حينما يُعلم أنّ هذا النوع من الدلالات المجازية كما سبق ذكره ينتصر لوجوده ويدافع عنه ثلّة من الباحثين والمؤلفين حتى أنّ منهم من يرى أنّ تفكيرنا كلّه يسير على نحو مجازي. "لأنّنا لا يمكن أن نفكر إلا على نحو مجازي والمجازات تشكّل أطرا نتلقى من خلالها الأشياء ونفهمها، أي أنّنا نفكر بالمجازات (التشبيهات والاستعارات والقصص والكنايات والأمثال) التي تتيح لنا فهم الأشياء باتساع يتوفر على الطلاقة والأصالة والمرونة"[1].

ومن هنا يمكن للبحث أن يدلف رويدا نحو مبحث لساني جديد في ساحة الفكر اللساني المعاصر و يكتسب مشروعية الانتماء إلى الدرس اللساني بتطبيق كلّ ما تتوفر عليه الآلية اللسانية من إجراءات ومفاهيم تحليلية.

وبذلك تُعلن الدلالات المجازية عن وجودها ليس كقسيم ثانوي هامشي وإنما ترتدُّ إلى مرتبة مركزية أصلية وأصيلة. "إنّنا عبر أو ما يمكن أن نسميه بالتفكير المتجسد أو

1- علي أحمد الديري: مجازات بها نرى، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط،1، 2001، ص 13.

التفكير الاستعاري أو التفكير المجازي، نتخيل ونتوقع ونستنتج ونقرر ونفهم ونفسر ونُقنع ونقتنع ونُحاجج"[1].

وهذا ما يفرض التأكيد مع إضفاء شرعية الوجود والتميّز على هذا النوع من الدلالات أن يتسلّح الباحث بالنظريات اللسانية التي تُدلي بدَلوها في هذه الدراسة لتذليل صعوبات النقل لهذه الدلالات المجازية.

- القيمة المجازية للملفوظ اللساني:

يخضع نقل الصور المجازية لعدة اعتبارات تتعلّق أساسا بالقدرة على تحديد الصورة المجازية ذاتها؛ ثمّ البحث عن آليات التحول الدلالي الذي يعتري الوحدات المعجمية، لتقبل إجراء الشحن المجازي للوحدة المعجمية؛ فينقلها -بالتالي- من الاستعمال المعجمي المتداول والمتعارف عليه إلى أجواء مجازية واستعارية وكنائية تبتعد شيئا فشيئا عن المعنى المركزي الأولي.

من أجل نقل الصور المجازية لا بد من معرفة تصنيف الصورة المجازية على أنّها مجازية أي ليست حقيقية؛ فمن مميزات الدلالة الحقيقية أنها تشتمل على الملامح التمييزية. أمّا الصورة المجازية فهي على الخلاف من ذلك تشتمل على ملامح غير تمييزية.

«La connotation d'un terme recouvre un ensemble de traits non distinctifs »[2]

وبمناسبة الحديث عن الملامح التمييزية فإنّ "علم الدلالة الألسني" ما فتئ يطوّر الأفكار التي سبق أن شرحها وبسطها تلاميذ "تشومسكي" "كاتــز" و "فــودور" بداية من سنة 1963. كانت هذه الأفكار هي الدافع الذي حدا "تشومسكي" إلى إعادة النظر في نظريته التوليدية التحويلية وإحلال الدلالة المحلّ الذي تستحقه من العناية والدرس.

1- عبد المجيد جحفة: م س، ص 109.

2 -Jean Rene Ladmiral: Traduire: Théorèmes pour la traduction, France, Gallimard, 1994; page 139.

غير أنّ ثمّة خلافا طرأ بين "تشومسكي" وتلاميذه فيما يخص العلاقة بين البنية الدلالية للكلمات والجمل وبين البنية التصورية التي تصدر عنها اللغة. ومن هنا اتجه البحث الدلالي نحو محاولة إثبات مركزية التصور الذهني في عملية التدليل؛ فالبنية الدلالية هي فرع من البنية التصورية وخصوصا البنيات التصورية التي يُعبّر عنها بواسطة اللغة. والدليل على ذلك أنّ: "الدلالة في اللغة ما هي إلاّ حالة خاصّة تحترم مبادئ عامّة تتحكم في السلوك البشري غير اللغوي أيضا، حيث تعتبر البنية الدلالية جزءًا من البنية التصورية"[1].

وهذا التصور للبنية التصورية يجعل الملفوظ اللساني لا يعتمد على اللغة لوحدها؛ وإن كان يتحقق بها، بل يشرك جوانب هامّة أخرى. وبهذا الطرح يتبيَّن أنّ اللغة جزء من الذهن وأنَّ ما ليس فيه فِكر ليس فيه لغة على الإطلاق وأنّ المعاني والدلالات تمثلان بنية لسانية معبرة عن البنية الذهنية الفكرية. وبهذا الأساس فإنّ حدود اللغة هي حدود الفكر وأنه خارج حدود الذهن ليس ثمة لغة لأنَّه ليس هناك ما يُمكن أن يُعبَّر عنه.

هذه الأفكار تتناسق مع التجارب التي أجراها "تشومسكي" وفريقه العامل في مجال علم النفس الإدراكي كما تتناسق مع الإطار العام للنظرية التوليدية التحويلية التي تنتصر إلى أهمية إدماج المكوِّن الدلالي على المستوى البنيوي العميق."فحلُّ شفرة الجمل إلى جمل نواة أو بنية عميقة وواقع سيكولوجي معين، يبدو فيها أساساً ضرورياً لتقييم معنى الجمل وما ثبت بشكل واضح إلى حدّ كبير على الإطلاق أنّ تلك العمليات التي ينفّذ بها الناس هذه الشفرة الجملة تتناظر مع القوانين المعطاة في النحو التحويلي"[2].

وبهذا الإجراء تستطيع اللسانيات أن تعلن عن "لسانية الدلالة المجازية" وقابليتها للإخضاع للدرس اللساني بتوفير الآراء اللسانية التي تفتح المجال أمام إدراج المجاز وأضربه في إطار اللسانيات المعاصرة.

1- عبد المجيد جحفة: م س، ص 109.

2- جوديت غرين: علم اللغة النفسي، تشومسكي وعلم النفس، ترجمة مصطفى التوني، مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص 167

وما فتئت الأبحاث في هذا المجال تتقاطع مع ما قرّره "تشومسكي" وأضحت تكتسب صفة العلمية بعد ما كانت مباحث فلسفية منطقية، وفي أحسن الأحوال مباحث أدبية ونقدية و بلاغية.

«C'est par un acte de langage, une pratique, que s'exprime une pensée. Cet acte est le fait d'un sujet. Ce sujet parlant inscrit cet acte de langage dans la temporalité et se représente dans cet acte, il en est le pivot autour duquel se construit un spatiotemporel ». (1)

" إنّه بواسطة فعل اللغة وبممارستها يُعبّر عن الفكرة. هذا الفعل هو صنيع فاعل. هذا الفاعل المتكلم يدرج هذا الفعل اللغوي في الزمان كما يتمثل بواسطة هذا الفعل، فهو المحور الذي ينبني به إطاره المكاني والزماني".

وبالتالي يتبيَّن شدّة ارتباط اللغة بالفكر وبالصور الذهنية التي تتيح للإنسان استخدام لغته في مواجهته لعالم الأشياء، لأنّه بالطريقة التي تنتظم بها الأشياء ينتظم فكره ولغته تَبَعاً لذلك، فلا مَفَر إذن من دراسة عالم الذهن لأنّه المرجع في دراسة المعاني. فلقد ركّزت المدارس اللسانية على اللغة ومستوياتها وأبنيتها وتراتبية أنظمتها الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية؛ ولكن لم يكن في الإمكان تصور اتجاه للبحث اللساني لا يرى في اللغة موضوع اللسان الوحيد والأوحد؛ وإنّما يشرك الفواعل الحقيقية الكامنة التي تجعل فعل اللغة يتحقق في الواقع ويمارس دوره الابلاغي.

« The consistency of human behaviour, such as it is, is due entirely to the fact than men have formulated their desires, and subsequently rationalized them in terms of words »(2) .

"إنّ ثبات السلوك الإنساني مثلما هو عليه يرجع أساسا إلى واقع أنّ الناس كيّفوا أهواءهم ثم عقلنوها بواسطة الكلمات".

وهذا ما يُعيد إلى الدلالات المجازية موقعها من خارطة النظام اللساني برُمَّته. وكما سبق فإنّ استعمال الكلمات منها ما هو حقيقي ومنها ما هو مجازي. والحقيقي يدلّ

1 –André Dédét : Structure de langage et de l'inconscient, France, Ed L'harmattan, 2003 P 10.
2 –Dan Slobin: Psycholinguistics, USA Scot foresman, 1991; p.90

على البنية التصورية الذهنية لدى الإنسان، والمجاز بدوره أيضا يقوم دليلاً على البنية التصورية حتىّ وإن كان المجاز يستعمل بطريقة إبداعية وفنية جمالية تجعل الإنسان يجنح بالحقيقة نحو المجاز.

ولئن كانت الألفاظ والكلمات الحقيقية تتطابق مع الواقع الخارجي، فإنّ المجاز بجنوحه نحو اختراق الحقيقة إلى ما هو مجازي يكون بهذا الاعتبار ألصق بالبنية التصورية؛ وبالتالي يُبحث عن دلالة الكلمة المجازية ليس على مستوى الواقع والحقيقة ولكن على مستوى الذهن والإدراك. فهل معنى ذلك أنّ المجاز بأضربُه من مجاز عقلي واستعارة وتشبيه مبتوت الصلة بالواقع والحقيقة ولا نصيب له منهما؟ بل كيف يمكن الحكم على ما لا حقيقة له في الواقع؟

إنّ الإجابة تكمُن في التمثيل لأنّ المجاز دوماً هو صورة مأخوذة من صور واقعية تكون مشتركة بينهما بطريق المشابهة وهو ما يطلق عليه الاستعارة، لأنّ الاستعارة تشبيه حُذِف أحد طرفيه؛ أو بطريق المجاز الذي هو "اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة مع قرينة دالّة على عدم إرادة المعنى الأصلي"[1].

والتشبيه هو تمثيل صورة بصورة مأخوذة من الواقع الذي تراكم في ذهن الإنسان عبر الزمان. وبالتالي تقوم شُعَبُ المجاز المذكورة على التمثيل في كلّ منها، وهذا التمثيل هو الذي يجعل افتراض البنية التصويرية للكلمات المجازية مُمكنا. فمثلا يقال عن إنسان بأنّه" أُذُن" وهي كلمة تطلق على الرجل الذي يستمع لكلام الناس كثيرا. فما الذي دفع إلى إطلاق هذه الكلمة عليه؟

في البلاغة يقال إن كلمة "أُذُن" مجاز "علاقته الجزئية" أي إطلاق الجزء على الكلّ. والأُذُن هنا جزء أُطلق على الكلّ وهو الإنسان. ولا شك أنّ الأُذُن آلة السمع ولكن لأنّ هذا الإنسان غلب عليه استعمال هذه الآلة كثيرا فأطلقت عليه. فهذا الإطلاق ليس مقطوع الصلة مع الواقع، إنّه تضخيم لجزء من الواقع فقط.

وبالتالي فالعلاقة الخارجية في المجاز ليست منعدمة تماماً. وذلك لأنّ الوجود الإنساني ملتحم بعالم الأشياء لا يستطيع منه فكاكا؛ وإنّما يستثمر الإنسان كل الحواس

1- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، لبنان، بيروت، مؤسسة المعارف، بدون تاريخ، ص 102.

التي بحوزته في سبيل فهم العالم المحيط به ثمّ استعمال هذا الفهم بإشراك المجموعة اللسانية التي ينتمي إليها فيما هو بصدد إدراكه عن الواقع. وهي المعطيات التي تجعل اللغة تقع في مركز الاهتمام مجدّدا؛ لأنّ ألفاظ اللغة وكلماتها هي نواقل هذه الصور والأيقونات والانطباعات الذهنية.

وعلى الرغم من أنّ الإشارة سبقت إلى أنّ المجاز والاستعارة وغيرهما وإن كانا يتحققان باللغة؛ فإنّ طابعهما ليس خالصا لتعلّقهما بالعملية النفسية والعصبية؛ غير أنّ من الباحثين من يصرُّ على احتفاظ المجاز بطابعه اللغوي. وهكذا فالمجاز وتوابعه "عملية لغوية تعمل على إنتاج بنيات لغوية من نوع معين، هي البنيات المسمَّاة مولّدة ويتحكّم في إنتاجها ما هو تصوّري وبذلك فإنّ بناءها يتمّ على مستوى التمثيل الذهني."[1]

هذه المقاربات وإن كان ميدانها النصوص الأدبية والإبداعية عموما لارتباطها بالبلاغة والأسلوبية إلا أنّ الفتوحات العلمية المعاصرة في استثمارها للنظرية "التوليدية التحويلية" تجاوزت الإطار الأدبي لكي تجعل دراسة المجاز والاستعارة وضروب الصور البيانية من صميم البحث العلمي النفسي واللساني. فمنذ الستينيات أصبحت الاستعارة المجازية رائدة في تطوير نظريات الإدراك، هذه النظريات التي تشكّل مبحثا مهما من مباحث "علم النفس الإدراكي". وهي تنظر إلى الذهن البشري على أنّه يشكل جهازاً حاسوبياً مزوَّداً بوسائل لتغذية المعلومات فيه وإخراجها منه بالإضافة إلى تزويده ببرامج مختلفة تعمل على توجيه عمل هذا الجهاز بواسطة بيانات مُخزّنة في قاعدة بيانات الدماغ البشري.

وبذلك تجد الدراسة اللسانية نفسها تتعامل مع مبحث في غاية التعقيد والجِدَّة؛ لأنّ المجاز أضحى بمكانته هذه يسهم في بناء المعنى وإنتاجه ويتدّخل في إبداع الدلالة وإخراجها إلى حيز الوجود والتحقُّق.

وهذا مَكَّن من مراجعة النظر في فلسفة العلامة من جذورها؛ فبينما كان الدليل اللساني يتكوَّن من دال ومدلول وأنّ اتحادّهما معا هو ما يُشكّل الدلالة؛ أصبح المجاز

1- عبد المجيد جحفة: م س، ص110.

بذاته ينقسم هو الآخر إلى "دال المجاز" le signifiant de la connotation" وإلى "مدلول المجاز"le signifié de la connotation ". وكلاهما مظهر من مظاهر الفكر الذي يصبغ عليهما ما يشاء من قوالب وتعابير تَمتَح من البيئة ومن الفطرة ومن الخبرة ومن التجارب الحياتية المتلاحقة.

"عندما نتعامل مع الاستعارة باعتبارها مظهرا فكريا وأنّها تتبني على تفاعل فكرين نشيطين فإنَّنا نتصورها مركزية في الفكر البشري، وفي طريقة الناس في التفكير والنظر إلى الموضوعات داخل شبكات من العلاقات التي تقوم على مُسوِّغات مثل المشابهة والمجاورة والتضمن[1]. وبهذا الاعتبار أصبحت الصور المجازية والاستعارية تكتسب مجالا خصبا يظهر أهميتها؛ و يقف بواسطتها أيُّ إنسان على مكامن الجمال الأدبي والمهارة اللسانية التي تجعل بعض المبدعين يتمكّنون من احتراف اللغة واستنزاف طاقاتها التعبيرية؛ ويعكسون شغفا بالقول اللساني يتجاوز حدود اللغة نفسها إلى إشراك عوامل الثقافة والتاريخ والاجتماع الإنساني لإخراج روائع من الأدب الإنساني تتعدّى حدود الزمان و المكان و تسجّل حضورا لافتا يظهر إمكانيات اللغة الضخمة وقدرتها على التواصل الإنساني المبدع.

إلاّ أنّه من اللافت التذكير أنّ مهارات الاستعمال القولي لا تتعلّق بكون الشخص أديبا أو مبدعا أو كاتبا أو خطيبا مفوّها؛ فقد يُصادَف في مواقف التخاطب اليومي من العبارات ما يمكن أن يعُجّ بوفرة من استخدامات للمجاز والاستعارة بشكل لافت؛ وتصدر من أناس لا نصيب لهم من العلم والتعلم، ممّا يعكس حضورا اجتماعيا بارزا للمجاز لدى كل الطبقات الاجتماعية على اختلاف توجهاتها؛ حتىّ وإن كان هذا الاستعمال متفاوتا بشكل واضح بين شخص وآخر.

كما تشير الملاحظة الفاحصة لنسب استخدام المجاز داخل المجتمع إلى جانب آخر لا يقل أهمّية وهو جانب الفهم والإدراك؛ فحتى الشخص الذي يقلّ استخدام المجاز عنده فإنّه يستطيع أن يفهمه ويدركه و ينخرط بالتالي في دورة تخاطبية مكتملة.

1- عبد الإله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية، المغرب، دار توبقال، ط1، 2001، ص64.

فإذا كانت اللغة يظهر فيها الجانب الفطري فهل معنى ذلك أنّ التفكير الاستعاري يظهر فيه تبعا لذلك الجانب الفطري أيضا؟

ما يمكن ملاحظته من خلال معاينة الواقع اللغوي الاجتماعي أنّ الأطفال في سن الاكتساب يميلون إلى استخدام "المجاز" وأضربه وخصوصا "التشبيه"؛ الذي يساير عملية الاكتساب اللغوي ابتداء، ثمّ عملية التعلم اللغوي في درجة لاحقة. كما يُلاحظ أنّ هذه العمليات اللغوية تعكس مهارات فكرية وذهنية تمثّل تطور البنية المعرفية للطفل في مرحلة الاكتساب اللغوي بطريقة آلية ولاشعورية.

يظهر من هذا القول إذن أنَّ التفكير الاستعاري فطري في الإنسان لأنّ مجال استخدامه ليس مقصورا على الشعراء والمبدعين حتىّ الأطفال في سِنِّ الاكتساب يميلون إلى استخدام المجاز والتشبيه والاستعارة وهي بذلك فطرية عند الإنسان وفي لغته خصوصا؛ وبإيجاز فإن المجاز من خصائص التفكير البشري.

وبذلك يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أنّ المجاز مثله مثل اللّغة نفسها فطري في الإنسان؛ وهذا يتلاقى بدقة مع ما قرَّره "تشومسكي" حول فطرية اللغة وحول الكليات اللغوية. فلا غرابة أنّ تشومسكي بنظريته التوليدية التحويلية فتح المجال أمام المجاز لِيدْلُفَ إلى ساحة البحث والدراسة اللسانية ليحلّ كثيرا من الإشكاليات التي تتعلّق بالمفاهيم والادراكات وهي القضايا التي كانت محلّ أخذ ورد؛ و في أحيان كثيرة قد تنعت بأنها "سوفسطائية فكرية" لا طائل من ورائها. غير أنَّ ما تمَّ انجازه في ظل علم النفس الإدراكي وفي اللسانيات التحويلية التوليدية عند تشومسكي يدحض هذا الرأي الأخير ويفتح المجال أمام تفسير علمي للعمليات العقلية التي تتمّ على مستوى الدماغ ممّا له ارتباط وثيق بتكوين الملكة اللُّغوية لدى الإنسان.

وقد حاول تشومسكي أن يصوغ نظريته اللسانية انطلاقا من مستوى الاكتساب اللغوي عند الأطفال ثم ارتقاءً حتىّ تصل اللغة إلى درجة الكمال والاكتمال كما هي عند المحترفين من هواة الأدب والإبداع، فحتّى ولو تحمّلت كلمات اللغة من الدلالات المتكاثرة على مستوى الوحدة المعجمية الواحدة؛ فإن ّ سَنَن التخاطب اللساني بما استقرّ عليه العرف والاستعمال يستطيع تمييز الدلالة المقصودة بالالتجاء إلى السياق وبالاستناد إليه.

« De nombreux mots possèdent plus d'une signification mais, en général, cela ne nous trouble pas parce que le contexte dans lequel apparait un mot nous informe sur la signification appropriée ». [1]

"تمتلك كلمات كثيرة أكثر من دلالة، غير أنّ هذا بصفة عامة لا يخيفنا لأنّ السياق الذي تظهر فيه الكلمة يُعلمنا عن دلالتها التقريبية".

فهذا التصوّر الذي تعكسه وحدات اللغة المعجمية يظهر قدرة اللغة على تشكيل العقل الإنساني بالشكل الذي يؤمّن للإنسان أسباب الاندماج الاجتماعي بواسطة اللغة. وهذا التأسيس الجماعي للغة لا ينفك عن اللغة وجودا وعدما، ويصبح عاملا أساسيا في تكوين التصورات الإنسانية الاجتماعية. وبهذا الاعتبار تصبح اللغة لدى الطفل وهو في مراحله الأولى نافذته المُطلّة على العالم الرحب و الواسع الذي يشكّل إدراكه وفهمه بالنسبة له رهانا حقيقيا لتحقيق وجوده واثبات انتمائه إليه.

كما تظهر وظيفة اللغة الأساسية أيضا في احتياج الطفل لها للإبلاغ عن الحاجات البيولوجية، وترافقه في سائر المهارات الأخرى كالحفظ والتذكر والعمليات العقلية والحسابية بل وحتى المهارات الحركية و الحسية المختلفة؛ فكلها تستدعي حضورا لغويا لأنها تتم بها وبواسطتها. إنّ تكوين اللغة يبدأ بمجموعة من الأحرف التي تؤدي فيما بعد إلى أحرف موجهة ومقصودة يستعملها الطفل بتوجيهها نحو المواقف التي تحيط به. "إنّ الأحرف والمفردات ترتبط ارتباطا وثيقا في البُنى المعرفية التي تشكّل في المُحصّلة النهائية الصور الذهنية، وهذا بعد مرحلة بدائية للنمو المعرفي اللغوي"[2].

وبعد اكتساب الإنسان لهذه اللغة فإنّه يستعملها في كل حين، تصاحبه في كل مظهر من مظاهره الحياتية والاجتماعية. وبمقدار إتقانه في استخدام لغته بما يُحمّلها من الدلالات الحقيقية والمجازية يكون إفهامه للآخر ويكون فهم الآخر له، وهذا الفهم مشروط بما يقتسمان معاً من دلالة الكلمات وإلاّ فشل التواصل بينهما. وهذا كلّه ممّا يثبت قيمة تحميل وحدات اللغة من الإدراكات التي تعكس اتجاه الفرد نفسه في تلوين

1 −Stephen K .Reed : Cognition, Théories et applications, traduction Etienne Verhasselt, Bruxelles, Belgique, De Boeck, 2 ed, 2007, P281.

2− نبيل عبد الهادي: مهارات في اللغة والتفكير، الأردن، دار المسيرة، ط2، 2005، ص 47.

هذه الوحدات اللغوية بما يكسبها من تجاربه وخبراته وتوحي في ذهنه بظلال من الدلالة قد لا تخطر في ذهن فرد في نفس البيئة والمجتمع.

ممّا يبين قيمة الانصراف إلى دراسة كلّ ما يمكن أن يحفّ بالكلمة من معان حافّة ودلالات ذاتية؛ كما يبيّن اختلاف تجارب الأفراد مع الكلمات ودلالاتها قيمة النقل اللغوي لها بطريق الترجمة: "غير أنّ هناك قدرا مشتركا لدلالة الكلمات في كل بيئة هو الذي على أساسه يكون التعامل بالكلمات وعلى مستواه يكون التفاهم بين الأفراد"[1].

وبهذا الاعتبار يمكن الوصول إلى ما يُسمّى التحام الترجمة بالحقل الثقافي بالاعتماد على وجود الكليات اللغوية. فإذن هناك من جهة الكليات اللغوية وهناك من جهة أخرى الاستعمال الفردي الخاضع للحقل الثقافي للوحدات اللُّغوية. فكيف يمكن التوفيق بينهما؟

انطلاقاً دائما من الإسهام النوعي الذي قدَّمه "تشومسكي" في نظريته التحويلية يمكن التمييز بين مستويين من التعبير يشيع استعمالهما لدى كل فرد متكلم للغة، وهما ما يتعلّق بمستوى التعبير و مستوى المحتوى. وهما يعملان من جهة على إمداد الإنسان بالمادة اللسانية في حدّ ذاتها؛ وعلى شحن هذه المادة اللسانية بالفكر وبالمحتوى الإدراكي الذي يجعل الألفاظ نابضة بالحياة من جهة أخرى، وليست ألفاظا جامدة تتكرّر بصفة آلية ورتيبة.

ومع تكاثر هذه النظرات اللّسانية المعاصرة بحثا عن حقيقة الأدّلة اللسانية وعلاقة التواشُج التي تربط بينها لا يسع الباحث إلاّ أن يُكْبِر تلك النظرات الإرهاصية في التراث العربي الإسلامي التي سَعَت هي الأخرى إلى البحث في أسرار القول اللساني البشري. ومنه هذا النص الذي يرد في هذا الإطار:

"الحقيقة في وضع الألفاظ إنّما هو للدلالة على المعاني الذهنية دون الموجودات الخارجية. والبرهان على ما قلناه هو أنّنا إذا رأينا شَبَحاً من بعيد وظننّاه حجراً سمّيناه بهذا الاسم فإذا دنونا منه وظننَّا كونه شجراً فإنّنا نسمِّيه بذلك، فإذا ازداد التحقق بكونه طائراً سمّيناه بذلك، فإذا حصل التحقيق بكونه رجلا سمَّيناه به، فلا تزال الألقاب تختلف

1- إبراهيم أنيس: م س، ص173.

عليه باعتبار ما يُفهم من الصور الذهنية. فدلَّ ذلك على أنّ إطلاق الألفاظ إنّما يكون باعتبار ما يحصل في الذهن. ولهذا فإنّه يختلف باختلافه"[1].

إنّ هذا النص المذكور آنفا يعكس دقة التطابق بين ما توصلّت إليه اللسانيات في أحدث تطوّر لها وهو اللسانيات الإدراكية؛ وبين محتوى هذا النص الواضح في دلالته على رصد العلاقة بين البنية اللسانية والبنية الذهنية الإدراكية؛ والذي ينتمي لإطار زماني يرتدّ إلى مراحل زمانية متقدّمة عن إطار العصر الحديث.

يؤكّد هذا كلّه دور الذهن و الفكر في صياغة دلالات الألفاظ والكلمات وتحكّمه في اختيار الإنسان للوحدات اللغوية؛ وتعتمد درجة إتقان الإنسان لهذا الاختيار بمقدار إدراكه لواقعه الطبيعي ومهارته في استخدام اللغة التي يمتلكها.

وهذه الأفكار هـــي الإطـــار الذي يشكّل المرجعية العلمية لمدرسة اللسانيات الإدراكية؛ والتي تصبح – بدورها– إطارا مرجعيا لدراسة الترجمة المجازية.

1– يحيى بن حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق لإعجاز، تصحيح رشيد بن علي المرصفي ،مصر، مطبعة المقتطف ، 1994، ص 36.

الفـــصل الثالث

اللسانيات الإدراكية ودراسة الترجمة المجازية

المبحث الأول: اللسانيات الإدراكية

- نظرية الاستعارة عند جورج لايكوف
- المنظور الإدراكي للترجمة

المبحث الثاني: اللسانيات الإدراكية ومراتب الدلالة

- أصناف الدلالات
- آلية النظام الإدراكي

المبحث الثالث: المنظور الإدراكي للترجمة المجازية

- مفهوم التمثل الإدراكي
- التحليل الدلالي عند جاكندوف
- الانحراف الدلالي

المبحث الأول: اللسانيات الإدراكية :

تَدور المعاني في ذهن الإنسان وتجول في خاطره ثم بعد ذلك يُلبسها من الألفاظ ما يعينه على نقل أفكاره إلى الآخرين من أقصر طريق وأخصره، غير أنّ الإنسان يعلم محدودية الألفاظ على نقل ما يدور في ذهنه فيستعيض عنها بصُوَر مأخوذة من الواقع تكون مساعدة له على تقريب ما في نفسه لضرورات الفنّ والجمال أو لضرورات اجتماعية أو سياسية: "ونحن نرى أن الإنسان يذكر معنى فلا يلوح كما ينبغي، فإذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك أن من طبع الخيال حبُّ المحاكاة، فإذا ذكر المعنى وحده أدركه العقل ولكن مع منازعة الخيال، وإذا ذُكِر التشبيه معه أدركه العقل مع معاونة الخيال، ولا شكّ أن الثاني يكون أكمل"[1].

وعلى هذا الأساس فإن إيضاح المعنى بالصور هو أصيل في الفكر الإنساني لما له من دور في تفصيل المعنى وتوضيحه. وهذا يُظهر دور الذهن في قولْبة صور العوالم والأشياء المحيطة بالإنسان وتُكيِّف تفاعله معها، بل وتتحكم في أحكامه القَيمية والفعلية. والدليل على أصالة التمثيل بواسطة اللغة عند الإنسان هو دور التمثيل في اكتساب اللغة وتعلّمها منذ المراحل الأولى للنمو عند الإنسان؛ حيث تتناوب الأشياء حضورا وعدما في العالم المحيط بالطفل فيلجأ إلى التعبير عما غاب عنه بواسطة كلمات جاهزة وإسقاطها على أشياء حاضرة.

"إنّ وسائل التعبير الإنساني كانت جميعها تمثيلية؛ أي تحاول استحضار المُعبَّر بإبراز بعض لوازمه كالشكل أو البنية أو الحركة أو الصوت"(2). و هذا يبيّن أنّ فهم وإدراك عالم اللغة؛ التي تعكس عالم الإنسان الداخلي الذي يموج بالأحاسيس والمشاعر والتصورات المختلفة هو معبر حقيقي نحو فهم العالم الكبير الشاسع.

فَفَهم هذا العالم الصغير ينجَرُّ عنه فهم العالم المترامي الأطراف الذي يعيش في رحابه الإنسان حتى قال أحدهم:

---

[1]- النسابوري: غرائب القرآن، تحقيق زكريا عميران، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996، ج1، ص.195

2- نعيم علوية: بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، لبنان، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط2، 1986، ص11.

وتحسب أنّــك جرم صغــير وفيك انطــوى العالــم الأكبــر

وتحمل هذه الفكرة في ثناياها اهتماما مركزيا بالإنسان على الرغم من ضآلة حجمه بالقياس مع اتساع الكون وأبعاده الساحقة؛ فالإنسان يستخدم مهاراته في تطويع كلّ ما يحيط به؛ في الوقت الذي لا يتيسر ذلك لبقية المخلوقات؛ وهذه الفكرة عبَّر عنها "مورلو بونتي" بقوله:

« Our own body is in the world as the heart is in the organism it keeps the visible spectacle constantly alive, it breathes life into it and sustains it in wardly and with it forms a system"[1] .

" إنّ جسمنا الذاتي بالنسبة للعالم هو بمثابة القلب من الجسم. فهو يجعله منظورا وحيّا؛ وينفخ الحياة فيه؛ كما يُشكّل معه وحدة منسجمة".

يكشف واقع التجربة الإنسانية مع اللغة الطبيعية أنّها كانت ولا تزال تمثل وسيلة الإبلاغ الأسرع والأفضل عبر مسيرة الوجود الإنساني؛ فبواسطتها استطاع الإنسان أن يراكم الخبرات والتجارب؛ وتنتقل منه إلى الآخرين فيشاركهم ويشاركونه هذه الخبرات في إطار المجموعة اللسانية المتجانسة، ثمّ تنتقل هذه الخبرات إلى الآخرين بطريق الترجمة رغم اختلاف المكان والزمان.

فلذلك تمثّل وسائل التجسيم والتشبيه أدوات لا ينفَكُّ عنها وجود الإنسان عبر التاريخ؛ وأهمّ هذه الأدوات هو الأدب لتعلّقه بالناحية الوجدانية الإنسانية؛ وهي الاعتبارات التي حدت بالفكر اللساني المعاصر إلى الاتجاه صوب هذه المباحث.

والدليل على ذلك أنّ دراسات المجاز والاستعارة والتشبيه كانت حكرا على البلاغيين والأسلوبيين فإذا بها تصبح محلّ بحث ودراسة من قبل حقول معرفية شتىّ وأظهرها علم الدلالة الحديث وعلم النفس الإدراكي بفضل الإسهامات التي أوْلتها النظرية التوليدية التحويلية للمكوّن الدلالي بشقّيه الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية. "ولا ريب أنّ الاستعارة، إذ تصبغ تفكيرنا بصبغته الحقيقية فتنزع إلى إعلاء الحدث على "الشيئية"

---

[1]- Maurice Merleau-ponty : Phenomenology of perception, UK, Routledge, 1962, p235.

المستقرة الجامدة، في وسعها، إبّان تعبيرها عن جزء دقيق من العالم، أن توحي بامتداد لا ينتهي، ذلك أنَّنا حينما نتعمق ما لدينا من تجربة عن ذواتِنا لابد لنا أن نحصل على تجربة باطنة عن الواقع بأكمله"[1].

وعندما يتمّ التطرق إلى الحديث عن الاستعارة فإنّه يقصد بها إلى جانب دلالتها البلاغية الدلالة المجازية كما هو متعارف عليه عند علماء الدلالة، ولذلك فإنّ دراسة الاستعارة في الدلالة الحديثة أضحت تتبوأ مكانتها المتميزة وليست انحرافاً دلالياً كما كان ينظر إليها؛ لأنّ الفعل الدلالي القائم على الربط بين الرمز ودليله يجنح إلى عملية تَمثُّل ذهني لسيرورة هذه الدلالة ثمّ يتخيَّر من الألفاظ ما يعينه على إبلاغ مقصوده.

« According to cognitive semantics, metaphor is not simply as matter of figure of speech but a matter of cognition. It should be regarded as a “process of thought” not merely as a piece of language”.[2]

" بمنظار الدلالة الإدراكية فإنّ الاستعارة ليست أداة صورية أو قوليه بل هي أداة إدراكية. ويجب أن ينظر إليها أنّها صيرورة فكرية وليس قطعة لغوية".

هذه الأفكار فتحت المجال واسعا للاستثمار المعرفي في هذا المجال ومكّنت العلماء من التوصل إلى أفكار جديرة بالتأمل والتنقيب؛ ففي الوقت الذي سبق أن برهن فيه "تشومسكي" على شرعية وجود الكليات اللغوية يوجد من العلماء المعاصرين من يجنح إلى الحديث عن كليَّات "التفكير الاستعاري"؛ وهذا انطلاقا من الكليات اللغوية عند "تشومسكي" واستثماراً لها وتجاوزا لإطارها إلى إدراج "التفكير الاستعاري والمجازي" في صلب الكليات اللغوية عند الإنسان.

ومثلما ورد سابقا؛ فإنّ فرادة الظاهرة اللغوية جعلت البحث في فكرة الكليات اللغوية يتجاوز إطار استخلاص القواسم المشتركة بين اللغات؛ إلى محاولة إثبات فطرية اللغة وجاهزيتها للاستعمال منذ المراحل الأولى للولادة. غير أنّ علماء

---

[1]- مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، لبنان، بيروت، دار الأندلس، ط3، 1983، ص 150.

[2] -Michel Santacroce : Faits de langue, faits de discours, France, Ed l’harmattan, 2002. P 34.

اللسانيات الإدراكية سعوا إلى محاولة إثبات وجود الكليات الدلالية التي يتوقف على إثباتها ما يتعلق بالحقيقة والمجاز، لأنّ عليهما مدار العملية الدلالية:

"The intuition behind the semantic decomposition approach is that there is a universal set of primitive semantic concepts, innately given, for which any particular language provides a language-specific label"[(1)].

" إنّ الحدس من خلال مقاربة التحليل الدلالي يبيّن أنّ هناك مجموعة كليّة من المفاهيم الدلالية الأولية الجاهزة والفطرية؛ والتي بواسطتها تتمكّن أية لغة من إمداد نفسها بعلامات لغوية محدّدة".

هذه الأفكار تعكس حجم التراكم المعرفي الذي يظهر جليا في تسلسل الأفكار التي تمهّد إلى ما يليها وتفتح المجال واسعا إمام إثراء لافت للانتباه للنظرية الدلالية واستفادتها من تجارب وآراء الباحثين. ومن هؤلاء الباحثين يوجد الباحث اللساني "جورج لايكوف" وهو أستاذ اللسانيات الإدراكية بأمريكا، ومن أهمّ مؤلفاته: "الاستعارات التي نحيا بها "Metaphors we live by" الصادر سنة 1980. وهو مُؤلَّف كتبه مع "مارك جونسون". وفي هذا الكتاب يعرض هذان المؤلفان لنظريتيهما عن الاستعارة ودورها في التفكير الإنساني؛ حيث أحدثَ ضجة في الأوساط العلمية بصدوره منذ أوائل الثمانينيات. وهو في الوقت نفسه يعتبر من علماء الدلالة اللسانيين الذين تأثروا بأفكار "تشومسكي" وتحمّسوا لها ودافعوا عنها؛ ويظهر هذا الأثر في الإشارة إلى كليات التفكير الاستعاري كما سلف.

- **نظرية الاستعارة عند "جورج لايكوف":**

تتلّخص نظريته في أنّ أمر الاستعارة والمجاز كليهما ليسا هامشيين وإنّما يحتلاّن مكانة هامّة في حياتنا اليومية على اعتبار أنّ جسم الإنسان وقواه الفطرية وقواه الذهنية والتصويرية والإبداعية كلّها تتفاعل فيما بينها؛ لتعكس أنّ الوجود الإنساني منسجم مع العالم الذي يتواجد فيه الإنسان.

[1] -Vyvyan Evans, Melanie Green : Cognitive Linguistics, Edinburgh university press , 2006, P 62.

وهذا ما يفرض عليه إحداثَ التفاعل الإيجابي مع هذا العالم؛ إذ إنّه عن طريق تفاعل الجسم الإنساني مع العالم المحيط به يستكشف الإنسان صور الأشياء ويخزّنها في عقله وإدراكه، ممّا يمهّد له السبيل لاستعمالها لاحقا.

"دافعنا عن كون جزء كبير من نسقنا التصويري العادي مُبنيَن استعاريا، أي أنّ جلّ التصورات تفهم، جزئيا، بواسطة تصورات أخرى" [1].

وبهذا الشكل تُركِّز الدراسة الدلالية عند "لايكوف" على محاولة ربط قدرة الوحدات الدلالية لدى المتكلم بعمليات التحويل المجازي، وهذه القدرة متأتّية أصلا من المَلَكة اللغوية عند كلّ فرد والتي يوظفها لحاجات التواصل.

يشكّل إدراج الملكة اللغوية عند الحديث عن الاستعارة والمجاز كمعطيين لسانيين إدراجا لفكرة "الكليات اللسانية" عند "تشومسكي". غير أنّ اللسانيات الإدراكية تجاوزت الإطار النحوي الذي يشرك أقسام النحو ووجودها في كل "أنحاء" اللغات؛ لأنّه في إطار اللسانيات الإدراكية يتمّ الحديث عن المَلَكة الإبداعية المجازية التي من مظاهرها استخدام الوحدات الدلالية بصفة التعدّد والتمدّد وإكساب العلاقات المجازية بين الوحدات الدلالية مظهراً ذاتياً تستمدّ صلتها من الواقع ويفتح الباب أمام نسبية واضحة في فهم هذه الرموز الشخصية أو الثقافية الواردة في صلب النصوص الأدبية.

لا يعتبر الكاتبان الاستعارة زخرفة فنية ولا خصوصية أدبيَّة وإنما يعتبرانها أمراً من الأمور التي بها يحيا أيّ إنسان؛ مثلها مثل الماء والهواء ومنه جاء اسم الكتاب المشار إليه. وبهذه الطريقة تتواشَجُ عوامل عديدة تُسهم في تكوين تصورات الإنسان حول العالم فهناك الجسد والدماغ والعقل وكلُّها تشترك في إنتاج دلالة الفكرة الاستعارية التي تصبُّ في نسق لغوي.

---

[1]- جورج لايكوف و مارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، المغرب، دار توبقال، ط2، 2009، ص77.

وبالتالي ترتبط البنية الدلالية بالبنية التصورية؛ وذلك لوجود عنصر الرمز والتمثيل في الاستعارة والمجاز."وإذا عمّقنا النظر في هذا الارتباط الجزئي تبيّن لنا أنّه في الحقيقة ليس جزئيّا، فالبنية الدلالية هي البنية التصوّرية، فكلّ ما يُتصور يُعبّر عنه في اللغة، وتُعبّر عنه اللغة كما بُني أي كما هو مُتصوّر في الذهن. ومن هنا فالبنية الدلالية هي البنية التصورية أو أنها إسقاط للبنية التصورية في مجال اللغة." [1]

وهذا ما يثبت ارتباط اللغة بعالم الأشياء الذي يحيط بالإنسان؛ ولا يستطيع منه فكاكا. فالإنسان يعيش في رحاب عالم الأشياء؛ بينما عالم الأشياء نفسه يعيش في الإنسان أيضا، لأنّ هذا العالم إنّما يظهر ويتحقق بواسطة اللغة. وبالتالي يقع على اللغة عبء إعادة صياغة هذا الواقع بنفس الطريقة الوجودية التي يتحقق بها العالم.

غير أنّ هذا القول معناه فتح المجال أمام ذاتية تغيب معها الوقائع الموضوعية ويصعب معها إدراك دلالة الأشياء كما هي في الواقع؛ ويظهر ذلك جليا في تلك الرموز الثقافية التي لا يمكن فهمها إلا ضمن جماعة لسانية متجانسة ثقافيا واجتماعيا. فعلى سبيل المثال كيف يمكن إدراك هذه الصورة المجازية الواردة في البيت التالي:

وبخـــال كـــاد يُحـــجّ لـــه لـــو كـــان يُقبَّـــل أســـــوده[2]

يُلاحظ أنّ اجتماع الوحدات المعجمية التالية: " الخال– يحج – يقبل– أسوده"؛ قد أنتج صورة مجازية شديدة الخصوصية بالحقل الثقافي؛ ورموزها الثقافية واضحة في إطار مرجعية الأدب العربي. "فالخال" الذي هو علامة من علامات الجمال الذي يمكن رؤيته على وجه الحسناء يغدو في هذا البيت معبّرا عن رمز ديني؛ وهو "الحجر الأسود"؛ و يجمع ما بينهما شيئان مشتركان وهما : لون السواد في كليهما، وإرادة تقبيلهما ؛ فأمّا الحجر الأسود فمن قبل العابد، وأمّا الخال فمن قبل العاشق.

« Lakoff mentionne aussi la technique de l’imagerie cérébrale, qui permet de visualiser différentes localisations spécifiques dans le cerveau et de mesurer

---

[1]- عبد المجيد جحفة: م س، ص 109 .

2- زكي مبارك: ديوان احمد شوقي، لبنان، بيروت، دار الجيل، ط1، 1998، ص 102.

leur activité. D'un point de vue neuronal, il y a des parties du cerveau qui sont plus proches des imputes corporels et d'autres plus éloignés ».[1]

"يشير"لايكوف" إلى تقنية التصوير الدماغي التي تسمح بإظهار مواقع مختلفة ومحدّدة في الدماغ وقياس نشاطها. من وجهة النظر العصبية فإنّ هناك أجزاء من الدماغ تكون أقرب إلى المداخل الجسدية و أخرى تكون أبعد".

فكلّما اقتربت الصورة المجازية من تجربة الإنسان الذاتية والحياتية كلّما انعكس ذلك حتما على انتقائه للوحدات المعجمية التي يتوقف على فهمها فهم عالم المتكلم نفسه. وما يؤكدّه "لايكوف" في هذه الفكرة هو الذي يجعل أيّ قارئ حينما يطالع ما ورد على لسان الشاعر "بشار بن برد" في قوله:

كأنّ مثـــار النقع فوق رؤوسنـــا وأسيافنـــا ليل تهاوى كواكبـــه[2]

فسوف يتوقف عند صورة هذا التشبيه، وقد يتساءل كيف تأتّى لبشار أن ينفذ إلى تشبيه بهذه الدقة على الرغم من أنه ليس بصيرا؟

يوقّر إطار اللسانيات الإدراكية رؤيته بإثباته أنّ عمل الدماغ يتعزّز بواسطة المداخل الجسدية كلّها. ومعنى ذلك أنّه ليس البصر وحده منفذ الإحساس والإدراك؛ فالتصوّر الذي تتيحه كلّها في تفاعلها فيما بينها هو ما يُمكّن من إنتاج صور ونسخ عن عالم الأشياء تلتقي معها في بعض التفصيلات وتتجاوزها في تفصيلات أخرى، ومن هنا تتأتّى قدرة الإنسان على الإبداع التصويري بواسطة اللغة.

وتغدو اللغة لغة تصويرية رمزية حاملة للفكر تعكس الفهم الثاقب والعقل الصريح. فهنا يتم التعبير بواسطة التشبيه الذي هو تصوير شيء بشيء آخر باستخدام أدوات التشبيه أو بحذفها كما هو متعارَف عليه في أدبيات علوم البلاغة والأسلوبيات.

إنّ استخدام التشبيه أو المجاز أو الاستعارة كلّها تعبّر عن جنوح نحو استخدام لغة مجازية ليس للحاجة الفنية الدافعة إلى ذلك، وإنّما لضرورة حياتية أيضا كما نبّه

---

[1] -Ignace hoaz : Nietzche et la métaphore cognitive, France, l'harmattan, 2006 P 177.

[2]- مهدي محمد ناصر الدين: شرح ديوان بشار بن برد، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، ص146.

إلى ذلك "لايكوف" بقوله: "يعتقد معظم الناس أنّهم بإمكانهم المضي قُدُما في التعبير عمّا بداخلهم بدون الاستعارة، ولقد وجدنا على العكس أنّ الاستعارة أمر عامّ في الحياة اليومية ليس فقط في مجال اللغة بل في الفكر والآراء أيضا فنظامنا الاستيعابي العادي (وفقا للمعايير التي نفكر بها ونؤدّي بها) يعدّ استعاريا بطبيعته"[1].

وللتمثيل على ذلك يرد في مواقف الوصف التعبير الانجليزي التالي : " In the wave sea, the ship sliced"؛ فهذا الملفوظ الانجليزي يمكن ترجمته إلى اللغة العربية كما يلي:"السفينة تمخر موج البحر". ما يمكن ملاحظته أنّ الجامع بين التعبيرين هو الفعل الانجليزي :"sliced"، والفعل"مخر". فأمّا "sliced "؛ فهو بمعنى قطع لأنّ الاسم من هذا الفعل هو"slice " والتي تدلّ على" شريحة قطعت أجزاء"؛ فكأنّ الصورة الدلالية هنا هي: تشبيه "صورة السفينة بسكين يقطع موج البحر". فأمّا التعبير العربي "مخر" فيدلّ على القطع والشق هو كذلك مثلما يدلّ على ذلك حقل اشتراكه الدلالي(نخر، دخر، ذخر، زخر...).

وسبب هذا الالتقاء بين اللغتين هو التقاط صورة في الواقع وربطها بأقرب ما تدلّ عليه في الحياة اليومية، فلذلك لا تختلف التجربة الحياتية هذه عن تلك. و هذا ما يثبت أنّ الفكرة الاستعارية المستوحاة من الواقع ترتدّ إلى كلية مجازية موجودة عند كلّ الناس أي كل الشعوب والثقافات.

«The word « metaphor » has come to mean a cross- domain mapping in the conceptual system. The term metaphorical expression refers to a linguistic expression (a word, a phrase, a sentence) that is the surface realization of such a cross domain mapping "[2].

" إنّ كلمة "استعارة" أضحت تعني مجالا متقاطعا ضمن خطاطة في النظام الذهني. أمّا مصطلح "تعبير استعاري" فيشير إلى التعبير اللساني (كلمة، عبارة، جملة) الذي هو التحقق السطحي لتقاطع مجال ذهني".

---

[1]- لايكوف وجونسون: م س، ص 12.

[2] -Georges lakoff : The contemporary theory of metaphor, UK, Cambridge university press, P203.

وبهذه الطريقة تمدّ اللسانيات الإدراكية الباحثين بهذه المفاهيم من أجل استثمارها لاحقا في مجال تذليل صعوبات الترجمة المجازية بعد تأكيد الإمكانية اللسانية التي حققتها اللسانيات التوليدية التحويلية. وعلى الرغم من أنّ اللسانيات الإدراكية هي سليل اللسانيات التوليدية وعنها أخذت كثيرا من المبادئ اللسانية مثل مبدأ الكليات السابق ذكره؛ إلاّ أنّ اللسانيات الإدراكية تطورت لتستقلّ عن اللسانيات التحويلية وتبنى لنفسها نظرية لسانية واضحة المعالم والأبعاد. وهذان البعدان معا يؤكدان تفرد الإنسان وتميزه، بخاصيتي اللغة والفكر يمنحانه سلطة لتطويع العالم بواسطة هذين العاملين الهامّين.

يظهر الاختلاف بين هاتين اللسانيتين في مركزية التركيب اللساني من النظام اللغوي، فبينما تعوّل اللسانيات التوليدية على اللغة نفسها لتفسير النظام اللغوي بمستوياته اللسانية المختلفة، فإنّ اللسانيات الإدراكية تشرك الفواعل الحقيقية التي تثبت التجربة دورها الحاسم في إنشاء القول اللساني وإنتاجيته الخاضعة لتجربة الإنسان الذاتية بما يمتلك من حواس وذهن ودماغ؛ وقدرة الإنسان بعد ذلك على استعمال اللغة نفسها لإلباس الأشياء الجامدة في الواقع صورا حيّة ورموزا نابضة بالحركة بواسطة استعارات وكنايات تتحكّم في النموذج الذهني الذي يتشكّل لدى الإنسان عبر مسار نموه المعرفي الإدراكي.

تركّز اللسانيات الإدراكية عند "لايكوف" على الذهن والتصور لتفسير اللغة. فمجال اشتغالها إذن على الفكر وما اللغة إلا انعكاس مباشر للعملية الإدراكية. فالتركيب اللغوي الذي قيل في موقف اجتماعي معيّن يرتبط لدى قائله بطريقة معينة بعملية خلق تصوّر عن هذا الموقف.

وعلى هذا الأساس تستفيد الترجمة من هذا المعطى وتستثمره في سبيل تحقيق نوعية أفضل للترجمة سواء منها الأدبية وغيرها. وما دام أنّ اللسانيات الإدراكية تعتبر من الاختصاصات المعاصرة التي تكتسب أنصارا وأعوانا في حقول معرفية شتى؛ فإنّ الترجمة وهي من ألصق الاختصاصات باللغة واستعمالاتها فلا ريب أن تكون بحاجة إلى اللسانيات الإدراكية لاستثمارها في مجال الترجمة. لأنّ المترجم لا يمكنه البقاء

على الحياد ورؤيته للعالم هي رؤية إنسانية مشتركة، لا تشكّلها لا لغته الأمّ ولا أيّة لغة أخرى يتقنها لضرورة الترجمة. غير أنّ وجوده في مجتمع بعينه هو الذي يكون سببا في أن يصطبغ ذهنه بصور وانطباعات منخرطة في إطار مجموعته اللسانية، وتكون سببا أيضا في تأثره بها وتأثر نص الترجمة تبعا لذلك.

و لذلك رأى بعض الباحثين انطلاقا من تبنّيهم هذا الاتجاه إلى القول بعدم إمكانية تحقّق الترجمة إلاّ على نطاق ضيق؛ لأنّهم صيّروا اللغة حاكمة على الترجمة وعلى الثقافة والإبداع.

« La langue, en dehors de toute concrétisation par le langage consacre un vaste chapitre à l'existence de visions du monde différentes ; la différence étant sensible à travers les langues en général et, plus particulièrement entre certaine paires de langues ; la langue est alors véhicule d'une civilisation et d'une culture, au sens très large de terme ».[(1)]

"إنّ اللغة خارج إطار تحققها بواسطة الكلام تنتج مجالا واسعا لإيجاد رؤى مختلفة للعالم. والاختلاف واضح بين اللغات، و بين بعض اللغات الأخرى هو أظهر. وبالتالي فاللغة حاملة لحضارة ولثقافة بالمعنى الواسع للكلمة".

يظهر ممّا سبق بيانه دور اللسانيات المعاصرة في الانفتاح على ما يجدّ في مجالات بحثية غير لغوية من أجل إمداد نظرية الترجمة بالوسائل الكفيلة المعينة للمترجم في مجال ترجمة النصوص الأدبية خصوصا تلك المرتبطة بالحقل الثقافي والحضاري الذي يتحكّم في الدلالة بين اللّغات.

- المنظور الإدراكي للترجمة:

وأمّا التطبيق العلمي لدراسة الترجمة من وجهة نظر إدراكية فإنّها تميّز بين نوعين من الاستعارة ينتجان عن التمييز بين مَلَكتي اللّغة والفكر عند الإنسان. فهناك ما يُسمّى الاستعارة الذهنية التي تتعلّق بقدرة كلّ إنسان مهما كان تصوّره للعالم وللواقع؛

[1] -Hellal Yamina : La théorie de la traduction, Algérie, OPU, 1986, p25.

وبكيفية الانعكاس المباشر لهذه الإدراكات على ذهنه؛ ثمّ تُترجم هذه الإدراكات إلى مفردات وجمل يُعبّر عنها بالاستعارة اللغوية.

فهناك من جهة الاستعارة الذهنية وهناك الاستعارة اللغوية و ما يربط بينهما؛ إذ إنّ الاستعارة اللغوية هي ناتج عن الاستعارة الذهنية. ولا ينفكّ الوجود الإنساني عن استعمال هاتين الاستعارتين وسائر أساليب التصوير البياني الأخرى تلبية لدوافع حياتية أو استجابة لنواح جمالية وفنية خالصة. وعلى هذا الأساس فإنّ وجود الاستعارات في لغات العالم أصبح من المسلّمات عند الباحثين الذين تركّز اهتمامهم على الاستعارة نفسها كمادة عمل وبحث.

« In learning the vocabulary of another language, we may well notice that items are metaphorical, even if the metaphors are conventional: we may also analyse compound items, and think of their literal, compositional meanings »[(1)].

"عندما نتعلّم كلمات لغات أخرى فإنّنا نستطيع تمييز الوحدات الاستعارية، على الرّغم من طابعها الاصطلاحي. إنّنا نستطيع أيضا أن نحلل الوحدات المشتركة معها، مثلما نفكر في حرفيّتها وتركيبيّة معانيها".

لا تشكّل الاستعارة الذهنية للمترجم تحديّا لأنّها تعتبر إعادة تركيب وفهم وتفسير لإدراكات إنسانية مشتركة. وهي صور العالم المدرَك بكل أبعاده التي يعيشها المترجم ومعايشته مع الواقع الذي أنتج الكاتب النص في ظلاله. فلا تختلف التجربة هذه عن تلك إلاّ بمقدار ما يتعلّق الأمر بأشدّ الأمور خصوصية ثقافية و حضارية. "ممّا يضعنا في النهاية لا أمام أصل ونسخة، وإنّما أمام لعبة مرايا يغدو فيها الأصل نسخة و الأنا آخر بحيث إنّ التحول الذي يسري على الآخر سرعان ما يلحق الذات نفسها. إنّه يكشف أنّ الذات في بعد عن نفسها، وأنّها آخر بالنسبة لذاتها"[(2)].

---

[1] -Muray knowles and rosamund moon : Introducing metaphor, London , Uk, Routledge, 2006, P62.

[2]–عبد السلام بنعبد العالي: في الترجمة، المغرب، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص68.

لذلك فالاستعارة الذهنية هي عمل إنساني لا تختلف دقائقه كثيرا بين الشعوب إلاّ بمقدار ضئيل جدا؛ لأنّ التجارب الإنسانية المشتركة تجعل وقائع الأمور متشابهة ومتشابكة. مثلا الاستعارة التالية: "حبل الأفكار". ما يُلاحظ على هذا التعبير المستعمل في اللغة العربية؛ أنّه يربط بين صورتين إدراكيتين؛ إحداهما معنوية "الأفكار" والأخرى مادية "الحبل". وهذا التعبير مستعمل بنفس الصيغة والإطار في اللغة الفرنسية بالعبارة التالية: « Le fil des idées » أي "خيط الأفكار"؛ فالتعبير العربي يستسيغ استعمال "الحبل" للتعبير عن تسلسل الأفكار؛ بينما يستسيغ التعبير الفرنسي استعمال "الخيط".

« Repérer le fil des idées dans le paragraphe, l'enchaînement des idées et des éléments grammaticaux »[(1)].

" تتبُّع حبل الأفكار في الفقرة، وتسلسل الأفكار والعناصر النحوية".

أمّا في اللغة العربية فيمكن إيراد النّص الرّوائي التالي:" ولكنّها ابتسمت ولم تشأ أن تقطع حبل أفكاره ... لذا بدأت في جمع أطباق العشاء وذهبت للمطبخ"[(2)]. يُلاحظ أنّ الصورة المجازية بين هاتين اللغتين لا تبتعدان كثيرا عن بعضهما إلاّ بمقدار ضئيل جدّا؛ ولكنّه حاسم لأنّ القارئ لأيّ النّصين لا يقبل إلاّ ما يوافق أفقه الدلالي في إطار ثقافته النصية المتأتّية أصلا من وجوده داخل مجتمعه. فالقارئ الفرنسي لا يقبل النّص إلا بإدراج تعبير "خيط" للدلالة على تسلسل الأفكار بينما العربي لا يقبل إلاّ عبارة "حبل" الأفكار. وهي خصوصيات دقيقة ولكنّها حاسمة في اختيارات القُرّاء للنّصوص المترجمة.

يمكن التمثيل أيضا بإيراد الملفوظ الانجليزي التالي:

« The White house has declared that the negotiations will start soon ».

---

[1] -Joëlle Redouane : Stylistique comparée du Français et de l'Anglais, Algérie, OPU, 1996, P 13.

[2]- عبد الوهاب آل مرعي: اليهودي والفتاة العربية، قصة الحب الخالدة، السعودية، العبيكان، ط2، 2007، ص 270.

يمكن أن تترجم إلى اللغة الفرنسية على الشكل التالي:

« La maison blanche a déclaré que les négociations débuteront prochainement ».

وأمّا الترجمة إلى اللغة العربية فتكون على الشكل التالي: "أعلن البيت الأبيض أنّ المفاوضات ستنطلق لاحقا".

يُلاحظ أنّ ترجمة المجاز الوارد في هذه العبارة لا تطرح إشكالا؛ إذ إنّ الانتقال بين هذه اللغات تمّ بكل سلاسة. فالمتلقى يفهم مقصود الجملة ويفهم عبارة (البيت الأبيض) على أنّها مجاز عن سادة البيت الأبيض وليس المقصود به البيت الأبيض نفسه.

وإذا استطاعت الترجمة أن تحقق هذا التعادل الدلالي على المستوى المجازي فهذا يبيّن أنّ النظرة إلى المجاز تتغيّر بتغيّر الأساس الإدراكي الذي يجعل المجاز وأضربه البلاغية الأخرى يغدو مجالا لدراسة لسانية تتمكّن بواسطتها صور البيان من مجاز واستعارة وغيرهما من تكوين بنية ذهنية وتركيبية شاملة تسقط معها الحواجز العرقية والبيئية. وتحقيق الترجمة المجازية على هذا الشكل يجيب على سؤال طالما أرّق الباحثين يتعلق باعتبار المترجم وهو يقف على حدود اللغتين اللتين يعتمد الترجمة من كليهما، هل يعتبر المترجم مدركا للواقع انطلاقا من لغته وتصويرها للعالم؟ وبالتالي فهل تتغيّر نظرته للواقع والعالم إذا أتقن لغة أخرى وباشر الترجمة منها أو إليها؟

حينما يتمّ الاستناد إلى ما أرسته اللسانيات الإدراكية فإنّ عالمية الفكر وتعاليه على الخصوصيات الفردية والثقافية تجعل الأولوية للرأي القائل بأنّ اللغة محايدة وإنّما الفكر هو الذي يوجه اللغة الاتجاه الذي يستقرّ في ذهن المترجم بعد إتقان نظام اللغتين وتراكيبهما. والشيء الجديد في هذه النظرية بالطبع هو إحلال الاستعارة والمجاز المحلّ الأرفع في دائرة الفكر؛ بل إنّهما يقولبان الفكر بطريقة لا فكاك عنها وعلى فهمها يعتمد فهم وتفسير الحقل الاجتماعي والثقافي الواردتين في ظلاليهما.

لا يمكن من الناحية الواقعية أن تكون هناك ترجمة مثلى لأشكال الثقافة؛ وذلك لأنّ كل الوحدات اللسانية في اللغة الواحدة تحمل بصمات المعاني السابقة التي تدخل في محاورة مع المعاني التي تنتقل إليها مع المحافظة على طابع التمثيل أي صور المشابهة. وتبقى مهمّة المترجم هي التفسير والقراءة حتى وإن كانت هاتان العمليتان تتمّان على مستوى الذهن والإدراك لأنّ المعاني المجازية ليست متوفرة دائما في بطون المعاجم والقواميس وهذا ما يزيد من صعوبة حصر مجال دراستها وإخضاعها للتحليل.

وما دام أنّ الترجمة المجازية تحتلّ هذه المكانة الهامّة فإنّ اللسانيات الإدراكية بتأكيدها على الجانب الإدراكي في عملية الترجمة تجعل المترجم يتمتع بالحرية في التفسير والفهم من أجل تطويع مادة الترجمة ويجعلها قابلة للنقل بدل الحكم عليها بعدم القابلية للترجمة.

ومن المفيد التذكير في هذا المجال أنّ الإطار الذي تمارس فيه الوحدات المجازية حضورا شرعيا مجمعا عليه لا يجب أن يُنسى معه أنّ اللغة تتضمّن أيضا وجودا متأصّلا لنوع آخر من الوحدات اللغوية، و هي الوحدات اللغوية الحاملة لدلالات حرفية؛ لأنّ "الحقيقة" و"المجاز" كليهما يسيران جنبا إلى جنب في ظلال اللغة الواحدة. وهذا ما يجعل المترجم يتريث قبل الإقدام على الترجمة. وبالتالي فالترجمة المجازية لا يجب أن تنسحب على كل الوحدات المقترحة للترجمة لأنّ الترجمة الحرفية لا تزال حاضرة وتمارس وجودها المادي. وهذا من شأنه أن يدفع المترجم إلى تمييز الوحدات الحرفية والتي يمكن أن تترجم حرفيا وتلك التي تكتسي طابعا مجازيا.

اكتسبت نظرية الترجمة عبر العقود الأخيرة مجموعة من المبادئ والمسلّمات التي يتوجب على المترجم معرفتها. ومن هذه المبادئ قواعد "الترجمة الحرفية " Translittération"؛ التي مكّنت المنظرين للترجمة من تمييز الوحدات اللسانية الحرفية التي لا يمكن ترجمتها إلاّ بطريقة حرفية؛ وبالتالي لا يمكن إخضاعها للمجاز أو الاستعارة.

وذلك مثل أسماء الجرائد والمجلاّت فإنها تنقل حرفيا مثل: "جريدة الخبر" " alkhabar journal"؛ وأيضا أسماء الأعلام تنقل حرفيا: "محمد علي" "Mohammed ali" ويضاف إليها الأسماء الأجنبية التي تتعلّق بموسوعات أو قواميس أو آثار أدبية أو روائع عالمية فكلها تنقل حرفيا. مثل: "لاروس" "Larousse" "كليلة و دمنة" "Kalila et Dimna"؛ وكذلك أسماء الجامعات والمؤسسات المشهــورة والجوائز العالمية : " نوبل" " Nobel " بالإضافة إلى الخصوصيات الثقافية والدينية: "القرآن الكريم" "Coran"؛ "الكعبة" "la Kaaba"؛ "الكونغرس" "congres"؛ "اللوبي"[1] "le lobby ".

أمّا سوى هذه الأنواع المذكورة وهو كثير في اللغة وغاصّ بها؛ فيتوجب على المترجم الحذر من أن يتعامل مع الوحدات الحرفية بنفس الطريقة التي يتعامل بها مع سائر أنواع الوحدات الأخرى الحاملة لدلالات مجازية. وذلك لأنّ نقله بصورته الحرفية يوقع في الحيرة والاضطراب والتي ذُكر طرف منها. وللتمثيل يرد هذا الملفوظ الانجليزي المشهور: "It is raining cats and dogs". فهذا المثل لا يمكن ترجمته حرفيا بالصيغة التالية:" إنّها تمطر قططا وكلابا". وبالتالي يتوجب اللجوء إلى ترجمة تأخذ مأخذ الجدّ الدلالة المتضمّنة في صلب النص.

ولذلك يقترح المنظرون للترجمة طرقا للتعامل مع هذا النوع من الدلالات يجنح معظمها إلى نقل الدلالة المتضمنة لأنّها روح النص وسره الكامن وراء أسوار هذا التركيب اللغوي، وهكذا تلتقي معظمها عند إصابة المعنى الكامن. والدلالة المتضمّنة في النّص السالف وهو:"إنّها تمطر بغزارة".

إنّ اعتماد الترجمة بهذا الفهم يؤكد الطابع الخاص لعملية الترجمة من حيث إنّها ترتبط بالفكر والثقافة الخاصتين بكل أمة وبكل شعب. فلغة كل أمّة هي مرآة ثقافتها والمترجم الذي ينقل كلمة إلى لغة أخرى يضع في حسبانه ثقافة اللغة المصدر فإذا لم تسعفه الكلمات في عملية الترجمة فما عليه إلاّ أن يتصور الكلمة في منبتها الأصلي ويحاول أن ينقل تصور صاحب الكلمة الأصلية إلى اللغة المستهدفة في

---

[1]- النقحرة: النقل الحرفي كلمة منحوتة من كلمتين و هما " النقل و الحرف" و باجتماعهما معا تشكّلت هذه الكلمة.

الترجمة، وذلك بسبب أنّ الاعتبارات الثقافية والاجتماعية لا تقف حائلا أمام تحقيق الترجمة ونقل صورها المجازية والاستعارية؛ وهذا ما أكدّ عليه "لايكوف" بقوله:

"Cultural assumptions, values and attitudes are not a conceptual overlay that we may or may not place upon experience as we choose. It would be more correct to say that all experience is cultural. we experience our world in such a way that our culture is already present in the very experience in it self"."[1]

"إنّ الافتراضات الثقافية و القيم و المواقف ليست ستائر ذهنية نستطيع أو لا نستطيع وضعها للاختبار حينما نختار. فمن المفيد أن نذكر أنّ كل اختياراتنا هي ثقافية. إنّنا نختبر عالمنا بطريقة تجعل ثقافتنا حاضرة آنيا في كل تجربة في حدّ ذاتها".

هذا التأكيد على جانب الثقافة هو الذي يجعل التصور لدى فرد داخل المجموعة اللسانية الواحدة يندمج في إطارها ويكتسب منها شعاراتها وقوالبها ويظهر ذلك لدى ردود أفعاله وأقواله. ولإيلاء هذا الجانب ما يستحقه من الدرس والتمحيص تصدّت اللسانيات الإدراكية لدراسة ما أصبح يعرف مصطلح "علم الدلالة– بين– ثقافي" " la sémantique transculturelle"؛ وبالتالي يجعل تناول الترجمة من وجهة ثقافية يجد إمكانيته في اتجاه إدماج العنصر الدلالي مع العنصر الثقافي لإمداد المترجم بمعين يستند إليه في تحقيق الترجمة المجازية بطريقة لسانية إدراكية ثقافية.

وللتدليل على ذلك يمكن إيراد المثل المشهور التالي:"time is money" وترجمته "الوقت هو المال".

فهذا المثل المشهور في ظل الثقافة الغربية يرتبط حتما بحقل ثقافي معروف تجذّر بين تحولات اقتصادية وتاريخية عرفتها الثقافة الغربية بعد الثورة الصناعية والاقتصادية وإطلالة عصر النهضة وما حمل من فكر اقتصادي وليبرالي حر مع "آدم سميث" وقولته المتداولة "دعه يعمل، دعه يمر"؛ وهو ما شجّع على بروز النزعة نحو

[1] -Lakoff Georges, Mark Johnson : Metaphors we live by, university of Chicago press, USA, 1980, P 57.

جمع المال واستجلابه. وشيئا فشيئا وبفعل وفرة رؤوس المال وحركة الكشوف الجغرافية وما تبعها من نشاط اقتصادي وتجاري ترسّخت لدى الشعوب الغربية فكرة يدركها كلّ أوروبي وهي أنّ الوقت جزء مهمّ من اكتساب المال، وبالتالي فالوقت هو المال.

“Time in our culture is a valuable commodity. It is a limited resource that we use to accomplish our goal. Thus we understand and experience time as the kind of thing that can be spent, wasted, budgeted, invested wisely or poorly, saved or squandered”.[(1)]

"إنّ الوقت في ثقافتنا سلعة مقومة. إنّه ثروة محدّدة نستعملها لتحقيق أهدافنا. وبهذه الصفة نفهم ونختبر الوقت على أنّه شيء بإمكاننا إنفاقه وتبديده و تثمينه وصرفه بحكمة أو بتهور و توفيره أو تبذيره".

يتضح أنّ الثقافة الغربية تعتبر الوقت سلعة من السلع التي يتوقف على درجة الاهتمام بها ما يمكن أن يحصل عليه الفرد من عائد مادي تقاس به درجته الاجتماعية من خلال حجم المال الذي يملكه ويختزنه. ولذلك فالوقت هو المال؛ وهذا ما ينسجم مع صيرورة الثقافة الغربية عبر المحطات التاريخية.

وبالتالي فالحديث عن القيمة المادية للوقت واعتباره مالا أو سلعة أو منفعة أو فائدة لا شك أنّه منسجم مع التصور الغربي للوقت والذي ظهر أثره في تداول الملفوظ السابق لدى جميع شرائح المجتمعات الغربية، وأصبح من المسلّمات ترديد ذلك وإعلانه في ثنايا الأحاديث اليومية العابرة وفي ثنايا استشهادات السياسيين ورجال الأعمال والتجار والحرفيين وكل الطبقات الاجتماعية.

وقد أسهمت عجلة الحضارة المعاصرة في ترسيخ هذا المبدأ في عقول الأجيال من الغربيين؛ وامتدّ أثر ذلك إلى سائر الشعوب الأخرى بدرجات متفاوتة تظهر حجم الإقبال على اعتناق هذا المبدأ و التشبّع به بل واعتباره عقيدة ومبدأ حياتيا ثابتا لا محيد عنه.

---

[1] -lakoff ; Op. cit. P08.

ولكنّ هذا التصور نفسه ليس متداولا في رحاب الثقافة العربية الإسلامية بنفس التصور الذهني، أي أنّه لا يتحمّل الدلالة التي سبق سردها؛ ممّا يظهر حجم البون الشاسع بين نظرتين مختلفتين لشئ واحد؛ وهو هنا " الوقت". و لا يمكن معرفة قيمة الوقت لدى شعب ما إلاّ بمعرفة الثقافة التي أنتجت هذا التصور ودفعت به إلى أفق التحقق والبروز.

فالثقافة الإدراكية تصير بهذا الاعتبار عنصرا حاسما في فهم دلالات الوحدات اللسانية. وجميع هذه الاعتبارات تبيّن أهمّية البعد الثقافي في رحاب الدرس اللساني؛ إذ إنّ التصور العربي للوقت يختلف عن التصور غير العربي للوقت. وهذا الاختلاف ينعكس على الترجمة؛ ولذلك فنقل هذا المثل "الوقت هو المال" بطريق الترجمة إلى اللغة العربية واعتبار الوقت مالا أو سلعة لا يتلاءم مع التصور العربي الإسلامي لهذا البعد الهامّ ؛ لأنّ الثقافة العربية تعبّر عن الوقت بأنّه الحياة نفسها "فالوقت هو الحياة".

على الرغم من أنّ القاسم المشترك بين الثقافتين العربية والغربية يتقاطعان في إعلاء شأن الوقت وتثمينه وتقييمه إلا أنّهما يفترقان في تصورهما لهذه القيمة فإحداهما مادية بحتة والأخرى معنوية مجرّدة. وطبعا لا يمكن الحكم على أفضلية تصور على آخر، والمترجم لا يحقّ له أن ينحاز إلى هذه أو تلك؛ وإنّما هو ناقل يبتغي أن يصيب كبد الصواب ولا يلحق الإجحاف بما أؤتمن عليه من الترجمة.

تُظهر هذه الأفكار بوضوح فاعلية السياق الثقافي وتحكّمه في فعل الترجمة لتحقيق التواصل الحضاري ونقل المعرفة والثقافة الإنسانية. كما يظهر من جهة أخرى دور المترجم كوسيط في حوار الحضارات والثقافات.

« Cultural models provide frame works for understanding the physical and social worlds we live in. these models are implicitly and explicitly transmitted through language. Therefore, linguistic analyses, particularly of words and expressions reveal underlying assumptions, interests and values".[1]

[1] -Nancy Bouvillain: Language, culture and communication, Prentice hall new jersey, USA, 2003, P 73.

"إنّ النماذج الثقافية توفــر الإطار لفهم العالم الفيزيائي و الاجتماعي الذي نحيا فيه. وهذه النماذج تُتداول ضمنا أو صراحة من خلال اللغة. لذلك فإنّ التحليلات اللسانية وخصوصا للكلمات والتعابير تكشف التوقعات والمصالح والقيم الكامنة".

وقيمة المحدّد الثقافي في الترجمة يجد أثره في تلقي القارئ لهذه التعابير اللسانية و فهمه لها بسهولة ويسر. فالملفوظ السابق ذكره "time is money" "الوقت هو المال" هو ملفوظ خضع ظاهريا للترجمة اللسانية؛ غير أنّ مسألة اتصال القارئ في اللغة الهدف بالدلالة المتضمّنة الحقيقية مسألة فيها نظر. ومعنى ذلك أنّ التصور الوجودي الذي يحدّد إطار الفهم لدى شعب أو طائفة معينة لا ينتقل بالضرورة مع الترجمة للوحدات اللسانية. فالوقت هو المال هو المقابل اللساني للملفوظ الأجنبي" time is money"؛ ولكنّ التصور الإدراكي لا ينتقل مع الترجمة. وقد يكون ذلك مصدرا للاستهجان لاختلاف الثقافتين بين القارئ في اللغة الأصل والقارئ في اللغة الهدف.

وهذه الاعتبارات تُظهر الحاجة إلى إدراج المكون الثقافي جنبا إلى جنب مع المكون اللساني والدلالي لبناء نظرية للترجمة تشرك هذه العناصر المتداخلة. كما تظهر أهمّية المحدّد الثقافي في عمليّة الترجمة شرعية وجود المنهج الثقافي الاجتماعي للترجمة. وهذا المنهج يقلّل من شأن المنهج اللساني لأنّ تركيزه على الثقافة والمحدّدات الاجتماعية؛ نظرا لدورها في ترجيح كفة الدلالة.

ويُقصد بالمحدّدات الثقافية والاجتماعية "مجموع الممارسات التي يقوم بها الشخص والتي شيّدتها قيم الثقافة والايدولوجيا السائدة ؛ مثل الطبقة الاجتماعية، والجنس، والدين...لأنّ الايدولوجيا والثقافة تحوّلان الأفراد إلى ذوات، ويأتي اللسان ليعبّر عن هذا الفعل لأنّه هو الذي يضمن للثقافة استمراريتها عن طريق الخطابات"[1].
ومثلما أشير سابقا فإنّ الترجمة فاعلية لسانية لأنّها تتعامل مع اللغة وتراكيبها وأبنيتها؛

[1]- عبد الفتاح أحمد يوسف: لسانيات الخطاب وانساق الثقافة، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص22.

إلاّ أنّه في ظلّ المنهج الثقافي الاجتماعي يتمّ النّظر إلى النّصوص المقترحة للتّرجمة على أنّها انتاجات فردية تحمل طابعا اجتماعيا فريدا لتاريخ ثقافة معينة.

ومع ذلك فإنّه في ظلّ هذا المنهج دائما اختلفت النّظرات إلى الترجمة بين القابلية وعدم القابلية استنادا دائما إلى تغليب العنصر الثقافي والاجتماعي. إلاّ أنه من الملاحظ أنّ جوهر المشكلة أو حلّها يكمن عند المترجم القادر على الفهم والإدراك لعمق الثقافة المنقول إليها والناقل عنها وأيضا في تلك النصوص المقترحة للترجمة. فالنّصوص ليست نسخا ثقافية متشابهة. وهنا يقع التنافس مع المنهج اللساني، غير أنّ تحديد مجال كل منهما يسهم في تمييز النصوص الحاملة للثقافة عن تلك النصوص التي تتعالى على معطيات الثقافة والاجتماع.

"لا يمكن تطبيق المنهج الثقافي الاجتماعي إلاّ على أنواع محدّدة من النصوص. فهو مفيد في المواقف حيث انتهاك التقاليد النصية في اللغة الهدف يسوغه قلق بالغ حول قيمة الشكل اللغوي للنص المصدر بوصفه ناقلا للقيمة الثقافية" [1]. فهذا القول يؤكّد على أهمّية المنهج الثقافي الاجتماعي في الترجمة من جهة؛ ولكنّه يؤكّد أيضا محدودية هذا المنهج من جهة أخرى؛ وعلى هذا الأساس يظلّ المنهج اللساني قادرا على حمل أمانة الترجمة ومحاولة تذليل مجمل هذه الصعوبات والتعامل معها بآلية علمية تستفيد نقائص منهج كل مدرسة.

لا يصحّ إغفال دور الثقافة ولا المعطيات الاجتماعية في عمليّة الترجمة في رحاب اللسانيات الإدراكية لأهمّيتها التي لا تنكر. ولكن بواسطة معطيات اللسانيات الإدراكية فإنّ النص المترجم الحامل لثقافة معينة هو بالمحصّلة حامل لتصور وإدراك معينين ولكن ضمن إطار ثقافي محدّد يقوم على أساس احترام أبجديات هذه الثقافة أينما حلّت و ارتحلت، وكلّ ذلك يتمّ بواسطة اللغة وتراكيبها اللسانية؛ "ومن ثمّ تصبح العلامة اللغوية مركز استقطاب لفكرة ثقافية، وأداة توسّل داخل الخطابات، وبواسطتها تمرّر

[1]- ألبرت نيوبرت: الترجمة وعلوم النص، ترجمة محمود الحميدي، السعودية، جامعة الملك سعود، 2002، ص 34.

الثقافة أنساقها إلى المتلقي، ليعاد إنتاجها مرة أخرى؛ ومن ثم تكتسب المصداقية والاستمرار، وتكتسب الفكرة الثقافية قيمتها داخل العلامة اللسانية"[1].

يتمثّل بيت القصيد في محاولة فهم عمليتي التصور والإدراك كلتيهما؛ وليس الاقتصار على عرض الرموز الثقافية والاجتماعية من خلال النصوص المترجمة التي بإمكانها إنجاز ترجمة متداولة لدى جمهور القراء؛ ولكنّها تعمل على تعميق الخلاف والاختلاف بدل أن تكون وسيلة من وسائل التقريب بين بني الإنسان؛ من منظور أنّ هذه الرموز الثقافية تستجيب لحاجة فنية وجمالية فطرية وأصيلة لدى كل فرد.

وفي هذا الإطار يظهر دور المترجم الذي تلقى على كاهله مهمّة إدراك هذه الصور الثقافية في منبتها الأصلي ثم محاولة نقل ذلك كله إلى اللغة الهدف. فالمترجم هو الذي يألف هذه الصور الذهنية بمعايشته لواقع اللغة المصدر ثقافة وأدبا ومعتقدا:

"فالنص الذي يتمّ إيجاده في اللغة الهدف ما زال نصّا على أية حال، إنّه صورة لنقل القيم الثقافية"[2].

يمكن التمثيل على ذلك بالتعبير العربي التالي: "قرّت عينُه"، فحينما يُعرض هذا التعبير على أيّ شخص ليس له بأساليب القول البلاغي العربي اتصال ومعرفة؛ فسوف يفوته فهم الدلالة المقصودة من هذا التعبير. فإذا ما استطلع هذا القارئُ المعجمَ فسيكتشف أنّ الفعل"قرّ" يدل على الاستقرار والثبات في المكان. وبالتالي فعبارة "قرّت عينُه" من الناحية المعجمية تدلّ على استقرار العين أي توقفها عن الحركة؛ والعين إذا توقفت عن الحركة عميت. وهذا الفهم يقع على النقيض تماما ممّا تدلّ عليه هذه الكلمة"قرّت" في اشتراكها مع كلمة "عين" لإنتاج عبارة" قرّت عينه". التي تدلّ على الفرح والسرور والاستبشار. وكما يُلاحظ فالدلالة المعجمية تختلف عن الدلالة الثقافية التي تدور حول إدراج العنصر الثقافي في فهم الوحدات اللسانية. فلا غرو أن تورد هذه العبارة في معرض الدعاء لمن تقال له.

---

[1]- عبد الفتاح أحمد يوسف: م س، ص 22.
[2]- ألبرت نيوبرت: م س، ص 35.

فما يقال من العبارات في معرض موقف أو حدث معيّن إنما تحمل فكرة أو تصورا معيّنا من قائلها، تعكس حقلا ثقافيا معينا، أو تعكس رؤية طبيعية أو صناعية ممّن قالها. وهذا يبيّن أنّ دلالة عبارة معينة تحمل في طياتها كامل الفكر الذي تعبّر عنه الجملة.

غير أنّ القضية الأساسية التي يفرضها تقاطع البحث في مجال الترجمة مع العنصر الثقافي في الدلالة اللسانية هو موضع المجاز والاستعارة من دائرة البحث في كليهما. فغني عن القول أنّ تناول الاستعارة في رحاب اللسانيات الإدراكية أصبح مسلّما به؛ وذلك للأسباب المذكورة آنفا.

وهذا في الوقت الذي يترسّخ اتجاه نحو الاستعانة بدراسات المجاز والاستعارة في حقول كل من: اللسانيات والترجمة والدراسات الثقافية. فاللسانيات الإدراكية أقامت صرحها الموضوعاتي على دراسة الاستعارة تحت تأثير من علوم النفس المعرفية والعصبية. وأمّا نظرية الترجمة فإنّ الإشكال الذي يخلقه تأرجح الدلالة بين الدلالة الحقيقية والمجازية يفرض اتجاها نحو نحو إيلاء الجانب المجازي للملفوظات اللسانية مكانة مركزية. وأمّا الدراسات الثقافية فإنّ ما تتحمّله الدلالات اللسانية من معان بتأثير من البيئة والمجتمع والتاريخ يجد مشروعية له في دراسة المجاز والاستعارة من منظور لساني إدراكي ثقافي.

وهذا يبيّن أنّ نقطة الالتقاء بين هذه الأقطاب الثلاثة " اللسانيات– الترجمة– الثقافة" هو: دراسة الاستعارة و المجاز. وهذه النّظرة التي جعلت منظري الترجمة يجنحون إلى القول إنّ العقد الأخير من القرن العشرين شهد حقيقة اتجاها نحو الربط بين هذه الاتجاهات لخلق التكامل بينها. ويظهر ذلك من خلال مظاهر التحوّل التي عرفها حقل الترجمة و"ما طرأ من تطور على نظرية الترجمة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين في مظهرين:

الأول: اطّراح النظريات الموجهة إلى النص–المصدر؛ والتحوّل منها إلى النظريات الموجهة للنص المستهدف.

الثاني: التحول إلى استيعاب العوامل الثقافية وإعلاء قيمة الغايات الاتصالية والعملية من الترجمة بما يحقق المقاصد المنوطة بها"[1].

يظهر أنّ استفادة نظرية الترجمة من الحقول المعرفية المجاورة يجعل إمكانية الاجتماع حول نظرية جامعة لمجمل هذه الأفكار في متناول الدارسين لهذا الحقل العلمي الهام. كما أنّ الإقبال على دراسة الاستعارة والمجاز في عصر تشهد فيه الإنسانية نقلة نوعية في تقنيات التخاطب وآليات التبليغ الإنساني بمختلف الوسائل المتاحة يجعل موضوع ترجمته من أفيد الموضوعات الإنسانية اللسانية المعاصرة.

وبالتالي فإنّ دور الاستعارة في رصد رمزية الوحدات اللسانية بطرق التمثيل أو المشابهة أو التصريح أو الكناية يجعل المعنى ينشطر ليجمع بين الأشياء المختلفة ويسوقها منشئها أمام القارئ؛ الذي يكون اتصاله مع هذه الاستعارات سلسا ومقبولا في إطار ثقافته التي تشبّع بها وعايشها؛ وقد يكون اتصاله مع هذه الاستعارات نافرا وغريبا غربة الثقافة التي يطالعها؛ فتقف هــذه الرموز الثقافية حجر عثرة أمام فهمه وتلقيه لها. ولذلك فأنّى لقارئ البيت التّالي أن يستشف مكامن الجمال فيه إذا غاب عنه إدراك الثقافة التي دفعت به إلى الوجود؛ وذلك في قول القائل:

إنّ العيون التي في طرفها حور قتلننــا ثــم لم يحيين قتلانا"[2]

تدور الاستعارة في هذا البيت على اعتبار اتساع حدقة العين من صفات الجمال. وهذه الصفة أصيلة لدى "المها" وهي بقر الوحش. فاستعار الإنسان العربي هذه الصفة وأسبغها على النساء .

فمدار الجمال في هذا البيت –الذي اعتبر أغزل بيت قالته العرب– على صفة "الحَوَر" في العين واعتبار ذلك من علامات الجمال الأنثوي. ما يمكن ملاحظته أنّ القارئ العربي المعاصر يغيب عنه معرفة رمز "الحور" في العين كصفة من صفات

---

[1]- ادوين غينتسلر: في نظرية الترجمة؛ اتجاهات متعددة، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، 2007، ص 12.

[2]- جرير بن عطية بن حذيفة: الديوان، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، ص452.

الجمال المتعارف عليه عند العرب في ذلك الزمان؛ ناهيك عن إدراك غير العربي له. ممّا يؤكد دائما ارتباط الرمز بالحقل الثقافي؛ "الرمز يتشكّل من منظور دلالي، فإنّه يعطي معنى عن طريق معنى. ذلك لأنّ فيه ثمّة معنى أوليا، وحرفيا، واجتماعيا، وماديا في الغالب، يحيل إلى معنى مجازي، وروحي، ووجودي في الغالب، ولذا فإنّ الرمز إذ يفسح المجال للفكر، ويستعين بالتأويل، فذلك لأنّه يقول أكثر ممّا لا يقول"[1].

فتكوين الشبكة الدلالية لهذا الرمز الاستعاري "حَوَر العين" تشكّل من صورة إدراكية واقعية "صورة العين لدى البقر" مع "صورة العين لدى المرأة العربية"؛ ثمّ "إفراغ محصلة الصورتين في ملفوظ لساني".

وبالتالي فأمر الاستعارة لا يُنظر إليه من منحاه البلاغي فقط؛ وإنّما تتشابك هذه العوامل في عقد دلالية متداخلة لإنتاج الاستعارة القادرة على حمل الفكر الإنساني إلى مراتب دلالية متنوعة ومتفرقة. "فالاستعارة أضحت قادرة على الربط بين أشياء العالم "الاستعارة المفهومية" ؛ كما أضحت قادرة على الربط بين أشياء النص"الاستعارة النصية"؛ كما أصبحت لها الإمكانية على الربط بين عوالم مختلفة داخل النص الواحد"[2].

وهذه القيمة التي اكتسبتها الاستعارة تجعل عمل المترجم يزداد صعوبة في ظل الإحساس بوجوب المحافظة على روح النص الأصلي؛ وإفساح المجال للصور الاستعارية أن تنتقل بين اللغات لتمارس دورا معرفيا وإدراكيا لطائفة القرّاء الآخرين.

« Comme l'œuvre le faisait dans son milieu d'origine, mais, ici, avec la difficulté supplémentaire du double éloignement dans le temps et dans l'espace. Emporte par le flux entropique, le traducteur rame à contre-courant ».[3]

"مثلما يعمل الأثر الأدبي في بيئته الأصلية، فإنّه مع الصعوبة الإضافية لابتعاد مزدوج عن عصره ومكانه ومع اجتياح المد التشويهي فإنّ المترجم يسبح ضد التيار".

---

[1]- بول ريكور: صراع التأويلات، ت منذر عياشي، لبنان، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2005، ص44.
[2]- محمد مفتاح: مجهول البيان، المغرب، دار البيضاء ، دار توبقال للنشر، ط1، 1990، ص84.
[3] -François Ost: Traduire, Défense et illustration du multilinguisme, Fayard, France, 2009, P 244.

فالمترجم يسبح ضد التيار لأنّه يستجيب لواجب الأمانة الذي يجعله يقف في ضفاف لغتين تفترقان أكثر مما تتقاطعان؛ وتعكس كل واحدة منهما نظرة خاصة للوجود والحياة والأحياء. ونقطة التشظي بين اللغة –الأصل واللغة– الهدف هو ما تتحمّله الوحدات اللسانية من دلالات غير حقيقية استعارية ومجازية تقولب الفكر وتصبغه بصبغة دلالية خاصة.

لن تستطيع اللغة ممارسة دورها في الإبلاغ و الاتصال إلاّ إذا رسمت الحدود الفاصلة بين دلالات الوحدات اللسانية في اللغة الواحدة؛ تمهيدا لإجراء عملية النقل اللغوي بطريق الترجمة. والمقصود بهذه الحدود الفاصلة مجمل الإمكانيات التي تحتويها اللغة من ألفاظ وعبارات وجمل ونصوص تستعمل كوسائط لترجمة العالم الداخلي الذي يتكوّن لدى كل فرد؛ وما رسخ في مخيلته من تصورات عن كل ما يحيط به من حوله.

ولذلك فإدراك الإنسان لواقعه ثمّ التعبير عن هذا الإدراك بواسطة اللغة هو الذي يجعل اللغة تتحمّل من أصناف الدلالات ومراتبها ما يحمل على البحث الحثيث في إمكانية رصد هذه المراتب الدلالية من منظور اللسانيات الإدراكية.

- المبحث الثاني: اللسانيات الإدراكية ومراتب الدلالة:

أصناف الدلالات:

سجّل البحث الدلالي في العقود الأخيرة اهتماما لافتا بدراسة مراتب الدلالة اللسانية؛ وذلك من خلال إسهامات تعتبر دفعا قويا للنظرية الدلالية في بحثها عن تحقيق المعنى داخل نظام اللغة الإنسانية؛ ولقد أسفر هذا البحث عن تقسيم يعتبر- إلى حدّ ما- كلاسيكيا ومتداولا على أوسع نطاق. ويقوم هذا التقسيم على تفريع قطبي الدلالة إلى دلالة حقيقية وأخرى غير حقيقية. وبالطبع فلقد اختلفت الكلمات المعبّرة عن هذين القطبين اختلافا بينا وواضحا.

ومن المصطلحات التي تعكس بدورها تراتبية دلالية إدراكية ما سوف يُذكر من أقسام دلالية هي:

1- المعنى الذاتي Dénotation :

يرى اللسانيون أنّ المعنى الذاتي هو المعنى المذكور في بطون المعاجم؛ وخاصيّته أنّه يُفهم لدى الطائفة اللسانية الواحدة بمعناه الموضوعي بصفة آلية. وبالتالي فالمعنى الذاتي " مشترك عندهم؛ إنّه بمثابة ملكية عامة تتقاسمها المجموعة الكلامية التي تستخدم اللغة التي تشكّل فيها الكلمة أو الجملة جزءا"[1].

واعتبار أنّ الدلالة في إطار "المعاني الذاتية" ملكيّة عامة يتقاسمها أفراد المجموعة اللسانية سوف ييسر سبيل الترجمة من الناحية المبدئية؛ لأنّه لا يمكن تصوّر نص معد للترجمة يحتوي من أوّله إلى آخره؛ ومن ألفه إلى يائه على مجازات واستعارات مرصوفة بعضها إلى جانب بعض.

وهذا يبيّن أنّ مساحة الدلالات الذاتية في نظام اللغة هو الآخر ثابت وحاضر في ثنايا كل النصوص. وأمّا مسالة طروء المجاز على وحدات اللغة؛ فهو اتجاه يعرض

---

[1]- روجر بيل: م س، ص214.

للوحدات اللسانية استجابة لعدة دواع وأسباب تدفع إلى ركوب سبيل المجاز والإيحاء وتوظيفه في التعابير اللغوية.

يمكن الإشارة إلى أنّ الحكم على ذاتية المعنى في الوحدات اللسانية ليس مقطوعا به بصفة نهائية؛ وذلك من منطلق أنّ التغيـــر الدلالي يطرأ على كلمات اللغـــة وألفاظهـــا؛ وهـــي ظاهرة معلومة لدى الـــدارسين في حقـــل "عـــلم الدلالة" "La sémantique".

"يتغير المعنى لأنّنا نعطي اسما عن عمد لمفهوم ما من أجل غايات إدراكية أو تعبيرية. إنّنا نسمي الأشياء. ويتغير المعنى لأنّ إحدى المشتركات الثانوية (معنى سياقي، قيمة تعبيرية، قيمة اجتماعية) تنزلق تدريجيا إلى المعنى الأساسي وتحلّ محله، فيتطوّر المعنى"[1]. وهذه المسألة المتعلقة بالتغير الدلالي تكتسب أهمية بالغة بالنسبة للترجمة؛ لأنّ تحديد المعنى الأساسي من جملة المشتركات التي عرضت له عبر الزمان والمكان يعتبر خطوة في اتجاه فهم سليم لدلالة اللفظة والكلمة تمهيدا لترجمتها ترجمة سليمة. وبالتالي فمعرفة المترجم بكيفية تمييز المعنى الذاتي للكلمة عن غيرها من الدلالات المصاحبة يساعده في تحديدها وتحييدها عن باقي الدلالات غير الذاتية. والمقصود بها الدلالات الايحائية المجازية.

2 – المعنى المجازي (الإيحائي) sens connotatif:

يتعلّق المعنى الإيحائي للوحدة اللسانية بالجانب الذاتي والشخصي الذي يحمّله الشخص للكلمات من معان ثانوية.

وهذه المعاني تضاف إلى المعنى الذاتي للكلمة وقد تحلّ محلّه ضمن صيرورة زمانية. وهذه المعاني الإيحائية والمجازية قد ترتدّ إلى أصول شخصية أو ثقافية أو أدبية أو فنية. فالمعنى الإيحائي "يشير إلى معنى ليس بمرجعي ولكن ترابطي (اقتراني)

[1]- بيار جيرو: علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، سوريا، دمشق، دار طلاس للدراسات و النشر، ط1، 1992، ص99.

وذاتي (أي شخصي وفردي) ووجداني، ويمكن لهذا المعنى كونه شخصيا، أن تتقاسمه أو لا تتقاسمه المجموعة السكانية برمتها"[1].

فالفرد يكتسب اللغة وأنظمتها النحوية والصرفية والدلالية؛ ولكنّه لا يعاملها كما لو أنّها قوالب جاهزة تصلح لكل حال ومقال، بل يخضعها للتوليد والاشتقاق؛ ويستعملها بطريقة تظهر إمكانيات اللغة الهائلة في ميادين البراعة اللغوية من جهة؛ وتظهر أيضا إمكانيات الإنسان الذهنية في التعامل مع اللغة، واستعمالها في كل الحالات الفردية والاجتماعية. "يكون في المجتمع وعند الفرد عوالم مفضلة للتفكير، وأنواع من المواضيع المستأثرة. ويعود السبب في هذا إلى الوسط من جهة، والى النشاط من جهة أخرى؛ فالأرض والفصول مثلا تحتل مكانا كبيرا في تفكير الفلاح واهتماماته. وكذلك شأن البحر والملاحة عند الصياد"[2].

يظهر ممّا سبق المكانة التي يحتلها الجانب الإدراكي لدى الإنسان وتحكّمه في إنتاج اللغة ودلالاتها. فبينما أكدت اللسانيات على دور العقل والفكر في إمداد الإنسان بالقدرة على إنتاج التراكيب بما في ذلك الجمل التي لم يسمعها من قبل– كما سلف في النظرية التوليدية التحويلية–؛ فإنّ علم الدلالة المعاصر يؤكّد على دور الفكر والإدراك في إنتاج الدلالات التي تُعين الإنسان على تحقيق درجة التكيّف الاجتماعي مع واقعه المكاني والاجتماعي؛ وتجعله بالتالي ينخرط في دورة تخاطبية مكتملة العناصر.

« Connotative meaning as just one aspect of associative meaning, all those elements of meaning that attach in some way to a word without being a 'real' or central part of its meaning and which can vary enormously from person to person or culture to culture" [3].

---

[1]- روجر بيل: م س، ص214.

[2]- بيار جيرو: م س، ص 147 .

[3] -Peter Fawcett : Translation and language, St Jérôme publishing, 2nd Edition, Paris, France, 2003, P 23.

"المعنى المجازي هو أحد ملامح اشتراكات المعاني. كلّ عناصر المعنى التي ترتبط بطريقة أو بأخرى بالكلمة من غير أن تكون حقيقية أو مركزية في معناها، والتي يمكنها أن تختلف كثيرا من شخص لآخر ومن ثقافة لأخرى".

مما يؤكّد على مركزية المعاني الاستعارية والمجازية ؛ وذلك من منطلق أنّ المعنى اللساني نفسه لا يمكن تحييده عن مؤثرات البيئة والمجتمع؛ بما يطلق عليه "ثقافة النص" لأنّه يمثل حضورا لافتا وبارزا.

وهذا ما يجعل استكشاف إسهام اللسانيات الإدراكية بالنسبة للمعاني المجازية التي تصبح في غالب الأحيان استعارية كنائية مبررا و مقبولا. فكيف يمكن التوفيق بين المسعى السائد الذي يطلق أوصافا من قبيل (ثانوية، غير حقيقية، ليست مرجعية) على المعاني المجازية؛ وبين اتجاه الفكر اللساني المعاصر؟ وهل تتناسق هذه الأوصاف مع الاتجاه الذي يسند مكانة مركزية للاستعارة في الفكر اللساني بالشكل الذي عرضه "لاكوف" في نظريته اللسانية؟

للإجابة على هذا السؤال يجدر الوقوف عند الإجراء الذي اعتمدته اللسانيات الإدراكية للتمييز بين المعنى المجازي والمعنى الذاتي الحقيقي؛ وهو إدراجها لدلالة معنى يشملهما معا ولا يقصيهما ويتناسق المعنى الجديد مع مبادئ النظرية اللسانية الإدراكية ويُقصد به "المعنى الإدراكي".

3 - المعنى الإدراكي:

يقصد بهذا المصطلح "المعنى الإدراكي" أنّ اتحاد اللغة مع الإدراك أي "البنية اللسانية" مع "البنية المادية" للأشياء وللعالم من خلال تجربة كل فرد وتصورّه متطابقان إلى درجة تغيب فيها الفوارق المعنوية بينهما. وحتى لا يرتد الأمر إلى مباحث فلسفية لا بد من تحديد دلالة كلمة "إدراكي"؛ والتي تعني فيما تعنيه كلّ ما يتعلق بالذهن والإدراك؛ أي إدراك الإنسان لواقعه المكاني والزماني أو الفيزيائي، ثمّ تعبيره عن هذه التجربة الطبيعية بألفاظ اللغة وتراكيبها.

يُعتمد في مجال الإدراك على مجموعة من العمليات الذهنية هي: (الإدراك، التذكر، التخيل، الاستدلال، القرار. . .) وكلّها عمليات عقلية ذهنية قبلية سابقة على التنفيذ الذي يمارسه الإنسان من خلال سلوكه الكلامي التداولي. "معاني الألفاظ في اللغة لها دلالة معجمية وهذه الدلالة نابعة من المستوى الذهني الذي يكيّف التقاطنا للتجربة، فيعبّر عنها في اللغة. وهذا المستوى متسق ومطّرد مثلما تتسق القواعد النحوية وتطّرد، بل إنّ هذا المستوى نفسه يدخل في إطار المعرفة النحوية العامّة التي تتوافر للإنسان"[1].

ويتضح من هذا أنّه كلما ازداد وعي الإنسان بالمستويات الذهنية وبطرائق الإدراك الإنسانية كلّما سهّل ذلك معرفة الأنشطة الإنسانية التي تتأتّى للإنسان وعلى رأسها فاعلية القول اللساني؛ على اعتبار أنّ العلامة اللسانية هي أرقى وأكمل أنواع العلامات.

كما أنّ التقسيم الذي قسّمه المناطقة وعلماء الدلالة إلى الدلالة الذاتية وإلى الدلالة الإيحائية (المجازية) تُظهر حجم الإشكالية التي يطرحها المعنى والتي مازالت إلى يومنا هذا تفرض نفسها على بساط البحث على الرغم من تشعّب سبل البحث وآلياته المتنوعة. وهو الشيء الذي حدا بعلم الدلالة المعاصر إلى الاستعانة بمعطيات العلوم المعاصرة من أجل فهم أدقّ لعملية التدليل وإنتاج المعنى.

ويُعتمد على المعنى الإدراكي لصلته بالواقع أي إدراك الواقع كما هو ولصلته بالذهن أي الانطباعات التي تترسّب في ذهن الإنسان حينما تتشكّل صورة الواقع في ذهنه. فالمعنى الإدراكي يجمع بين المعنيين معا سواء المعنى الذاتي الحقيقي أو المجازي. لأنّ الوحدات اللسانية تتأرجح من حيث الاستعمال بين "الحقيقة والمجاز"؛ فهما صنوان متلازمان لا ينفكّ عنهما وجود اللغة ذاتها.

غير أنّ خضوع الوحدة اللسانية للتحوّل إلى المجاز و الاستعارة يبدو أكثر من حيث الاستعمال؛ وهو بدوره يخضع إلى العرف الاجتماعي الذي يتقبّل هذا التغير

---

[1]- عبد المجيد جحفة: م س، ص 100.

الدلالي أو يرفضه؛ فبإمكان أيّ فرد أن يصبغ المجاز على المعاني الحقيقية ويخرجها عن معانيها الذاتية والمركزية والمعجمية بشرط أنّ المتلقي لها سواء كان فردا أو جماعة يتجاوب معه وينخرط في دورة تخاطبية تجعله يفهم عنه سياق التحوّل الدلالي من الحقيقة نحو المجاز و الاستعارة.

بعد ذلك يشيع هذا الاستعمال و يشتهر لدى المجموعة اللسانية المتجانسة ثقافيا. "إنّ الأفعال اللغوية تنجز داخل الجماعة اللغوية وفق قواعد قد تعلّمها كل شريك لغوي في عملية تكيّفه الاجتماعي تعلّما تامّا بدرجة أكثر أو أقلّ. يمتلك شركاء الاتصال إذن معرفة مشتركة عن أيّ الشروط ووفق أيّ قواعد يمكن أن تجرى أفعال لغوية معينة في مواقف التواصل"[1].

وبالتالي تُكتشف حقيقة "المجاز" وسائر ضروب التحول الدلالي التي تعكس صورا إدراكية ملتقطة من الواقع و مستنسخة عنه بواسطة اللغة؛ "أمّا الأشياء الموضوعة لها هذه الألفاظ فهي المعاني الذهنية دون الخارجية لأنّ الوضع للشيء فرع عن تصوّره. فلا بدّ من استحضار صورة – الإنسان– مثلا في الذهن عند إرادة الوضع له. وهذه الصورة الذهنية هي التي وضع لها لفظ الإنسان لا الماهية الخارجية وذلك لأنّ اللفظ قد وضع للتعبير عمّا في الذهن وليس للماهية"[2].

لا يجب أن يغيب عن البال أنّ هذه المعاني الإدراكية سواء منها الذاتية أو الإيحائية إنّما تدرس في هذا الإطار لصلتها بعملية الترجمة على اعتبار أنّ عمل الترجمة يجعل من نقل دلالات الألفاظ وسيلة لإنجاز العمل الترجمي المتقن. والشيء الذي أكّدت عليه اللسانيات الإدراكية أنّ استخدام المجاز والاستعارة وسائر ضروب التشبيه ليس حكرا على أرباب القلم ومحترفي الإبداع كما كان عليه الأمر منذ عقود من الزمان. و إنّما يَلجأ إليه و بطريقة عفوية و لاشعورية كلّ فرد متكلّم يستعمل اللغة

---

[1]- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، ترجمة سعيد حسين بحيري، مصر، القاهرة، مؤسسة المختار، ط1، 2005، ص110.

[2]- محامي منير محمد الطاهر: تهافت القراءة المعاصر، لبنان، بيروت، دار قتيبة للنشر و التوزيع، ط1، 2004، ص356.

في كلّ الأحوال و الظروف الحياتية و المعيشية ويُصيّر اللغة أداته ووسيلته نحو الفهم والإفهام.

يمثّل إعادة النظر في مرتبة الاستعارة والمجاز من الفكر الإنساني واللساني خطوة نحو تغيير زاوية النظر لهما؛ وهو التطور الذي جعلهما يرتدّان إلى مرتبة مركزية لم يكونا يحظيان بهما سابقا. وبالتالي فإنّ استخدامهما في الكلام العادي ليس جنوحا نحو التأنّق في الكلام وسعيا إلى الجمالية والفنّ فقط؛ وإنّما هو تعبير عن حاجة يومية وضرورة حياتية؛ تبرّر دراسة الاستعارة والمجاز مثلما تدرس أساليب القول العادية.

إنّ هذه التأكيدات على مركزية الفكر الاستعاري لدى الإنسان تجعل اللسانيات الإدراكية تدلي بدلوها في هذا المجال وتحاول الإجابة على أسئلة ملّحة طرحت أمام الفكر الإنساني منذ فجر التاريخ؛ لأنّه لم تخل أمة من أمم الأرض من النظر في لغتها والتمكين لها ودراستها دراسة تضمن لها الديمومة والاستمرار.

وهذا يؤكّد على أنّ اللسانيات الإدراكية بالقسط الذي تسهم به في محاولة حلّ هذه الإشكالية وبما تتشبّع به من معطيات العلوم الأخرى وخاصة علم النفس الإدراكي والمنطق وفلسفة اللغة واللسانيات بكل أطيافها وتياراتها؛ يجعل النظرية اللسانية الإدراكية تحتلّ المكانة اللائقة بها في الوقت المعاصر.

واستعانة بمعطياتها دائما فإنّ المعنى الإدراكي يثير هو الآخر إشكالا يتمثل في اعتبار عامل الثقافة محدّدا مركزيا أم هامشيا، أي أنّه إذا حُكم بأنّ ألفاظ اللغة إنّما هي ثمرة من ثمرات العمليات الإدراكية السابقة على القول اللساني ومحصّلة له؛ فهنا تصير هذه المعاني الإدراكية تكتسي طابعا كونيا إنسانيا تغيب فيه الفوارق العرقية والثقافية ولا يصير للعامل الثقافي دور كبير في تحديد المعنى المراد من الوحدة اللسانية أو التركيب اللساني.

ولكن لا يمكن إغفال حقيقة هامّة هي أنّ الذهن إنّما يتبلور من خلال وجوده في بيئة محدّدة ولا وجود في حقيقة الأمر من الناحية الواقعية لإنسان عالمي يتعالى على

معطيات الثقافة والاجتماع. كما لا يمكن تصوّر شخص بإمكانه أن يجعل من ممارسة اللغة عملا فرديا لا دخل للآخرين فيه؛ فيصير هو نفسه باثا ومتلقيا في الآن نفسه.

وعدم إمكان تصوّر ذلك يرتدّ إلى أنّ اللغة عمل جماعي تفاعلي تظهر قيمته وفعاليته في تداول الأشخاص له فيما بينهم؛ فتنطبع صورهم في لغتهم؛ وتظهر لغتهم في صورهم الثقافية والاجتماعية.

"إنّ الاجتماع الإنساني ضروري. ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع، أي لابدّ له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران"[1]. فالإنسان ابن بيئته وخصوصا في سنيّ حياته الأولى التي تطبعه بطابعها. وبالتالي فلا فكاك من أسر الثقافة؛ والإنسان إنّما يدرك ما يدرك بواقع الثقافة التي ينتمي إليها؛ وهذا ينعكس على ما يختار من ألفاظ اللغة وأساليبها. فتصير اللغة هي وعاء الفكر الإنساني الخاص والعام. وبمقدار إدراك الإنسان للّغة وتجاوبه مع ألفاظها وتراكيبها تغدو اللغة أداة طيّعة في يده في كل الأحوال والمناسبات.

وبهذا الشكل فإنّ نقطة التشظي والمفارقة التي يتوقف على حلّها تناول مشكلة الترجمة المجازية. هي أنّ المترجم يبحث عن معنى إدراكي للملفوظ اللساني لكي يترجمه، و لكنّه يضع في حسبانه أنّه مجبر على الاختيار بين معنيين إدراكيين مختلفين. أمّا أحدهما فهو معنى إدراكي إنساني عام ومشترك يتعالى على حواجز الثقافة و التاريخ يفهمه وينقله ويحضره جاهزا أمام القارئ في اللغة الهدف؛ ويحقق مهمته في ترجمة الوحدات المجازية الواردة في صلب النصوص الأدبية. وأمّا الآخر فمعنى إدراكي ولكنّه مثقل بحمولة الثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع.

« Establishing the conceptualization on which a particular metaphorical expression is based is relevant to translation, too. Such a perspective provides a different answer to the question of translatability of metaphors »[2].

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، لبنان، بيروت، دار الفكر، 2004، ص53.

[2] -Christina Schaffner : Journal of pragmatics, 36 (2004) Metaphor and translation, P 1258.

"إنّ تأسيس تصوّر ما لإنشاء تعبير استعاري معيّن مرتبط بالترجمة هو أيضا. وهذا المنظور يوفّر أجوبة مختلفة لمسألة قابلية الاستعارة للترجمة".

إنّ هذه الفكرة هي فكرة محورية في رحاب اللسانيات الإدراكية؛ ولذلك فإنّ إخضاعها للبحث اللساني الإدراكي يمكّن من استجلاء الآلية التي بحوزة هذا الاتجاه في تبنّيه لفكرة قابلية الوحدات المجازية للترجمة.

والأخذ بهذا القول على علاّته يبسّط أمر الترجمة ويجعلها في متناول المترجم الواعي المدرك والذي يكفيه أن يتصوّر العالم بنفس ما تصوّر به الكاتب الواعي ليتمكّن المترجم بعد ذلك من صياغة ما هو بصدده من الترجمة. واعتبار الترجمة بهذه الصورة كفيل بتسيير سبيلها وبسطها بطريقة علمية منظّمة، ولن يكون الناتج من الترجمة مشوّها للأصل الذي ورد فكرة حاضرة في ذهن الكاتب الأصلي.

وهذا يبيّن أنّ اختلاف اللغات لا يكون عائقا أمام ترجمة نافذة لعمق البنية المتضمّنة في النص الأدبي. وهذا ما حدا بكثير من المنظّرين للترجمة اعتماد مفهوم يطلق عليه" ثابت الترجمة"؛ "وهذا الثابت يبقى ثابتا رغم اختلاف اللغات فلا يهمّ الشكل اللغوي الذي صيغت في إطاره النصوص المقترحة للترجمة؛ ما دام أنّ البحث عن مضمون وروح النص هو ما يُراد نقله وإن تباينت الأشكال والتعابير فيها"[1].

إنّ القول السابق يؤكد على إعلاء أهمية الفكرة الكامنة وراء أسوار اللغة فإذا ما تصيّدها المترجم سهل عليه بعد ذلك التعبير في أيّة لغة عن مضمون هذه الأفكار. وبالتالي فالألفاظ والتراكيب اللغوية تصير أوعية وأبنية للمعاني والدلالات والتي عليها يتمحور الفعل الدلالي للنص.

ويكفي في هذه العملية الترجمية معرفة ما تعنيه الكلمات في اللغتين (الأصل والهدف) ليتيّسر عمله ويوفق للصواب؛ فالنفاذ إلى الدلالات في أيّة لغة من اللغات يتيّسر

---

[1]- محمد ماجد الموصلي: م س، ص 35.

للمترجم القادر على النّفاذ إلى عمق المعاني المتداولة لدى طائفة المتخاطبين المتجانسين ثقافيا واجتماعيا وحضاريا.

وإنّما يتأتّى له إذا اكتسب قبل الإقدام على الترجمة معرفة كافية بالإطار الثقافي والحضاري الذي يؤطّر نص الترجمة في اللغة الأصل؛ وأيضا بالإطار الثقافي والحضاري الذي سوف يؤطّر النص الذي سينتج بعد إجراء الترجمة؛ وهذه الإمكانية اللسانية المستندة على عنصر الثقافة إنّما يكون منبعها المعرفة المترسبة في ذهن المترجم المتأتّية من معايشته للغتين الأصل والهدف كلتيهما.

« Deux partenaires sont en effet mis en relation par l'acte de traduire, l'étranger- terme couvrant l'œuvre, l'auteur, sa langue- et le lecteur destinataire de l'ouvrage traduit. Et entre les deux, le traducteur qui transmet, fait passer le message entier d'un idiome dans l'autre ».[(1)]

"هناك شريكان مرتبطان حقيقة بفعل الترجمة وهما: الغريب– وهو مصطلح يشمل الأثر و الكاتب ولغته– والقارئ المستهدف بواسطة العمل المترجم. وبين الاثنين هناك المترجم الذي ينقل ويمرّر خطاب العبارة الكامل إلى عبارة أخرى".

فالغربة التي يتحدّث عنها "بول ريكور" تشمل غربة الكاتب لأنّه ينتمي إلى مجتمع آخر، وأيضا تتعلّق الغربة باللغة التي كتب بها الأثر المراد ترجمته، وتتعلّق أخيرا – وهو المهمّ– بالثقافة التي يتوقف على فهمها تفكيك شفرة النص المتضمّنة في الخطاب النصي الذي ارتأى المترجم أن يتصدّى له متسلّحا بالمعرفة التي بإمكانها أن تزوّده بالقدرة على التوسط بين اللغتين – الأصل والهدف – بدون أن ينتقص منهما ما ورد في ظلال كل واحدة منهما من رموز ثقافية أشدّ ما تكون التصاقا بالحضارة والآداب والسلوك الاجتماعي والتاريخ.

ممّا لا شك فيه أنّ إدراج الحديث عن المعنى الإدراكي يتيح للمترجم أن يعي القوانين التي تخص التفكير والتي تعتبر برمجة راسخة لأيّ إنسان تجعل لكلامه معنى ولسلوكه فائدة في واقعه الاجتماعي وأهمّ المهارات هي المهارة اللغوية ما تعلّق منها

[1] -Paul Ricœur : Sur la traduction, Bayard éditions, France, 1997, P 06.

بلغة الأصل وما تعلّق منها بلغة الهدف. وسواء كان اشتغال المترجم على هذه أو تلك فيجب أن يعرف فيما يعرف أنّ الفكر هو الذي يقوم بصنع ملفات الذاكرة في العقل ويصنع الاستراتجيات العقلية التي تثبت تأثير توارد المعلومات على العقل الباطن.

فالمعلومات التي يحصل عليها الإنسان من الواقع تسلك سبيلا آليا؛ حيث يتمّ استقبالها وإخضاعها لعمليات ذهنية معقدة من ضمنها التخزين والتكرار والاسترجاع والتركيز وغيرها من العمليات التي تؤهّل الإنسان لأن يكون ناطقا متكلما. "من المعروف أنّ تخزين المعلومات في الدماغ يتطلب ثلاثة أمور أساسية هي:

"التسجيل: أي تلقي الدماغ للمعلومات من الحواس.

الترسيخ و التثبيت: أي تخزين تلك المعلومات وذلك إما في الذاكرة القصيرة الأجل أو الطويلة الأجل.

الاسترجاع: أو القدرة على تذكر تلك المعلومات عند الحاجة إليها" [1].

وبهذا الشكل تتضح فائدة الاهتمام بالناحية الذهنية الإدراكية لدى الحديث عن إجراء ييسر أمام الدارسين إشكاليات الترجمة القائمة على تحقيق معادلة النص و الدلالة والثقافة.

فلقد ترسّخ الاتجاه القائم على الجانب الإدراكي في مجالات اللغة وعلومها واهتماماتها سواء ما تعلّق منها بالتعليم أو التعلّم أو الترجمة؛ "إنّ تعلّم اللّغات الجديدة يحرّض مناطق واسعة من الدماغ ويمرّن مراكز الذاكرة والكتابة والكلام فيه، كما يفيد القدرات الإدراكية بشكل عام"[2]. فهذا ممّا يثبت دور الكلام في خضمّ الوجود الإنساني المرتكز على ممارسة اللغة في الوسط الاجتماعي بطريقة إبداعية تستمدّ من القدرات الدماغية زادا معرفيا للتواصل اللغوي الخلاق.

---

[1]- ارثر وينتر- روث وينتر: بناء القدرات الدماغية، ترجمة كمال قطماوي، سوريا، اللاذقية، دار الحوار، ط1، 1996، ص 91.

[2]- ارثر وينتر- روث وينتر: م ن، ص 112.

ولا عجب أنّ حقيقة الإنسان الكلامية إنّما تثبت تميّز الإنسان بهذه المَلَكة عن سائر الموجودات؛ كما تثبت أنّ اللغة تعكس مستوى الإنسان ورتبته الاجتماعية ممّا يجعله يفكر مليّا قبل أن يقدم على الكلام حتّى لا يكون لكلامه وقع غير مرغوب فيه. فالحكم على الإنسان يتأتّى من خلال كلامه، فهو بلا كلام مجهول؛ وإنّما يعرف أيُّ إنسان ويعرَّف ويصنَّف إذا ابتدأ الكلام.

"it seems that meaning must be something that exists in the mind rather than the world and that it must be more abstract than pictures and that there is more to it than just features.[1] "

"يبدو أنّ المعنى هو شئ مستمدّ من الذهن وليس من الواقع، وأنّه أكثر تجريدا من الصور، وأنّ فيه أكثر من مجرد ملامح".

وهذا الإعلان يرتبط أساسا بالإشكالية الكلاسيكية لدراسة اللغة الإنسانية؛ حيث كانت تعتبر اللغة مستمدّة من الواقع ومرجعياته المختلفة. وعلى هذا الأساس مضى إسهام الفلسفة اليونانية القديمة، والفلسفة المدرسية (السكولائية) في القرون الوسطى، والنّزعة السيكولوجية القديمة، والنزعة العقلانية، والنزعة التجريبية؛ فكلّها ربطت مرجعيات اللغة بالواقع والعالم فقط[2].

وتجدر الإشارة إلى أنّ أهمّية الواقع والعالم في الربط بين الألفاظ ومرجعياتها في الواقع قضية محسومة سلفا؛ إلا أنّه لوحده لا يجيب على كثير من الطاقات التعبيرية التي تحتويها اللغة؛ والتي تيّسر سبل التخاطب بين البشر، وتتجاوز بالتالي مجرد أن تكون الألفاظ صورا عاكسة لشخوص الأحداث والأشياء، وتمكّن الإنسان من استعمال اللغة بطريقة إبداعية فيها مهارة وتفنّن تتجاوز الواقع المرئي والمحسوس تجاوزا واضحا.

---

[1] -William Ogrady : Op cit, P275

[2]- ينظر عبد القادر قنيني: م س، ص09-20.

وهذا ما مهّد السبيل أمام النظرة المعاصرة للغة ومعانيها ودلالاتها؛ والتي ترى أنّ المعنى ينتج في الذهن عبر تراكم من المعلومات والمعطيات المستمدّة من الواقع التي تخضع للتحليل والترشيح على مستوى الذهن.

« Previous philosophers of thought and language have simply been ignorant of one important modern fact : thought happens in the brain ! » [(1)].

"الفلاسفة السابقون للفكر واللغة تجاهلوا بكل بساطة واقعة معاصرة هامّة هي أنّ: الفكر موجود في الدماغ".

وبالتالي فاللغة حاملة لفكر الإنسان ووعيه بواقعه وعالمه؛ وبمقدار فهم آلية عمل واشتغال الدماغ ينعكس ذلك على فهم كثير من العمليات الذهنية المقترنة والمرتبطة ببنية الذهن؛ وأهمّها القدرة اللغوية الفطرية والمكتسبة في الآن نفسه لدى الإنسان.

وبذلك اكتسب الذهن قابلية لصنع المعنى اللغوي وإنتاجه؛ والمعنى الإدراكي الذي يتجه صوبه الاهتمام في ظل اللسانيات الإدراكية هو المعنى الإدراكي المجازي الذي ما فتىء يكتسب من الاهتمام في العقود الأخيرة حتى غدا بؤرة تركزت حوله مجموعة من الحقول المعرفية.

- آلية النظام الإدراكي:

إنّ المفاهيم التي يُعبّر عنها بواسطة اللغة ليست وحدات معزولة بعضها عن البعض بل تخضع لشبكة معقدة من الارتباطات والاشتراكات بين أقسام متعددة من العمليات الذهنية؛ وتشكّل الاستعارة مفتاحا لفهم هذه الآلية لأنّ الاستعارة تفهم بواسطة عوامل أخرى تحدّدها.

وهذا يؤدّي إلى الاستئناس بالدراسات السابقة على الدلاليات الإدراكية والتي ركّزت في دراستها على الاستعارة والمجاز والتشبيه وسائر ضروب القول سواء من وجهة بلاغية أو منطقية أو أسلوبية تشترك جميعها في اعتبار المجاز والاستعارة

[1] -Donald Loritz : How the brain evolved language, Oxford university press, USA, 1999, P O4.

قسيما ثانيا من أقسام المعنى. أمّا القسم الأول فهو الحقيقة؛ والحقيقة هي الأصل والمرجع، وبالتالي لا تفهم الاستعارة إلا على ضوء الحقيقة؛ وكذلك المجاز – وهو القسم الثاني – لا يفهم إلاّ على ضوء الحقيقة؛ لأنّ المجاز هو تجاوز للحقيقة إلى معان أخرى.

في ظل اللسانيات الإدراكية أصبح المجاز والاستعارة يتبوآن مكانة مركزية ولكن ضمن آلية إدراكية معينة. تتمثّل هذه الآلية الإدراكية في أنّ الألفاظ والعبارات التي يتكلّمها المتكلّم هي محصلة لعمليات ذهنية قادرة على تصنيف وتنظيم كل ما يردُ على الفكر من أمور الحس ممّا يشكل تجربة المتكلّم مع ما يحس به من مشاعر وما يرد إليه من إدراكات وما يعايشه في واقعه الثقافي والاجتماعي ضمن الفضاء الفيزيائي المدرَك.

وفي ظل هذه النظرية فإنّ المفاهيم التي تُشحن بها الألفاظ في اللغة ليست معزولة بعضها عن البعض الآخر إنّها متعالقة ومتشابكة فيما بينها ولولا ذلك لكان اللفظ يحمل دلالة معينة لا يتخطّاها. بينما الواقع غير ذلك إذ إنّ الألفاظ تشترك مع غيرها من الوحدات الدلالية بل وقد تأخذ مكانها أحيانا بطريق التشبيه أو المقارنة أو الاستعارة مثلا يَرِدُ التعبيران التاليان:

– سألت عالما واسع المعرفة.

– سافرت في بحر واسع الفضاء:

يُلاحظ أنّ صفة البحر هي سعة الفضاء وأنّ صفة العالم هي سعة المعرفة، ولذلك يلجأ الناس إلى إدراج هذه الصفة وإسقاط التشبيه المحتمل بين العالم والبحر بجامع ما بينهما من السعة؛ فتحلّ إحداهما مكان الأخرى.

وعلى هذا الأساس فيمكن للعبارة التالية أن تظهر وتستعمل وتشتهر وتعرف بين الناس بدون أن يشكل ذلك خرقا أو تشويها لدى القائل أو المتلقي كليهما. والعبارة المقصودة هنا هي : "**سألتُ بحرا**".

ففي هذه العبارة استعارة بلاغية تصريحية، لأنّ المشبه به وهو "البحر" مُصرّح به؛ والقرينة الصارفة عن إرادة المعنى الأصلي هي الوحدة المعجمية "سألتُ" في اجتماعها مع لفظة "البحر"؛ بحيث لا يمكن للبحر أن يُسأل فيجيب، فهي ليست من خصائصه ولا من لوازمه. وإنّما من يُسأل حقيقة فيجيب هو الإنسان.

ويُلاحظ أنّه حتى العامي البسيط يفهم من هذه العبارة أنّ المسؤول هو إنسان عالم واسع المعرفة ولا يفهم غير ذلك. قد تشترك كثير من الثقافات في هذا التشبيه وربما لا يستثنى منها إلا تلك الشعوب التي لا تتوفر على ساحل بحر. ففي هذا المثال يوجد تعلّق وترابط بين وحدتين دلاليتين هما العالم والبحر ووحدة الاشتراك هي " يسأل". ويمكن التساؤل ما الذي جمع بين هاتين الوحدتين؟ لماذا لم تشتهر وحدة دلالية أخرى بدلا من كلمة البحر لتصير عنوانا على سعة المعرفة لدى العالم؟

يبدو أنّ الداعي إلى ذلك هو العملية الذهنية التي تقوم بإدراك الواقع بطريقة تجعل انتقاء وحدة دلالية معينة على حساب وحدات أخرى. ولكن مع إيلاء جانب الثقافة والمشاعر الشخصية أحيانا دورا في عملية الانتقاء.

« Words in figurative expressions connote additional layers of meaning. When the human ear or eye receives the message the mind must interpret the data to convert it into meaning”.[(1)]

" الكلمات في العبارات التصويرية توحي بطبقات إضافية للمعاني. فحينما تستقبل العين أو الأذن الخطاب فإنّ العقل يترجم وجوبا هذه المعطيات لتحويلها إلى معان".

ويتبين بذلك أنّ اللغة ليست فاعلية مستقلّة بذاتها حيث يرى الإنسان الأشياء فيعبّر عنها بألفاظ اللغة بصفة آلية بسيطة. وإنّما سلسلة الادراكات الحسية التي يتلقفها الإنسان من واقعه تدخل في سلسلة متشابكة مع العمليات الذهنية الفكرية والاستدلالية ومختلف طرق التحليل ومستوياته حتى يتسنّى انتقاء لفظ يحمل دلالة معينة بالقياس إلى وحدات دلالية تجاوره أو تشبهه أو تستدعيه مثلما سبق بيانه.

---

[1]-Wikipidia : The free encyclopaedia : literal and figurative language.

وأشهر ما يشكّل المشابهة هو الاستعارة؛ لأنّ الاستعارة كما هو معروف بلاغيا هي ضرب من المجاز؛ وقد عرّفها ابن الأثير بقوله: "الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء. ولا يعرفه حتى يستعير منه"[1].

ومعنى هذا الكلام أنّ استعارة أحد من آخر شيئا من الأشياء تقتضي أن يعرف من يستعير ما يستعير، وهذا ينطبق على الألفاظ في اللغة؛ "وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى آخر كالمعرفة بين الشخصين في الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر"[2].

ولقد تعددّت التعاريف الاصطلاحية للاستعارة غير أنّها تتفق في اعتبار الاستعارة تسميّة شيء باسم آخر إذا قام مقامه؛ أو هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.

وبهذا يتبين أنّ الآلية التي تسيّر عمل الاستعارة كمنتوج لغوي هي استنادها إلى عملية معرفية يقوم بها ذهن الإنسان الواعي المدرك لواقعه ووجوده، والتي تتحكّم في اتجاه الإنسان نحو المجاز بدل الحقيقة. وهذا الاتجاه لا تمليه حاجة جمالية فقط؛ بل ضرورة معرفية، تجعل الإنسان يلجأ إلى الاستعارة والمجاز بطريقة آلية لاشعورية.

"تتصدّر الاستعارة بشكل كبير بنية الكلام الإنساني؛ إذ تعدّ عاملا رئيسا في الحفز والبحث، وأداة تعبيرية، ومصدرا للترادف وتعدّد المعنى، ومتنفسا للعواطف والمشاعر الانفعالية الحادة، ووسيلة لملء الفراغات في المصطلحات"[3].

---

[1]- زبير دراقي: الإحاطة في علوم البلاغة، الجزائر، الجزائر العاصمة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2004، ص 145.

[2]- زبير دراقي: م ن، ص 145.

[3]- يوسف أبو العدوس: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأبعاد المعرفية والجمالية، الأردن، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 1997، ص06.

ولكن على الرغم من أنّ موضوع الاستعارة سجّل حضورا متميّزا في رحاب الثقافة العربية القديمة، إلاّ أن الإسهامات التراثية في معظمها لم تفسر الأبعاد الحقيقية لكيفية اشتغال الاستعارة. وهذا راجع إلى أنّ المقاربة الإدراكية التي أولت الاهتمام المركزي للاستعارة إنّما تبحث عن قابلية الذهن لإنتاج المعنى اللساني القائم على تحقيق التواصل الإنساني بواسطة اللغة حقيقية كانت أو مجازية.

أمّا الاستعارة العربية فيغلب عليها الاتجاه البلاغي الذي يرسخ فنّيتها وجماليتها وليس باعتبارها وسيلة معرفية قادرة على بناء صرح المعرفة الإنسانية بطريقة تحقّق الجانب المعرفي والجمالي معا.

وهذه القابلية المعرفية الجمالية إنّما تتحقق في الاستعارة القائمة على الدراسة اللسانية الإدراكية، وما ذلك إلاّ لأنها استفادت من حقول معرفية متعددة؛ إذ إنّ معظم هذه الأبحاث إنّما تبلورت مؤخرا بعد الاكتشافات العلمية والتقنية في مجالات بحثية متعدّدة منها: علم الأعصاب، علم النفس الإدراكي، علم الحواسيب، علم الإناسة، أبحاث الذكاء الاصطناعي، هذا فضلا عن اللسانيات ومدارسها وفروعها المتعدّدة عند "تشومسكي" التي كانت تبحث عن القواعد النحوية التي تضبط الشكل الخارجي من اللغة، وهذا المستوى هو الذي أطلق عليه "تشومسكي" البنية السطحية، التي أصبحت تستجيب لبنية عميقة ذهنية.

أمّا اللسانيات الإدراكية واستثمارا لأبحاث "تشومسكي" فنقلت مجال البحث إلى البنية العميقة والتي هي العملية الذهنية التي تمكّن من إنتاج المعنى.

ويمكن في هذا المجال الاطلاع على ما أنجزته الإسهامات الغربية البلاغية في دراسة "الاستعارة والمجاز" لأنّ الجمع بين الرؤية التراثية العربية والرؤية الغربية من شأنه أن يقرّب المفاهيم بشكل يجعل تناول جوهر الموضوع شاملا بدون الإفاضة والإطالة في تلك الشروح والحواشي التي امتلأت بها بطون الكتب المدرسية البلاغية.

تصادف الباحث لأول وهلة مصطلحات بلاغية كثيرة تدور حول فكرة تجاوز الحقيقة إلى وحدات لغوية غير حقيقية؛ وأهمّ هذه المصطلحات هما: الاستعارة

والمجاز؛ وهذه المصطلحات تمثّل هاجسا عند جلّ الباحثين سواء في مجال العرض اللساني النظري أو التطبيقي ما تعلّق منه بالترجمة أو بغيرها من حقول معرفية مجاورة؛ ولذلك فإنّ تحديد المصطلحات بدقة يبدو عسير المنال. وهذا يوجب رصد المحتوى المعرفـــي الذي تحملـــه هـــذه المصطلحـــات.

وما دام أنّ "علـــم الدلالـــة الألسني" "La sémantique linguistique" استقرّ على اعتبار التقسيم الشائع وهو "الحقيقة والمجاز". فإنّ مصطلح "المجاز" يفرض نفسه في الاستعمال ليقوم مقام مصطلحات تُلفى متداولة لدى باحثين آخرين في اختصاصات بحثية أخرى. وهذا لا يمس بمصداقية هذه الاختيارات المصطلحية الأخرى ؛ ولكن لا يمكن استعمالها كلّها؛ مثل: التصريح- الإيماء- الإيحاء- المركز- الهامش- التعيين- التضمين.

وحينما يُعرض للحديث عن المجاز فإنّ الاستعارة وضروبها والكناية كلّها تذكر تبعا لذلك؛ حيث يشير مصطلح المجاز إلى ضرب بلاغي يجعل المجاز عبارة عن صورة تحمل دلالة ترتبط بدلالة وحدة لغوية أخرى بطريق المشابهة أو المجاورة. فمن ضمن التحديدات الغربية لمصطلح "الاستعارة" يوجد تحديد ديمرسيه Dumarsais :"الاستعارة صورة ننقل بواسطتها الدلالة الخاصة بكلمة إلى دلالة أخرى لا تناسبها إلا بوجه شبه موجود في الذهن"[1].

يُلاحظ من خلال هذا التعريف أنّ الذهن دائما يلعب دورا محوريا في تحديد دلالة وحدة لغوية معينة، وهذا بدوره يتقاطع ما قررته اللسانيات الإدراكية. فمحصلة القول اللساني قائمة على اعتبار أنّ ما سبق في الذهن إدراكه ثمّ ما تعامل به الذهن مع معطيات الواقع والثقافة كليهما تسهم في اختيار المتكلم لوحدة لغوية عوضا عن وحدة دلالية أخرى.

---

[1]- ميشال لوغون: الاستعارة والمجاز المرسل، ترجمة حلا صليبا، لبنان، بيروت، منشورات عويدات، ط1، 1988، ص 32.

هذا هو التعريف الغربي للاستعارة، وفي ظلها" أي الثقافة الغربية" يوجد تعريف "المجاز" على الشكل التالي: "المجاز المرسل لفظة بلاغية. وصورة نضع بواسطتها كلمة مكان أخرى توحي بدلالتها. وبهذا المعنى يصبح المجاز المرسل اسما مشتركا لكل الصور البلاغية"[1]. ولقد أصبح مصطلح "المجاز" في ظلال الثقافة الغربية يجمع أشتات الصور البلاغية" "Les Tropes" الأخرى؛ وعلى رأسها الاستعارة وأيضا الكناية، بالإضافة إلى أقسام "المجاز" نفسه المتعددة واستعمالاته البلاغية المتنوعة وهي:

علاقة السبب بالنتيجة، وعلاقة النتيجة بالسبب، وعلاقة الحاوي بالمحتوى، وعلاقة اسم مكان حدوث الشيء بالشيء نفسه، وعلاقة الإشارة بالشيء المشار إليه، وعلاقة الاسم المجرد بالاسم المحسوس، وعلاقة أجزاء الجسم المعتبرة مراكز الإحساس أو العواطف بهذه العواطف والأحاسيس، وعلاقة اسم سيد البيت بالبيت نفسه، وعلاقة السابق باللاحق[2]. وهذه العلاقات المجازية الكائنة بين الوحدات اللغوية تفرض على المترجم معرفة وافية بكيفية انتظام هذه العلاقات تمهيدا لإعادة نقلها إلى "الآخر" بطريق الترجمة، وكما يُلاحظ فإنّ المترجم يعيد نقل هذه الصور البلاغية لأنّها هي أصلا منقولة عن معان حقيقية سابقة. وبالتالي فإنّ المترجم يعيد تشكيل هذه العلاقات الدلالية بجهد مضاعف موظفا إمكانيات الدلالة البلاغية بين اللغتين.

واستنادا إلى ما أوردته اللسانيات الإدراكية يمكن ذكر مجموعة من الاستعارات تتعلّق بالفضاء (المكان) وكيفية إدراك الذهن لأبعاد الفضاء ثمّ تعبير الوحدات اللسانية عن هذا الفضاء بما يوازيه أو يقاربه أو يشبهه أو يقترن معه:

Metaphorical use of spatial terms:

Emotions:

happy is up:	**sad is down**:
I’m feeling up	I’m feeling down
That boosted my spirits	he feel into a depression

[1]- ميشال لوغورن: م س، ص33.
[2]- ميشال لوغورن: م ن، ص33.

My spirits rose	her spirits sank
The height of ectasy	the depths of misery
That gave me a lift	that depressed me[1]

يتبين أنّ التعبير الانجليزي عن الانفعالات النفسية وتعبيره عنها بوحدات لسانية تعبّر عن المكان من حيث الصعود والنزول والارتفاع والسقوط يظهر انطباع صورة الواقع على الذهن وتدخلها في إسقاط هذه الأبعاد الفضائية على معطيات نفسية لا علاقة لها ظاهريا بهذه الأبعاد المكانية.

لا تبتعد اللغة العربية عن هذه التعابير بل وكأنها صورة منسوخة عنها مثل: "حطّم معنوياتي، بلغ ذروة السعادة، تردّى في جحيم الشقاء والبؤس". ولكن مع هذا التقاطع بين اللغة العربية والانجليزية في هذا المعطى الإدراكي الفيزيائي إلاّ أن اللغة العربية بما تشتمل عليه من اتساع طرائق التعبير تضيف إلى هذا الجانب الإدراكي جانبا هامّا يتعلق بالدلالة الصوتية وارتباطها بالدلالة اللسانية.

فلو أخذ المثال السابق المعبّر عن السعادة والفرح وتعبيره عن المكان بطريقة إدراكية عن الصعود والارتقاء؛ فسوف يوصل إلى جانب لا يقلّ إبداعية وتفنّنا؛ هذا الجانب تفطّن له باكرا "ابن جني" في كتابه "الخصائص" وعرض لشرحه "صبحي الصالح" الذي يُسمّي هذا الجانب "مناسبة حروف العربية لمعانيها".

وهذا الجانب يتعلّق بكيفية انتظام الأصوات اللغوية فيما بينها بطريقة دلالية تظهر القيمة البيانية البلاغية للحرف الواحد؛ ويُعنى بها القيمة التعبيرية الموحية.

"إذ لم يعنهم من كل حرف أنّه صوت، وإنّما عناهم من صوت هذا الحرف أنّه معبّر عن غرض؛ فكلّ حرف منها يستقلّ ببيان معنى خاص ما دام يستقل بإحداث صوت معين. كلّ حرف له ظل وإشعاع إذا كان لكل حرف صدى وإيقاع".[2]

---

[1] -William O'grady : Op cit, P 279.

[2]- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط11، 1986، ص 142.

وتطبيقا لهذا القول يردُ تحليل ابن جني للفعلين (صعد وسعد) حيث يُلاحظ أنّ الخلاف بين الفعلين إنّما هو على مستوى حرفي (الصاد والسين)؛ وهذا "الاختلاف الصوتي" بينهما ينجر عنه اختلاف دلالي: "فما وقع في أول الكلمة صعد وسعد، فجعلوا الصاد لأنها أقوى لما فيه أثر مشاهد يُرى وهو الصعود في جبل وحائط ونحو ذلك، وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر ولا يُشاهد حسا، إلا أنّه مع ذلك فيه صعود الجدّ لا صعود الجسم، فجعلوا الصاد لقوّتها فيما يُشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين"[1].

وما سبق بيانه من خلال هذه الإشارات يؤكد الحاجة للترجمة المجازية لا الحرفية، كما يعكس هذا الاختلاف بين اللغتين اختلافا في طرائق التعبير تلزم المترجم على الحرص على المحافظة على هذه الخصوصيات اللسانية. فمن خلال المثال السابق يوجد اتساع في التعبير في اللغة العربية لأنّها تستعمل التعبير بالماديات عن السعادة بألفاظ دالة على المكان كالارتفاع والارتقاء كما يوجد تعبير عن المعاني المجرّدة ولكن بدلالة أصوات اللغة (صعد وسعد).

والعلماء اللسانيون يجعلون التعبير في اللغة عن المجرّدات مرحلة متأخرة من تطوّر الإنسان ونشأة مداركه واتساعها. وكلّما كان التعبير ألصق بالواقع وأنسخ له دلّ ذلك على مرحلة متقدّمة لم تكتمل ولم تنضج بعد.

وهذا يبيّن أنّ هناك مقاييس للمفاضلة بين اللغات والتي تختلف في طرائق التعبير سعيا إلى الارتقاء والكمال: "اللغة الراقية هي اللغة التي بلغ الكلام السوي فيها حد الكمال فكريا أو كاد والتي كاد يتلاشى فيها مدى المعنى الصوري أو المحسوس؛ وحين تنمو اللغة وتتطور ويغدو الكلام فكريا ينبثق بصرامة متزايدة وتحتجب عن العيان حفافي الشيء الصورية ينبثق الشعر"[2].

---

[1]- صبحي الصالح: م ن، ص 144.

[2]- جون كرور أنسومك: الأديب وصناعته، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1983، ص 85.

يؤكد كلّ هذا على ضرورة الانصراف إلى الاهتمام بهذه المباحث الإدراكية لقدرتها على النّفاذ إلى أسرار القول اللساني إدراكا واستقبالا وإنتاجا، فكما يُلاحظ فإنّ أمام المترجم مهمّات متعددة الأوجه والاتجاهات لا تتعلّق بادراك لغة واحدة فقط، وتعلّمها وإتقانها.

وإنّما يُضاف إليها إدراك لغة أخرى و إتقانها بنفس المقدار الذي يتقن فيه اللغة الأولى، التي يشكل تعلمها ثم استعمالها بعد ذلك في المواقف الحياتية و الاجتماعية المختلفة مرتبة أولى و أساسية نحو تعلم استخدام لغة ثانية تتأسس على وجود حتمي للغة الأولى التي ينطبق عليها –غالبا– نفس شروط وقواعد الفهم والإدراك المتوفرة كقاعدة ذهنية لدى الإنسان الراغب في هذا التعلم.

وبنفس المقدار الذي يتمّ فيه فهم آليات الاكتساب اللغوي ثمّ التعلم اللغوي للغة ثانية؛ يتمّ فهم بصفة تبعية آليات إدراك المترجم للدلالات اللغوية السائدة في ظلال لغة أخرى، وبالتالي تظهر قيمة "المنظور الإدراكي في دراسة الترجمة المجازية".

- المبحث الثالث: المنظور الإدراكي للترجمة المجازية:

– مفهوم التمثُّل الإدراكي:

تعتمد الترجمة في ظل المقاربة الإدراكية على تفكيك التمثل الذهني الراسخ في الإدراك والراسب في الفكر. فمثلما سبق شرحه فإنّ معرفة الكيفية التي بواسطتها يقوم الذهن البشري بإدراك الواقع الموضوعي ثمّ محاولة إعادة التعبير عن هذا العالم بواسطة وحدات اللغة وأساليبها التعبيرية يمثل ذلك جوهر النظرية الإدراكية للغة. "نمت التنظيرات الخاصة بالنشاطات الإدراكية عبر ثلاثة محاور: يتعلّق الأول منها بمعالجة الألفاظ المعجمية (تصوّر مستويات المعالجة Conception des niveaux de traitement)، والثاني يهتمّ بالعمليات البنوية لمجموعات الألفاظ (نظرية التنظيمThéorie de l'organisation)، والأخير منها يتعلق باليات فهم اللغة Compréhension du langage" [1].

ومن خلال هذه النّظرية يتبين أنّ عمل المترجم يشمل هذه المحاور مجتمعة في إطار اللغة الواحدة؛ ويضاف إليها إعادة التعبير في ظلال لغة أخرى؛ وهذا يعكس الجهد المضاعف الذي يبذله المترجم.

تعتمد الترجمة في ظل المقاربة الإدراكية على تحليل البنية الذهنية التي صيغ في إطارها القول المجازي، بعد تحليل البنية الذهنية الكامنة خلف أسوار الوحدات اللسانية يتمّ التعبير عنها في لغة الهدف مع المحافظة على الفكرة الواردة في الشكل اللساني.

على الرغم من حاجة المترجم الأساسية إلى إتقان الأشكال اللغوية وتعامله معها بمهارة واقتدار، إلا أنّ البنية الذهنية التي تؤطر القول اللساني وتدعمه هي الأساس الذي يراعيه المترجم ويوليه عناية معتبرة. وذلك لأنّ المعاني التي عليها مدار عملية الترجمة لا تمنح نفسها من أول اتصال أو قراءة للقول اللساني؛ بل إنّ مظهر التميّز في

---

[1]- كريستيان ككنبوش: الذاكرة واللغة، ترجمة عبد الرزاق عبيد، الجزائر، دار الحكمة، ط1، 1993، ص60.

المعاني أنّ تداخل العوامل اللسانية وغير اللسانية بالإضافة إلى سَنَن التخاطب بين المرسل والمرسل إليه كلّها تسهم في بناء وإنتاج المعنى؛ وبالتالي لا يتحقق النجاح في عملية الترجمة وخصوصا المجازية بعزل هذه العوامل بعضها عن البعض الآخر.

وهذا يوضح أهمية التجانس بين هذه العوامل لإنجاح الترجمة المجازية؛ لأنّ الترجمة تصير بهذا الاعتبار عبارة عن فاعلية ذهنية تتدخل فيها مهارة المترجم وذكاؤه ونباهته. ممّا يدعم الحاجة إلى علم يشتمل على مجمل هذه المباحث ويربط بينها ولا يقصي جانبا دراسيا عن آخر. ولا شك أنّ علم الدلالة بفعل التطورات التي خضع لها مرشح لأن يُعتمد عليه في هذا المجال:" إنّ علم الدلالة غني بالقضايا اللغوية الناتجة عن استعمال اللغة في ظروف مختلفة، وفي سياقات لغوية وغير لغوية حسب شركاء الاتصال معرفة وخبرة، وحسب الظروف المعتمدة في تقييم أي تعبير لغوي"[1].

يتجدّد الاهتمام يوما بعد يوم بمتابعة الكشوفات العلمية في المجالات التقنية المختلفة لاستثمارها في استكناه جوانب العمل الإبداعي الجمالي عموما والأعمال الأدبية خصوصا، وتشكّل الترجمة رافدا هامّا يسند المبدعين والقراء بزاد من النصوص المترجمة التي تُثري الرصيد المعرفي لأفراد المجتمعات الإنسانية.

ويعزى الفضل في تحريك عجلة البحث العلمي في مجال دراسات الترجمة إلى تطورات "العلوم الإدراكية" " Sciences cognitives"، وإلى تشعباتها المختلفة. وكان من نتيجة هذه الإسهامات بروز مفاهيم جديدة في نظرية الترجمة بمختلف أنواعها. وهذه المفاهيم مستمدّة من اللسانيات الإدراكية وعلم النفس الإدراكي خصوصا. وبالتالي صار من الشائع الحديث عن "الأفعال الذهنية" و"المهارات اللغوية" التي تدعم الإنتاج النصي و"الكفاءة الدلالية"؛ ممّا يكون له وقع ملموس على دراسات الترجمة. وبهذا الشكل تلتقى مجموعة من المباحث المعرفية المتشعبة التي تخدم الفعل الإبداعي وتعمل على تجسيده.

---

[1]- فرانك بالمر: مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة خالد محمود جمعة، الكويت، مكتبة العروبة، ط1، 1997، ص 286.

وعلى هذا الأساس فقد أصبحت الدراسات المتعلّقة "بالذهن و الإدراك" وقدرتيهما على "التفكير المجازي" و"التمثيل التخيّلي" محطّ اهتمام كلّ من اللسانيين والإدراكيين ونقاد الأدب؛ وقد ألقت نتائج هذه الدراسات على تطبيقات معرفية شتى؛ ومن أهمّها حقل الترجمة باعتبـــار الترجمة ميدانيا تطبيقيا لما أصبح يعرف "اللسانيات التطبيقية" "La linguistique appliquée".

ولإيفاء موضوع المنظور الإدراكي للترجمة حقه من الدراسة وجب التعريج على الاتجاهات اللسانية الإدراكية التي تتقاطع مباحثها مع اللسانيات الإدراكية من جهة ومع إمكانية استثمارها لدراسة الترجمة المجازية من جهة أخرى، ومن ضمن هذه النظريات ما يلي:

1 – نظرية العلاقات المعجمية الدلالية : "راي جاكندوف" :"Ray Jackendoff" :

صاحب هذه النظرية هو "راي جاكندوف" وهو لساني أمريكي (من مواليد جانفي 1945) درس على يد "نعوم تشومسكي" مبادئ اللسانيات التوليدية التحويلية؛ ثمّ تخصّص في دراسات علم "الدلالة الألسني" في الجامعة الأمريكية "براندي" "Brandies". تنصبّ أعماله على دراسة: "الدلالة في اللغات الطبيعية" و"علاقة البنية اللسانية بالإدراك" و"علاقة الإدراك بالتعبير المعجمي" و"علاقة الإدراك بالنظام النحوي". كما أنجز عدة بحوث حول علاقة الإدراك باللغة وبالبنية الذهنية عموما. يظهر ذلك من خلال إسهاماته في الميدان العلمي وخصوصا في "علم الدلالة الإدراكي" "la sémantique conceptuelle".

من أهمّ مؤلفاته: "أساسيات اللغة: الدماغ، المعنى، النحو، التطور"، الصادر سنة 2003؛ وهو كتاب متمّم لكتابه الأول: "علم الدلالة والإدراك" semantics and cognition 1983. في هذا الكتاب إيلاء لدور البصر في عملية بناء المعنى في اللغات الطبيعية؛ وهي الأفكار التي جعلت عمله يتمحور حول عدم التفريق بن اللسانيات التوليدية و اللسانيات الإدراكية .

يطرح انتقاء المتكلم لمجموعة من الألفاظ داخل لغته مجموعة من الاعتبارات تجعل المتكلم يقدم على استعمال اللغة بمراعاة مجمل هذه الاعتبارات تتمثل في العلاقات الاستبدالية العمودية التي قرّرها "دي سوسير" فيما يعرف بمحور الاستبدال والتعاقب؛ ثم قامت النظرية التوليدية التحولية بشرح هذه الطريقة فيما يعرف "بالسلامة النحوية والمقبولة الدلالية".

واستثمارا لهذه النظرية قام "جاكندوف" بإرساء دعائم تصوّر نظري يختص بالعلاقات المعجمية الدلالية في ارتباطها بالنظام النحوي. وعلى هذا الأساس حاول أن يتبنى اتجاها يخدم "النحو والدلالة" معا في ارتباطهما بالبنية الإدراكية لدى متكلم اللغة. وبالتالي فانّ هذه النظرية تقوم على دراسة المعنى المعجمي بطريقة دلالية إدراكية مستعينة بالأساس المنهجي الذي وفّرته التوليدية عند "تشومسكي". فما دام أنّ الوحدة المعجمية في اللغة ليست معزولة عن التركيب النحوي الذي يضمها فإنّ تحديد العلاقات المعجمية يبدو مهمّا للغاية.

يقترح "جاكندوف" إطارا تنسيقيا للعلاقات الدلالية تقوم به العلاقات المحورية بين المدلول، وبين الأدوار المحورية التي تُوظَّف في إطارها الوحدة المعجمية. ويقصد بالأدوار المحورية مجموع الحالات التي يمكن أن تستعمل الكلمة في إطارها ومنها: المكان والزمان والهدف والأداة.

تقوم الأدوار المحورية أيضا بتمثيل الأبعاد الفيزيائية وغير الفيزيائية؛ أي العمليات المحسوسة والمجرّدة والتي هي إمكانيات دلالية ولسانية لصالح أدوار تقوم على المشابهة فيما بينها. وهذا ما يبرّر إمكانية استثمار نظرية العلاقات المعجمية في تفسير المنحى المجازي الاستعاري الذي تأخذه بعض الوحدات المعجمية داخل اللغة.

تمتلك الكلمات والألفاظ داخل اللغة قدرة على حمل الأفكار والتصورات التي ترد على عقل المتكلم وإدراكه فهي "وحدات لغوية تتحوّل بالتعريف إلى صور للكلمات التي لابدّ من تفسيرها. فأينما وجدت كلمة وجد ما يقابلها من تصور، والتصور هو

دلالة الكلمة والقول. إنّ التصور يعني الدلالة هو التعريف الأكثر شيوعا للدلالة لاستناد الأخيرة إلى حدث يعتبر في كثير من الأحيان تسويغا ذهنيا و آليّا لها "[1].

وهذا يظهر الاتجاه الذي أخذته الدراسة الدلالية المعاصرة في اعتبار عامل الإدراك و الذهن يلعبان دورا محوريا في عملية التدليل، ووصل الأمر في إطار هذه النظرية عند "جاكندوف" أن جعلت البنية الدلالية مع البنية الذهنية ملتحمتان إلى درجة التطابق التامّ.

« Semantic structure and conceptuel structure denote the same level of represen tation »[2] .

" إنّ البنية الدلالية والبنية الذهنية يعكسان نفس مستوى التمثيل".

فمتكلّم اللغة يستعمل الدلالات المعجمية – وهي كلّ ما يمكن أن تحمله الألفاظ من معان أساسية – مستقلّة عن الاستعمال النحوي. ولذلك فإنّ المداخل المعجمية للوحدات اللغوية تنبّه إلى أنّ الأصل في اللغة أن يوضع المدلول الواحد بإزاء اللفظ الواحد.

غير أنّ الواقع اللغوي لا يسير مع هذا الاتجاه؛ حيث توجد ألفاظ متعدّدة للدّلالة على مدلول واحد. وقد يُعبّر عن المدلولات المتعدّدة بلفظ واحد. وفي إطار هاتين النظرتين للّغة وألفاظها حفلت كتب الدّلالة بالدراسة المتشعبة لهما تحت مُسمّى "الترادف والاشتراك اللفظي".

أمّا الإطار الذي يتناسق مع ما قرّرته اللسانيات الادراكية فيتمثّل في اعتبار اللّفظ الواحد يحمل في طياته "شيفرة دلالية" "perceptuel codes "؛ تشتمل على تمثيل عرفي مأخوذ من الواقع الاجتماعي والثقافي والبيئي. فبالاستناد إلى هذه النّظرية عند "جاكندوف" فإنّ الوحدة المعجمية الواحدة في اللغة تخضع لتحليل دلالي يأخذ في الحسبان تحديد الوحدة المعجمية بطريقة تركّز على محوري الدلالة الأفقي والعمودي"

---

[1]- فرانك بالمر : م س، ص 66.

[2] -Ray jackendoff : Semantics and cognition, MIT press, USA,1985, P95.

syntagmatique et paradigmatique "، ثمّ تمثيل معنى الوحدة المعجمية، ليأتي بعد ذلك تمثيل علاقة الوحدة المعجمية بالوحدات المجاورة لها.

التحليل الدلالي عند "جاكندوف":

ينطلق "جاكندوف" في تحليله المعجمي الدلالي من مجموعة من الأمثلة في اللغة الإنكليزية تتعلق بألفاظ "المكان" وهي :

Here هنا.

That way بهذه الطريقة.

On the table على الطاولة.

In the park في الحديقة.

ففي هذه الأمثلة توجد أسئلة تتعلّق بالمكان تستعمل في "جمل". كما أنّ من الامكانيات اللغوية التي تعكسها اللغة هو استعمال "القضايا الجملية" التي يستخدمها المتكلّم في المواقف الاجتماعية المختلفة؛ وهذه الوحدات يرى "جاكندوف" أنّها:

« Semantic of spacial prepositionnel phrases can function referentially, being used to pick out places and paths in the projected word »[(1)].

"إنّ دلالة التراكيب الجملية المتعلّقة بالمكان يمكن توظيفها مرجعيّا حيث تستعمل لتعيين الأماكن والمسارات في العالم الموضوعي".

يسعى "جاكندوف" من خلال هذا التحليل إلى جرد مواضع استعمال هذه الأدوات الدّالة على "المكان" في اللغة الإنجليزية قصدا إلى الوصول إلى تصنيف لحالات استعمال هذه الأدوات في الجمل وأشباه الجمل.

ينطلق"جاكندوف" في تحليله الدلالي من الخلفية المعرفية التي سبق للفكر اللساني في إطار "اللسانيات التوليدية" أن أشار إليها؛ وخصوصا مفهوم الإبداعية وقدرة المتكلم

---

[1] -Ray jackendoff : Ibid, P 161.

على توليد جمل لم يكن قد سمعها من قبل. وهذه الإبداعية ترتدّ إلى "ما دون الجملة" في اللغة؛ مثل" شبه الجملة" في اللغة العربية؛ بل ويمكن أن ترتدّ إلى مادون ذلك، أي مستوى "الألفاظ والكلمات" نفسها سواء استعملت داخل التركيب اللغوي أم بقيت محايدة في المستوى المعجمي المعزول.

في المستوى النحوي المعجمي يتمّ إجراء التحليل باستخراج الأدوار الدلالية للوحدات المعجمية داخل التركيب بالاستناد إلى قواعد التحويلات التي تعتمد على إعادة ترتيب الوحدات المعجمية بإسناد الوظائف النحوية لها. فمثلما هو معلوم أنّ الوحدة المعجمية يكون لها من الدلالات المتكاثرة ما يستحيل معه إدراجها كلّها أو بعضها في التركيب اللغوي، وهنا يقوم المتكلم بانتقاء دور دلالي واحد لتوظيفه في الجملة ويستبعد البقية .

يقوم المستوى النحوي بإسناد الوظائف النّحوية إلى كلّ وحدة داخل التركيب مثل الفاعلية والمفعولية والظرفية والاسمية والحالية والنعتية والشرطية وغيرها. أمّا المستوى الدلالي فيقوم بإسناد الوظائف الدّلالية لهذه الوحدات زيادة على وظائفها النحوية، وهي الأدوار المحورية التي لا ينفكّ كلام المتكلّم عن واحدة منها.

يحمل التركيب اللغوي في الجملة التالية من الناحية الدلالية قضية " proposition " فهذه القضية الدلالية تحلل كالآتي : **تصفح عليّ كتابا.**

تركيب القضية:

قضية ـــــــ محمول + موضوع1 +موضوع 2.

المحمول ـــــــ ت+ص+ف+ح.

الموضوع1 ـــــــ المنفذ (علي).

الموضوع 2 ـــــــ الشيء (كتابا).

وهذا التقسيم الدلالي لأدوار الوحدات المعجمية ليس تقسيما حصريا؛ وإنّما ترتدّ أغلب التراكيب إلى هذه الصورة البسيطة في اللغة العربية. وبالتالي يمكن لأدوار دلالية أخرى أن تتدخل في الجملة بحسب الدواعي إلى ذلك؛ وخصوصا في حالات الإشارة إلى تنويعات دلالية تتعلّق بالأشخاص والأماكن والهيئات والحالات:

Action , Place , Path, Property, Thing, Event, State

(الشيء، الحدث، الحالة، الفعل، المكان، المسار، الملكية).

أورد جاكندوف أمثلة عن هذا النوع في اللغة الإنجليزية تتعلّق بنوع من الوظائف النحوية شائع الاستعمال وهو "شبه الجملة" " prépositionnel phrase " إذ إنّ بعضها تؤدي "دورا دلاليا" إضافة إلى "الوظيفة النحوية" في تعبيرها عن المكان بواسطة طرق في التعبير متعدّدة؛ تتقاطع كلها في تأدية دور دلالي واحد وهو "**دلالة المكان**":

« - (Thing) occupies (place):

a-john is in the room

b.The Lamp is standing on the floor

c-The mouse stayed under the table »[1].

" (شيء) يحتل(مكان):

أ- جون في الغرفة.

ب- المصباح فوق الأرضية.

ت- بقي الفأر تحت الطاولة".

في هذه الأمثلة التي أوردها "جاكندوف" تبيان للقيمة الدلالية التي يكتسبها "شبه الجملة" في التركيب اللساني، فالأدوار الدلالية تتحقق بإيراد شبه الجملة في آخر

[1] -Jackendoff : Ibid, P 161.

التركيب النحوي، غير أنّ نفس الدور الدلالي يتحقق ولو قام المتكلّم بإدراج شبه الجملة في بداية التركيب، فتأخيره أو تقديمه لا يؤثر في دوره الدلالي.

« This PP may come at either the beginning or the end of the sentence »[1].

"أشباه الجمل هذه بإمكانها التموقع سواء في نهاية الجملة أو في نهايتها".

وهذا ما يعكس القيمة الدلالية التي تكتسبها الوحدات داخل النظام اللساني لأنّ المستوى النحوي لوحده لا يمكنه إيفاء العنصر الدلالي حقه من التحليل المتكامل. ولذلك يعتمد التحليلي الدلالي عند "جاكندوف" على تمييز دلالات الوحدات المعجمية داخل التركيب اللساني. ومع ذلك فإنّ اعتماده على القواعد "التوليدية التحويلية" القائمة على أساس تمييز الوظائف النحوية أكسب عمله مرونة في التعامل مع التركيب اللساني؛ الذي هو محصلة لعدد من المستويات التعبيرية تتمّ في ذهن المتكلم في البنية العميقة قبل أن تصبح بنية سطحية.

والمقصود بهذه المستويات المستوى الصوتي الفونيتيكي والفنولوجي والمستوى المعجمي والصرفي والمستوى النحوي والمستوى الدلالي. وهذا يدلّ على أنّه ليس بإمكان نظرية لسانية واحدة مهما بلغت من الدّقة أن تفسّر آليات القول البشري بمراعاة كل هذه الخصوصيات اللسانية.

ومع ذلك فإنّ البحوث اللسانية تشهد تطورا وانفتاحا على الحقول المجاورة لضبط مجمل هذه التصورات؛ وفرضية "جاكندوف" تصبّ في هذا الإطار الساعي إلى رصد آليات القول اللساني الإنساني. "صمّم جاكندوف فرضية المدخل المعجمي للفعل، جمع فيها بين خمس قواعد، قاعدة تصنيفية تصنف الوحدة المعجمية إلى: اسم – فعل– حرف...وقاعدة تكوينية، وقاعدة دلالية توضح الدور الدلالي للوحدة المعجمية، وقاعدة تركيبية، توضّح هذه القاعدة الوظائف التركيبية التي قد تشغلها الوحدة المعجمية

[1] -Jackendoff : Ibid, P 163.

المدروسة، وقاعدة صوتية تحدّد هذه القاعدة التغيرات الصوتية التي تطرأ على الوحدة المعجمية حسب نوعها العام ونوعها الفرعي"[1].

غير أنّ المسعى هنا إنّما يهدف إلى إيراد هذه النّظرية لقدرتها على إضاءة الجوانب المتعلّقة باستعمال التعابير المجازية في الكلام سعيا إلى فهم أفضل لكيفية انتقال المجازات بطريق الترجمة.

هذا الجانب من الاستعمال المجازي للكلام درسه "جاكندوف" في إطار ما يُسمّى "الشذوذ الدلالي"؛ وهذا المفهوم يوجد أساس له في تلك الإشارة المرجعية التي افتتحها "تشومسكي" بالمثال المشهور الذي أورده وهو :

« Colourless green ideas sleep furiously »[2].

"الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام في غضب".

وهو المثال الذي يشهد على أنّ المقبولية الدلالية تقع في مستوى أبعد من مجرد الرصف النحوي الذي يضبط السلامة النحوية.

« Sentences that break selectional rules can often be interpreted metaphorically »[3] .

"الجمل التي تخرق قيود الاختيار بإمكاننا تأويلها بطريقة استعارية (مجازية)".

وبالتالي يتوصّل في إطار نظرية العلاقات المعجمية الدلالية إلى توفير الأساس اللساني الذي يبرّر تناول مسألة "المجاز" و"الاستعارة" من وجهة لسانية دلالية وليس بلاغية فنّية.

وعلى هذا الأساس مضى اللسانيون يعتبرون القول اللساني الخاضع لسلامة نحوية منطلقا في البحث في مقبوليته الدلالية. حيث يمكن في كل الجمل الصحيحة نحويا أن يُبحث في مقبوليتها الدلاليّة؛ فإن وافقت الدلالة من جميع زواياها فهي جملة

---

[1]- صلاح حسنين : المدخل إلى علم الدلالة ، مصر، القاهرة، دار الكتاب الحديث، 2008 ، ص 226.
[2] -Chomsky Naom : Aspects of the theory of syntax, USA,Cambridge, mars 1965, P149.
[3] -Chomsky Naom :Idem, P149.

مكتملة وجاهزة لممارسة دورها الابلاغي والتخاطبي. فإذا انحرف مستواها الدلالي عن التحقق؛ فإنّ الشذوذ الدلالي الذي يصيب الجملة ليس عائقا أمام تحليلها والبحث عن المخارج الدلالية التي تلّطف من حدّة هذا الشذوذ.

ولذلك فإنّ الانحراف الدلالي الذي يصيب تعبيرا ما يجعله يدلف رويدا إلى ساحة "المجاز" و"الاستعارة" مما يمكّن النقاد والأدباء من استثماره لإدراجه ضمن مهارات القول والإبداع والتفنّن. ومنه تتبيّن قدرة الإسهام اللساني المعاصر في إضاءة جوانب العمل الأدبي الإبداعي، حتىّ وإن أُطلِق عليه الانحراف أو الشذوذ الدلاليين فهذا لا ينفي عن هذا التركيب صفته اللسانية وطابعه التواصلي.

- الانحراف الدلالي:

يقصد بالانحراف الدلالي اقتران وحدتين معجميتين ليس من شأنهما التجاور غالبا داخل التركيب اللساني، وإنّما يُحكم على عدم الاقتران ما يشيع في الاستعمال اللغوي بطريق الحقيقة، مثلا:

- صعد الطالب سلّم المعهد.

- صعد الطالب سلّم النجاح.

فالوحدتان المعجميتان "سلّم" و"النجاح"؛ ليس من شأنهما الاقتران، لأنّ الفعل "صعد" يحيل في مجال الحقيقة اللّغوية على مفهوم فيزيائي للأشياء، وهو هنا "سلّم المعهد". أمّا "سلم النجاح" فهو اقتران تركيبي يشكّل شذوذا دلاليّا؛ وإن كان الواقع اللغوي يشملهما معا أي "المعنى الأساسي" و "المعنى المجازي" " Le sens dénotatif et le sens connotatif".

وهذا المثال المذكور وأشباهه هو الذي يطلق عليه "جاكندوف ": "خرق قيود الاختيار"؛ وهو قد يتمّ بواسطة الانتقال من المحسوس إلى المجرّد. وهذا الخرق قائم على أساس الاختلاف بين الوحدات المعجمية وعدم قابليتها الاندماج مع الوحدات الأخرى على المستوى الدلالي المركزي أي الدلالة المعجمية. "تجدر الإشارة إلى أنّ

التركيب الدلالي المنحرف مجازي إذا كان الانحراف في نطاق شبكة تصويرية، تعتمد على الأنساق الثقافية للغة معينة تقوم هذه الشبكة على سلسلة من التقابلات كالتقابل بين محسوس /مجرد "[1].

وهذا يعني أنّ العالم الخارجي هو عالم فيزيائي واحد في أبعاده وأحجامه غير أنّ إدراك هذا العالم الخارجي يخضع لدى الأقوام والشعوب المختلفة إلى إمكانيات تختصّ بها كل فئة عن الأخرى وتمتاز عنها تبعا لهذا الإدراك الجمعي أو ذلك.

يدلّ على ذلك المثال الذي الوارد سابقا: "إنّه أذن"؛ فهو تعبير يُطلق على الرجل متى بلغه شيء فهو يصدّقه. وقد ورد في القرآن الكريم مثل هذا التعبير: "ويقولون هو أذن، قل أذن خير لكم". وتفسيره: "إنّ من المنافقين من كان يعيب النبي – صلّى الله عليه وسلّم– ويقول: متى ما بلغه شيء حلفتُ له فيقبلُ منّي لأنّه "أذن"؛ فأعلم اللهُ تعالى أنّه أذن خير لا شر"[2].

أمّا التعبير بإطلاق لفظ الأذن فهو مستعمل في اللغات الأخرى مثلما هو وارد في اللغة الإنجليزية بتوظيف هذه الوحدة المعجمية في التعبير التالي: « I’m all ears» "كلي آذان مصغية". فهنا يُلاحظ أنّ لفظ "آذان" الذي هو علامة لسانية عن واقع فيزيائي في العالم الخارجي يُعبّر عنه بطرق مختلفة باختلاف اللغات، التي تختلف تبعا لاختلاف الأقوام والشعوب على الرغم من إتحاد الواقعة الفيزيائية وعدم اختلافها، لكنّ البنية الإدراكية كيّفت هذا الواقع الخارجي بما يعمل على تأكيد اختلاف الشعوب والثقافات.

والتأكيد على الطابع المعرفي الإدراكي لدى الوحدات المعجمية يتقاطع مع ما تقرّره البحوث اللسانية الاجتماعية المعاصرة التي تجعل التنوع اللغوي دليل صحة للعقل البشري. وأن استنساخ لغة واحدة موحّدة للبشر يحمل في طياته مخاطر شتى تصيب العقل البشري بالتراجع والجمود لأنّ كل لغة هي عبارة عن منظار إدراكي معرفي خاص بها .

---

[1]- صلاح حسين : م س، ص 140.

[2]- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : تهذيب اللغة ، مادة "ذان"، تحقيق مجموعة من المحققين، 296الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج5، 1965، ص 71.

«Les conséquences de la disparition des langues sont graves à plus d'un titre. si nous devenions tous uniformément monolingues, notre cerveau en serait affecté, au point de perdre une partie de notre créativité linguistique innée »[1] .

"إنّ الآثار التي تنتج عن انقراض اللغات خطيرة لعدة اعتبارات. إذ لو أنّنا نتكلّم لغة واحدة فإنّ دماغنا يتأثّر إلى درجة أنّنا نفقد جزءا من إبداعيتنا اللسانية المكتسبة".

يتبيّن أنّ اللغة تمارس حضورا قويا يجعلها أداة طيعة تمكّن الإنسان من التكيّف مع عالمه والاندماج في منظومة وجوده. وبذلك فاللغة ليست وسيلة تواصل واتصال فقط بل هي مؤشر حيوي يضمن وجــود بقاء النوع الإنساني برمّته. يُلاحظ أيضا أنّ الأثر الخطير الذي تلعبه اللّغة على مستوى الذهن البشري يؤكّد الحاجة إلى دراسة لسانية ونفسية وعصبية للغة الإنسانية تتكامل فيما بينها؛ وكلّ ذلك من أجل فهم الآليات التي يشتغل بها الفكر البشري. وإنّما يتحقق ذلك حينما تُفهم اللّغة في إطارها الذهني الذي بدوره يعكس ثقافة خاصة ورموزا اجتماعية ترتبط بتاريخ الأمّة وحضارتها.

« Les langues ne sont pas seulement le moyen privilégie de communication entre les humains, elles incarnent la vision du monde de leurs locuteurs, leurs imaginaires, leurs façons de véhiculer le savoir. Malgré toutes leurs parentes, elles reflètent différemment la réalité » [2].

"اللّغات الإنسانية ليست وسائل مفضّلة للاتصال بين البشر فقط. بل إنّها تتضمن رؤية العالم المختلفة للناطقين بها، ومخيالهم، وطريقتهم في تداول المعرفة. فرغم تشابه أصولها فإنّ اللغات تعكس الواقع بطريقة مختلفة".

إذا كان الأمر على هذا النحو فماذا عن محاولة نقل الوحدات المعجمية إلى لغات أخرى بطريق الترجمة؟

إنّ الوحدات المعجمية داخل اللغة الواحدة يتمّ تحميلها من المدلولات والمعاني ما يتلاءم مع المنحى الإدراكي المعرفي للفئة الاجتماعية النّاطقة باللغة.

---

[1] -Philippe Franchini : Année des langues 2008 /commission suisse pour unesco.WWW.unesco .eh /actualité/années internationales.

[2] -Philippe Franchini : Op cit.

ولقد لوحظ كما يشهد بذلك الواقع اللغوي تزاحم المدلولات على مستوى الدال الواحد مثلما تدلّ عليه دراسات المشترك اللفظي في علم الدلالة؛ لكن في إطار النظرية اللسانية المعاصرة يُنظر إلى ترجمة الوحدات المعجمية باعتبارها حاملة للمعاني الأساسية والمجازية.

ولتسهيل عمل الترجمة فإنّ المترجم يعيّن بادئ ذي بدء "مجازيّة الوحدة المعجمية" أو "أساسيّتها". وذلك من منطلق أنّ الألفاظ في الواقع اللغوي تطرأ عليها تغيّرات عميقة وسطحية مختلفة. ودراسات التطور الدلالي أثبتت أنّ الألفاظ لا تحافظ على طابع الحقيقة فيها أبدا. كما أنّ المجاز إذا حلّ بساحة المدلول الحقيقي لا يلبث أن يتحول إلى حقيقة في أذهان الناس في حقبة زمنية معيّنة مع تناسي دلالته الحقيقة التي منها انبثق.

وهذا يجعل نقطة الارتكاز هي الاقتصار على بيئة معينة وزمن خاص؛ "لا يكون الحكم صحيحا على الحقيقة والمجاز في الألفاظ إلاّ إذا اقتصر على بيئة معيّنة وجيل خاص، فالمجاز القديم مصيره إلى الحقيقة والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها إلى الزوال والاندثار، وتبقى الألفاظ إذا قُدّر لها البقاء تنتقل من مجال إلى آخر جيلا بعد جيل وذلكم هو التطور الدلالي "[1].

ودراسات الإدراك فتحت المجال أمام المترجمين للاعتناء بهذه الناحية فبدلا من استهداف الدلالة الحقيقية لوحدها فإنّ اعتبار وجود المجاز في اللغة وإيلاءه ما يستحقّ من العناية والاهتمام يجعل عمل المترجم يكتسب قبولا واستحسانا. وهو بعمله هذا لا يعتبر خائنا ولا مشوّها؛ ذلك أنّ الدلالة الحقيقية نفسها في اللغة الأصل ليست ثابتة دوما، لأنّ أعراض التطور الدلالي – كما سلف – لا تترك وحدة معجمية مستعملة في إطار اللغة إلاّ وتخضعها للتطور والتبدل. وعملية التطور هي عملية صحيّة وليست مَرضية، لأنّه يعكس حيوية اللغة ومسايرتها للواقع.

---

[1]- إبراهيم أنيس :م س، ص 131.

حينما تُقرأ العبارة التالية « sang froid »؛ فهل يصحّ نقل هذا التركيب اللغوي إلى اللغة العربية بالعبارة التالية: "دم بارد" للدلالة على شخص معيّن يتصف بصفة الهدوء والرزانة مثلما يدلّ عليها مدلولها في اللغة الأصل وهي اللغة الفرنسية.

يظهر أنّ إطلاق صفة "الدم البارد" لا يتناسب مع العقلية العربية في هذا المجال، وهنا يستعيض المترجم عن هذه العبارة بعبارة أخرى تدلّ على مدلولها ولا تشكّل "خرقا إدراكيا" لدى المتلقى في البيئة العربية، مثل عبارة: "رابط الجأش" أو "ثابت الجنان". أمّا حقن اللغة العربية بتركيب مترجم مثل "دم بارد"، فهو يثير لدى المتلقي العربي "معان تحقيريـــة" « sens péjoratifs »؛ تتعلّق بالعزة والكرامّة مما لا يحتمله معنى التركيب اللساني في لغة الأصل مثلا "اللامبالاة، عدم الغيرة، الدياثة...".

ولتفادي مثل هذه الانحرافات فإنّ اللسانيات المعاصرة ممثّلة في علم الدلالة الإدراكي عند "جاكندوف" تدخل ضمن آلية التحليل الترجمي إدراج معرفة المترجم بالسَّنَن اللساني المتمثل في واقع الثقافة في لغة الأصل والهدف كليهما. ولتحصيل ذلك أي إدراك الواقع بطريقة سليمة؛ فإنّ المترجم يتأتّى له ذلك إذا اكتسب من المعارف والمهارات التي تمكّنه من الإجادة في عمله الترجمي، وتتمثّل هذه المعارف فيما يلي:

« four different but complementary « mémories » need by tranlators for their work :

1-Knowledge o f the language system ;

2- Knowledge o f the language usage ;

3- Knowledge o f the world and ;

4- Knowledge o f the situation »[(1)].

"أربع "ذاكرات" مختلفة لكنّها متكاملة فيما بينها يجب أن تتوفر للمترجمين في عملهم: معرفة نظام اللغة، ومعرفة استعمال اللغة، ومعرفة العالم، ومعرفة الموقف".

---

[1]- Nili Mandelblit: Human and machine translation, perspectives, national resource center for translation http://citeseerx.ist.psu.edu.

وهذه العناصر كلّها تترابط فيما بينها داخل اللغة الواحدة لتشكل بنية ذهنية وإدراكية؛ وبعد ذلك يقوم بتمثّل هذه المعرفة في وعيه بما يقدم له سندا ودعما في نقل هذه المعرفة إلى اللغة الهدف. فاللغة الإنسانية إذن "حمّالة أوجه ومعان"؛ وإنّما يحاول المترجم أن يدرك ما تحمله اللغة من الأفكار والتصورات التي صيغت في الإطار اللغوي، وهذا معناه أنّه يترجم "المعرفة" وليس "اللغة".

وبالتالي فكلّما كان إدراك المترجم لهذه العناصر الأربعة مجتمعة كلّما استطاع أن ينقل النص بكلّ سلاسة وسهولة إلى اللّغة الهدف:

« The point of translation between languages is to preserve the thought behind the expression »[1] .

" نقطة الالتقاء في الترجمة بين اللّغات هو قدرتها على المحافظة على الفكر المتواري خلف التعبير".

وعلى هذا الأساس ينظر المترجم إلى اللّغة على أنّها شكل من أشكال التواصل الإنساني وهذا معناه أنّ اللغة وإن كانت أرقى أنواع العلامات اللسانية وأكملها إلاّ أن هذا لا ينفي عن اللغة الطابع العلامي الرمزي؛ أي أنّها رموز شكلية تواضع عليها البشر عبر العصور ليعبّروا بها وبواسطتها عن حاجاتهم وتصوراتهم الواقعية.

والواقع اللغوي يؤيد الطابع العلامي الشكلي للغة الإنسانية ممّا يؤدي إلى القول أنّ ما يجمع البشر هو قدرة كل فرد على الفكر والشعور؛ ذلك أنّ الكون وإن كان واحدا في "فيزيائيته" إلاّ أنه ليس كذلك في فكر كل واحد وشعوره. وهذا ينطبق على آحاد الناس فما بالك إذا تعلّق الأمر بترجمة روائع الآداب العالمية التي هي عُصارة تجارب الأمم وموطن العز والفخار لديها وهي بالمحصّلة عمل فرد أو أفراد من المجتمع يعبّرون عن رأي المجموعة وفكرها.

وهذا يلقي عبئا على المترجم يجعله في موقع من يبحث عن الإجادة في الترجمة من خلال إدراك المعرفة الكامنة في ثنايا النص المترجم. فالمبدع الذي أقدم على إخراج

---

[1] -Jackendoff : Op cit, P 183.

الأثر الأدبي للنّاس لم يتيّسر له ذلك بين عشية وضحاها؛ وإنّما تيّسر له ذلك عبر مسافات زمنية وعبر معاناة شخصية نابعة من معايشته هو للأحداث أو من تفاعله معها بطريق السماع والرواية. فثمرة هذا التعايش هو الأثر الأدبي البارز لدى المبدع. وعلى هذا الأساس فإنّ مترجم الآثار الأدبية يضع في حسبانه هذه الاعتبارات ولا يهمل هذه العناصر أو بعضها.

وما دام أنّ الأثر الأدبي حاضر بين يدي المترجم فهو يحاول بدوره أن ينفذ خلال الأثر الأدبي إلى المبدع نفسه ثمّ إلى الأحداث والشخوص التي هيّأت للمبدع أرضيّة لإخراج هذه المشاعر في ثوب الأثر الأدبي. وعلم الدلالة الإدراكي" Sémantique cognitive" عند "جاكندوف" يوفّر أرضية الالتقاء بين المبدع للأثر الأدبي وبين المترجم لهذا الأثر الأدبي .

تتمثّل هذه الفرضية في آليّة الإدراك عند كليهما، أي أنّ اختلاف اللغات بين البشر ليس عائقا أمام ترجمـة تجمع أشتات المعاني بين اللّغتين؛ كما أنّ تحقق عمل الترجمة عند المترجمين المهرة يظهر أنّ هذا التحقّق يثبت من جهة قابليّة عمل الترجمة للتحقق؛ وأنّ فشل البعض الآخر من المترجمين في ترجمة مقبولة يبيّن من جهة أخرى أنّ الأمر لا يتعلّق باللّغة وأنظمتها اللسانية فقط؛ بل يتعلّق من خلال ما ذُكر بقدرة المترجم النّاجح على إدراك ما هو خلف اللغة من معطيات ثقافية وحضارية واجتماعية.

وهذه المعطيات المذكورة حاضرة في البنية العميقة – شاء المترجم أم أبى-؛ وما عليه إلاّ أن ينتبه لوجودها وتأثيرها في الدلالة مدّا وجزرا:

« In particular, we would like to be able to account for the way that (more or less) the same thought can be mapped into expressions of different languages, allowing for the possibility of reasonably good translation »[(1)] .

" يمكننا التعويل على أنّه يمكن لنفس الفكر بطريقة أو أخرى أن يُضمّن في تعابير بمختلف اللّغات، ممّا يسمح بإمكانية لترجمة جيّدة وعقلانية".

[1] -Ray Jackendoff : Foundations of language, Oxford university press, 2003, P 273.

يؤدي هذا القول إلى أنّ عمق التجربة الإنسانية التي يعانيها المبدع للأثر الأدبي والتي كانت حافزا لإنتاج أثره تجعل المترجم يفهم المبدع ويتفاعل معه بمعرفة شروط توارد الأفكار على ذهن المبدع في نسق العلاقات الثابتة الذي يُميِّز التجربة الشخصية.

وهذا الفهم والتفاعل لا يجعل المترجم يتماهى في ذات المبدع حتىّ يصل إلى درجة الاندماج لأنّ هذا متعذر؛ وإنّما معناه أن يشترك كلّ منهما في جملة من المفاهيم والتصورات وفي الروابط التي تربط تلك المفاهيم بغيرها من المفاهيم الأخرى لتشكّل أساسا لفهم أحدهما الآخر بوحي من الإنسانية الجامعة بينهما.

وتشكّل بؤرة الالتقاء هذه جانبا معرفيّا يمكن الاستناد إليه في الدفاع عن ضرورة الترجمة بين اللّغات لأنّ الاستناد إلى عنصر التباين بين البشر وتحكيمه في صيرورة الترجمة جعل البعض يجنح إلى الحكم على استحالة الترجمة؛ وذلك بدعوى أنّه لا يمكن لشخصين أن يشتركا في نفس المفاهيم والتصورات عن الأشياء والعالم المحيط بهما، بل وذهب آخرون إلى أنّ الشخص الواحد يغيّر من مفاهيمه بين ماضيه وحاضره أو هو مجبر على هذا التغيير بفعل التجديد و التطور.

« Si l'on admet l'interprétation structurale, c'est-à-dire si l'on reconnaît que chaque langue a une structure sémantique qui lui est propre, la traduction apparait effectivement comme une tentative d'avance vouée à l'échec »[(1)] .

"إذا اعتمدنا التأويل البنيوي أي إذا ما اعتبرنا أنّ كلّ لغة تمتلك بنية دلالية خاصة بها، فإنّ الترجمة بهذا الاعتبار تغدو محاولة محكوم عليها بالفشل".

إنّ هذا الحكم مسرف في دعواه لأنّه لا يرى إلاّ جوانب الاختلاف ويهمل جوانب أخرى تمثّل اشتراكا والتقاء بين بني البشر جميعا.

أمّا الفكر اللساني والإنساني المعاصر فإنّه يرى خلاف هذه الرؤية و يسعى إلى بناء معرفة شمولية عامّة؛ حيث يتضح من خلال التركيز على ظاهرة "الشمول الدلالى"

[1] -Zaoui Mustapha : Sémantique et étude de langue, Algérie, Opu, P34.

أنّه يمكن للوحدات الدّلالية أن تصبح محلاّ تشترك في فهمه المجموعات اللسانية البشرية؛ وتحقّق بالتالي وجود الدلالة في الواقع اللساني، "إنّ الشمول الدلالي يشير إلى المذاهب التي تقضي بأنّ اللغة بوصفها كُلاّ أو النظريات بوصفها كُلاّ أو أنساق الاعتقادات بوصفها كُلاّ هي وحدها الأمور التي يصحّ أن نقول عنها أنّها ذات معنى. أمّا معاني الوحدات الصغرى كالكلمات أو الجمل أو الفروض أو الخطابات أو الحوارات أو النّصوص أو الأفكار أو ما شاكل فلا تعدو أن تكون معاني مشتقة من معنى الكلّ"[1].

أمّا بالنسبة للمعاني الكليّة فالمقصود بها ما يشترك فيها كلّ الناس بدون استثناء مثل "الحياة" و"الموت" فهي معان قائمة في نفس كل شخص، وإنّما يأتي الاختلاف من جهة النسبة الدلالية حقيقة أو مجازا لهذين المعنيين .

وهذه النسبة الدلالية التي تلحق المعني الكلي المستقرّ في ذهن الفرد هي مناط البحث عند الإدراكيين عموما؛ لأنّها تبيّن الكيفيّة التي تتعلّق فيها "المعاني الجزئية" بالمعنى الكلي" على مستوى البينة العميقة تمهيدا لاستعمالها في اللغة. إنّ مصطلحي "الحياة" و"الموت" إن حملا في طيّاتهما معنيين كليّين يدركهما حقيقة كلّ الناس في كلّ العصور والأزمان؛ إلاّ أنّ "المعاني الجزئية" التي يستعملها الناس في محاوراتهم ومخاطباتهم عن "الحياة" و"الموت" يجعل استعمالهما يخضع لإبداعية فرديّة تنأى به عن "المعنى الكلي" وإن كانت تمتح منه وتصدر عنه؛ لأنّ "المعنى الكلي" لا يغيب في دقائق أجزاء المعنى الذي يصبّ في إطاره القول اللساني؛ مثلا يرد في هذا الاطار البيت التالي:

ليس من مات فاستراح بميّت إنما الميت ميت الأحياء[2]

يُلاحظ في هذا البيت أنّ الشاعر انطلق من "المعنى الكلي" للموت والحياة كليهما ليبني عليهما معان تتناوبان فيما بينهما المعاني التي تشحن بها الألفاظ في كليهما. ولِنقْل هذا البيت إلى لغات أخرى بواسطة الترجمة فإنّ المترجم يضع في حسبانه أنّ الكلمات

---

[1]- فودور ولوبور: القاموس الفلسفي المعاصر، 1992، in mustafahadad.blogspot .com :// http مادة "Semantics".

[2]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، لبنان، بيروت، مؤسسة المعارف، بدون تاريخ، ص325.

المفتاحية المشكّلة لهذا البيت تتمحور حول مصطلحي "الحياة" و"الموت". وهذان المصطلحان يحملان معنييْن كلييْن و لكنّ طريقة توظيفهما هنا معا حملتا إبداعيّة حقّقت مجازيّتهما. إذ لا يمكن فهم مجازية "الحياة" و"الموت" في هذا البيت إلاّ ببناء معنى كلي لهما وهو معنى الحياة والموت كما يفهمها الناس في كل زمان ومكان.

تظهر ترجمة هذا البيت إلى الفرنسية والانجليزية إمكانيات دلالية تتأرجح بين وجوب "المعنى الكلي" وبين التجاوز الدلالي الذي يطرأ عليه:

الترجمة الفرنسية:

*Ce n’est pas le mort qui est mort et est en répit.

mais est celui qui est « mort-vivant ».

الترجمة الانجليزية:

*The dead is not, who dies and is in respite

But who is « living-dead ».

ينتج من الترجمة مصطلح "Mort-vivant " و "living-Dead" وكلاهما يستعملان في اللغة الفرنسية والإنكليزية؛ ولكن ليس بالمعنى الذي أراده صاحب النص الأصلي و هو فقدان الأمل في الحياة "اليأس"؛ وقد اعتبره الشاعر موتا قبل الموت.

أمّا الوحدة المعجمية "mort-vivant " فهو استعمال لغوي يعكس ميثولوجية المخيال الأوربي في النّظر إلى ما ورائيات الشخوص والأحداث، فيتخيّل بعض البشر يعيش حيّا بين الناس بعد مفارقة روحه جسده؛ مثل رموز كلّ من: "الدراكولا ومصاصي الدماء" "Dracula et vampire".

تفتح هذه النّماذج المجال أمام المترجم للموازنة بين منحييْن معرفيْن إدراكييْن يشكّل كلّ واحد منهما فكرا إدراكيّا يظهران في ثنايا وتعابير القول اللساني. وهذا يظهر قيمة الانصراف إلى دراسة دلالات الوحدات المعجمية حين الإقدام على الترجمة وليس الاقتصار على الجانب التركيبي النحوي لوحده على أهمّيته طبعا. و هذا ما حدا ببعض

المنظّرين إلى الاعتراف بجانب النقص في دراسات الترجمة المتعلّق بإهمال جانب دلالات الوحدات المعجمية:

« La typologie linguistique s'occupe surtout des structures grammaticales et phonologiques des langues. L'aspect lexical est le plus souvent laissé de côté, d'une part probablement par ce qu'on s'imagine qui les lexiques de différentes langues se correspondent plus ou moins – les mots équivalents de deux langues sont souvent censés avoir le même sens de l'autre à cause de la complexité des phénomènes qui relèvent du lexique »[(1)] .

"إنّ النمطية اللسانية اهتمّت أساسا بالبُنى النحوية والصوتية للّغات، أمّا الجانب المعجمي فقد وضـع جانبا، من جهة إنّنا نتصور أنّ المعجميات للّغات مختلفة ربما تتطابق فيما بينها، فالكلمات المتكافئة بين لغتين من واجبها أن يكون لها نفس المعنى بسبب تركيبية الظاهرة المعجمية".

فهذا المنطق من البحث يفرض على الباحث الالتفات إلى تصنيفية الوحدات المعجمية لضبط شحنات الدلالة. وهذا الضبط يتمّ عبر مستويات تصنيفية تستند إلى الدلالة المعجمية واستعمالاتها.

يظهر أنّ هناك اتحادا دلاليا من جهة معجمية في لغة من اللغات و اختلافا دلاليا من جهة أخرى في الوحدة المعجمية نفسها. "فالمنظورالإدراكي" يشدّد على جانب الاتحاد الدلالي لإيمانه باتحاد الواقعة الفيزيائية في العالم الخارجي؛ ولكنّ الاستعمال يفرض دلالات تتعلّق بالمعنى الكلي المركزي، وقد يجعل هذا الاستعمال الدلالة تبتعد عن المعنى الكلي الإدراكي.

وبالتالي فإنّ تـنقيّة الوحدة المعجمية من الدلالات المتكاثرة المتعلّقة بها، والاكتفاء بما هو محلّ إجماع تمهيدا لتجريد مجمل الدلالات التي تتحمّلها الوحدة المعجمية، وتمييز الكلّي من الجزئي، والعامّ من الخاصّ، والمستعمل من المهمل هو عمل ضروري تفرضه طبيعة البحث وتفرضه عمليّة "التجريد" "Abstraction ".

---

[1] -Michael Herslund :Aspects linguistiques de la traduction, France, presses universitaires de Bordeaux, 2003, P 05.

وعمليّة التجريد هذه تمكّن من فصل هذه المعاني أو بعضها على مستوى الوحدة المعجمية الواحدة، وهي "تساعد من الانتقال من مستوى الحسي التراكمي ومن التعامل مع خليط الخبرة، وتداخل عناصرها ومكوناتها (حسية، حركية، إدراكية، مشخصة، مجرّدة، وغير ذلك) إلى المستوى المعرفي النّظري القائم على إدراك ما هو مشترك بين أنواع الخبرة. ولا تزال ترتقي من تجريد أدنى إلى تجريد أعلى حتى تصل إلى تصور المعاني الكلية، والمفهومات الراقية"[1].

إنّ نظرية الترجمة بانفتاحها على مجمل الحقول المعرفية المجاورة لعلوم اللغة قادرة على الارتقاء بالدرس الترجمي إلى درجة من الصرامة العلمية التي يتوخاها كل علم من العلوم. وقد أظهر التّطور اللساني المعاصر قدرته على هذا الانفتاح، ويظهر ذلك من خلال ما تطرحه اللسانيات الإدراكية من أفكار تتقاطع مع العلوم الإنسانية والمعرفية المختلفة كالمنطق والطب وأبحاث علم النفس والذكاء الاصطناعي.

وإذا كانت ترجمة بعض أنواع النصوص لا تطرح من الإشكالات الدلالية ما يجعل نظرية الترجمة تستقرّ إلى حدّ ما على بعض القواعد العامة، لأنّ الدلالة واضحة بنفسها، وهذا ينطبق على أنماط النصوص العلمية والرياضية والتقنية، فإنّ الأمر ليس كذلك بالنسبة للنصوص الأدبية التي مازالت ترجماتها تثير إشكالات تتعلّق معظمها بالجانب الدلالي.

ويشكّل "الشذوذ الدلالي" بصمة النصوص الأدبية، وهذا ما حدا "بجاكندوف" إلى دراسته دراسة دلالية ولكن في صلب الدراسة التركيبية، سعيا إلى إدماج النحو في الدلالة لتحقيق انسجامها بما يخدم تحقّق الفعل التواصلي، ويتمّ هذا الدمج بواسطة تقديم نموذج تركيب معجمي يتوخى فهم البنية الدلالية في إطار الجملة المستعملة في التواصل.

---

[1]- الموسوعة العربية العالمية ، سوريا، دمشق، 2008، مادة "التجريد" http://www.mawsoah.net.

الفصل الرابع

النموذج التأويلي في دراسة الترجمة المجازية

المبحث الأول: – النموذج التأويلي.

– بين التأويل و التأويلية.

– تأويلية الصور المجازية.

المبحث الثاني: – تاريخية نشأة النموذج التأويلي.

– حدود دلالات الوحدات المجازية.

– بين التأويل و التأصيل.

– شروط التأويل وحدوده.

المبحث الثالث: الترجمة والتأويل والنصي.

– تأويلية ترجمة العناصر الثقافية.

– الكفاءة النصية في عملية الترجمة التأويلية.

المبحث الأول: النمـــوذج التأويـــلي: le model interprétatif :

لقد فتحت دراسات الإدراك الباب أمام الباحثين لتناول مجمل البحوث التي تتقاطع مع علم النفس واللسانيات وعلم الاجتماع والانثربولوجيا، وسائر متعلّقات العلوم الإنسانية التي تجعل من تناول أسس البنية الذهنية عند الإنسان أساسا متينا لدراسة كلّ ما يتعلق بالإنسان؛ وعلى رأسها فاعلية القول اللساني.

بعد عرض أسس اللسانيات الإدراكية في الصفحات السابقة؛ يتمّ تناول التطبيقات العمليّة التي استفادت من هذا الإرث الإدراكي؛ وهو ميدان الترجمة الأدبية. ففي رحاب الترجمة الأدبية يستطيع الباحث أن يتلمّس صعوبة الإقدام على إنجاز ترجمة تستجيب لكلّ الشروط الممكنة التي يفرضها البحث العلمي؛ ويؤكد هذا المسعى أنّ ترجمة النصوص على اختلافها لاتزال لحدّ الساعة تطرح جوانب إشكالية متعدّدة تلقي بظلالها على مباحث الترجمة بصفة عامة. وعلى الأخصّ إذا ما تعلّق الأمر بإنجاز الترجمة الأدبية التي تقع في مستوى من التعبير الأدبي يكون – غالبا – أرفع من غيره من الأساليب المستخدمة من حيث كثرة استعمال "المجاز" بصوره المتعدّدة كالاستعارة والكناية والمجاز المرسل والتشبيه.

وكما سبق بيانه فإنّ "المجاز" يمارس دوره الأساسي في تركيبية الفكر والإدراك معا فهو ليس ثانويا ولا هامشيا. وهذه الأهمّية لم يتبوأها "المجاز" إلاّ في ظل التطور الحاصل في اللسانيات الإدراكية بمختلف شعبها ومدارسها، فلقد نُظر إليه فيما سبق على أنّه ثانوي وهامشي وغير حقيقي؛ وهذا الحكم ينسحب على دراسات اللغة والبلاغة والفلسفة والمنطق وفقه اللغة وفلسفة اللغة.

لكن مع ظهور دراسات التداولية واتجاه اللسانيات نحو التشبّع بأفكار علم النفس وخصوصا ما أضحى يعرف باللسانيات الإدراكية؛ فقد تغيّر الأمر لصالح "المجاز" ولصالح كل أنواع الدلالات التي كان يُطلق عليها "الدلالات الحاقة" أي التي تحفّ بالمعنى الأصلي المركزي.

فلقد فتحت هذه المباحث الجديدة أمام الترجمة أبوابا واسعة نحو شرعية التأكيد على وجوب وجود دراسات ترجمية تأخذ بالحسبان ما جدّ في هذه المجالات

المستحدثة. وكما يشهد عليه تقاطع كثير من المباحث العلمية في العصر الحاضر فإنّ هذا التقاطع مكّن من استفادة هذه العلوم من المنجزات العلمية الحاصلة في كل منها.

واستفادت اللسانيات من هذا التقاطع المعرفي بمحاولة تطبيق هذه الأفكار نحو فهم أفضل للّغة ومستوياتها التعبيرية المختلفة. كما شغل ارتباط اللغة بالسنن اللساني المتمثّل في الحقل الثقافي مركزا مهمّا من جملة هذه التطورات اللسانية الحاصلة في اللسانيات المعاصرة. وهو الشئ الذي سيفتح الباب أمام البحث في دلائلية النصوص بمختلف أنماطها التعبيرية لتمارس حضورا لافتا يجعل الفعل التأويلي القائم على "الفهم" و"الإدراك" و"التفسير" يتلمّس الطريق نحو تبرير شرعية الحضور في كل الأفعال اللسانية المعدّة للتخاطب اللساني.

"تعتبر قضية التأويل القضية المشتركة لكل علوم النص وفنونه، وتعتبر علوم اللغة الحقل المعرفي الموحّد لها. وارتكازا على ذلك تحاول دلالة النصوص" Sémantique des textes" أن تصيغ بلغة مشتركة بعضا من مكتسبات هذه المواد المعرفية"[1].

وعلى هذا الأساس أصبح البحث في الدلالة النّصية المتضمّنة في النص المعدّ للترجمة قائم على "الفهم" و"الإدراك" للبنية العميقة للنصوص؛ وليس مجرد القراءة العابرة التي تشوّه جمال النصوص الأدبية. فالغرض التخاطبي الذي يقصده صاحب النص داخل لغة موحدة بين الكاتب والقارئ؛ يجد صداه لدى قارئه ويتمّ بينهما التواصل؛ ممّا يكون سببا في إنتاج دورة تخاطبية.

وهذه الدورة التخاطبية على بساطتها تعمل على إدراج عدد كبير من العوامل المساعدة؛ وهذا – طبعا– على الأغلب الأعمّ. والسبب في ذلك هو اشتراكهما معا –أي القارئ والكاتب – في خلفية ثقافية واحدة. إلاّ أن الأمر يختلف كثيرا حينما تنصبّ المحاولة نحو تفسير اكتمال أو عدم اكتمال هذه الدورة التخاطبية بين أقطاب ثلاثة وليس بين طرفين اثنين.

1- فرانسوا راستي: فنون النص وعلومه، ترجمة إدريس الخطاب، المغرب، دار توبقال للنشر و التوزيع، ط1، 2010، ص05.

والمقصود بالأقطاب الثلاثة هم: كاتب النص الأصلي – المترجم – القارئ. فحينما يُقدم المترجم على ترجمة النصوص الأدبية فإنّه يتمثّل في ذهنه وإدراكه ثقافة معيّنة تعينه على قراءة وفك رموز النص. وهذه الثقافة تشكّل الإطار الذي يصدر عنه المترجم. فإذا ما هو أقدم على ترجمة عمل أدبي يكون حاملا لنوع آخر من الثقافة؛ فإنّ المترجم يحسّ بصعوبة العمل الذي يجابهه، وهذا ما يطلق عليه من الوجهة اللسانية "الترميز". "سمة الترميز اللغوي هذه واضحة بشكل خاص في الترجمة، حيث يهتمّ المرء بإيجاد نظائر مناسبة بين اللغة الأولى والثانية، فالفرنسية BIBISTO ليست PUB الإنجليزية التي تفسّر جزئيا تلك الكلمات المستعارة مثل Le drugstore أو الاشتقاقات الهجينة مثل: "Discothèque "[1].

واضح أنّ الأمر لا يتعلّق بالكلمات ومعانيها ودلالاتها فقط – على أهمّيتها– ولكن ما يكمن وراء هذه الكلمات من صور إدراكية تتعلّق برؤية معينة للواقع والحياة ترسّخت عبر العصور لدى طائفة من الناس فظهرت في ثنايا كلماتهم وتعابير لغتهم وأصبحت مع تقادم الزمن إرثا جماعيّا خالصا.

وبالتالي فنقل الكلمات والتعابير والتراكيب من هذا النوع بالاعتماد على المعجم لوحده يبعد المترجم عن هذه الاعتبارات الثقافية الهامّة ويؤهل عمله الترجمي لكثير من زوايا الغموض والإبهام الدّلالي الذي يعمل على إبعاد القارئ من الاتصال بالمترجم وبالكاتب الأصلي ويبعد كلّ واحد عن الآخر.

لقد تبيّن من خلال عرض مجمل الأفكار السابقة أنّ الترجمة تعتبر تقنية "لسانية إدراكية ثقافية" يُضاف إليها البعد التأويلي الذي يخلق الانسجام بين هذه الأبعاد الثلاثة. عرض البحث فيما سبق إلى الفعالية اللسانية لعمليّة الترجمة وأضيف إليها بعد ذلك البعد الإدراكي. ولتحقيق الانسجام بين الفاعلتين اللسانية والإدراكية تتجه البحوث اللسانية المعاصرة في مجال الترجمة إلى الانفتاح على عناصر كانت مغيّبة في ظلال المدارس اللسانية الأولى لغلبة الطابع الشكلي على الدراسات اللسانية ولإقصاء المعنى والدلالة من اللسانيات.

1- ي. كولنج:الموسوعة اللغوية (اللغة والسلوك) ترجمة: محي الدين حميدي، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، 1999، ص461.

ويُقصد بهذه العناصر العنصر التداولي الذي يفتح المجال أمام تأويليّة النصوص؛ والتي تأخذ في الحسبان أفكار المترجم وليس لغته فحسب. وبالتالي فالتأويل ينبني على "اللّغة" ويتجاوزها أيضا إلى "الفهم" و"التفسير" أي القراءة ثمّ إعادة الكتابة؛ وهذا يؤكّد أنّ عملية الترجمة تضمّ في عملية "التأويل" عنصرا لغويا وعنصرا غير لغوي.

ولقد وجدت الحاجة إلى الوصول إلى إدراج عنصر "التأويل" في فهم النصوص الأدبية نتيجة لمعطيات وتبريرات دفعت النّقاد إلى إفساح المجال أمام التأويل ليمارس حضورا بارزا في مجمل الأدبيات المرتبطة بالإنتاج الأدبي وغير الأدبي وكذا مجمل حقول المعرفة الإنسانية.

وعبر محطات زمانية متتابعة خضعت عملية "التأويل" و سبل ممارسته وطرائق استقصائه إلى اجتهادات متعدّدة وفي بعض الأحيان متضاربة لارتباط "التأويل" بالنشاط الإنساني الساعي إلى اكتشاف أغوار المعاني في كل جزئية من أجزاء الوجود.

وتبدو الاتجاهات التأويلية متناثرة بشكل لافت يعكس عدم القدرة على ضبط المصطلح نفسه وخصوصا لدى ممارسي النظريات الحديثة التي "دعت إلى إقصاء ونفي المؤلف كنظرية الاستقبال والتقويض وغيرها. كما ترفض مفهوم المعنى "المحدد" والتأويل الصحيح، وتدعو إلى "لامحدودية" المعنى أو على الأقل "نسبيته" واعتماده على المنهجية أو الإستراتيجية التأويلية التي يتبناها كل قارئ"[1].

تفتح هذه الأفكار المجال أمام حرية الباحث ليمارس إجراءات "الفهم" و"التفسير" للنّص الأدبي في حدود الثقافة المعرفية المتداولة بين الكاتب والقارئ. وبين هذين يتدخل المترجم ليدلي بدلوه في الربط بين قطبي العملية الإبداعية فيقرّب الكاتب من القارئ و يقرّب القارئ من الكاتب.

وسعيا إلى استجلاء الخلفية المعرفية التي تؤطر الاختلافات المصطلحية فلا بدّ من عرض الأساس النّظري لكلّ من مصطلحي "التأويل" و"التأويلية".

1- ميجان الرويلي، سعد البازعي: م س، ص53.

- بين "التأويل" و "التأويلية":

يشهد العصر الحاضر بروز مدارس فكرية متعدّدة تدّعي انتسابها إلى مدرسة "التأويل" وأحقيّتها في استعماله وهذا ما يثبت أهميّة هذا المصطلح. ودراسات النقد الأدبي حافلة بمدى أهمّية هذا المنحى المعرفي في استجلاء جوانب النص الأدبي. فكلمة "**تأويل**" ليست خالصة كمصطلح علمي ثابت في اللسانيات والنقد الأدبي؛ لأنّ هناك حقولا معرفية كثيرة متعدّدة تستخدم هذا المصطلح.

وأبرز حقل علمي يشيع استعمال هذا المصطلح في رحابه، وإن كان يكتسي صبغة محدّدة جدّا؛ هو ميدان الترجمة ذاته. فالترجمة كنشاط إنساني ضارب بالقدم في جذور التاريخ تنقسم إلى قسمين: الترجمة التحريرية "المكتوبة" "Traduction écrite"، والترجمة الشفوية "Interprétariat".

« Au sens strict, la traduction ne concerne que les textes écrits ; quand il s'agit de langue parlée, on parlera d'interprétariat »[(1)] .

" بالمعنى الحصري، فإنّ الترجمة لا تتعلّق إلاّ بالنصوص المكتوبة؛ فإذا ما تعلّق الأمر باللغة المنطوقة فهنا نذكر الترجمة الشفوية".

ذُكر هذا النّص - الذي يفرّق بين الترجمة المكتوبة والترجمة الشفوية - ليتمحّض الفرق بين اقتراح مصطلح "التأويل" ليصير ترجمة عربية لمصطلح "interprétation"؛ وبين شيوع مصطلح " interprétation" ذاته كمقابل في اللغة العربية "للترجمة الشفوية".

فلقد شاع لدى المنظّرين لأبحاث الترجمة استعمال "النموذج التأويلي" كترجمة عربية لمصطلحي" modèle interprétatif". وبذلك يحدّد الاستعمال اتجاه تبنّي هذا المصطلح أو ذاك تبعا للحقل العلمي المتداول. فإذا كان مصطلح " الترجمة الشفوية" عَلَما على فرع من فروع الترجمة، فإنّ مصطلح "التأويل" يغدو هو الآخر عَلَما على نظرية معيّنة تستعمل "التأويل" في تفسير آليّة الترجمة بنوعيها "الترجمة المكتوبة" و"الترجمة الشفوية".

---

1 -Jean Dubois : Op cit, P 486.

"أمّا في مجال الترجمة فنلاحظ وجود عدة مقابلات لهذا المصطلح وكذلك استخدامات. ففي اللغة العربية نجد هذا المصطلح "**التأويل**" والذي يدل على: "حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له بدليل يعضده"[1]. فهذا التعريف يتّجه نحو اعتبار "التأويل" عملية فكرية تستعمل اللغة وسيلة لغاية هي تعيين المعنى والدّلالة في صلب التركيب اللغوي؛ وذلك إذا ما تحمّل هذا التركيب من الدلالات المتكاثرة ما يُصعّب من مهمة تحديد الدلالة المقصودة.

تتبيّن قدرة التأويل على محاولة النّفاذ إلى الدلالات التي يحتلّها التركيب وتخيُّر أنسبها وأليقها مع واقع اللغة وواقع الثقافة. وبهذا الإجراء لا تبتعد فاعلية الترجمة ذاتها عن هذه الدلالة المستهدفة.

فالترجمة هي تأويل لواقع اللغة في حدّ ذاتها ولكن مع صياغة لهذا الواقع اللغوي في لغة أخرى. وورود المصطلح الأجنبي " Interpréter" كمقابل للمترجم ممّا يعزّز هذا المعنى:

" مترجم شفوي ـــــــــــ Interpréter

ترجمة شفوية ـــــــــــ Interpreting "[2].

ومن مصطلح "**Interpréter**" باللغة الفرنسية يظهر توارد مصطلحين باللغة العربية هما: "ترجمة" و "**تأويل**" فكأنّهما بمعنى واحد. وهذا يبيّن مدى ما وصلت إليه الاختلافات الحاصلة في ميدان الدلالة المعجمية لمصطلحي التأويل و التأويلية. و يمكن إيراد ما تعارف في رحاب الخطاب اللساني من إجماع على اعتبار "التأويل" ينسحب على هذه الدلالة أو تلك؛ حيث ورد في القواميس اللسانية ما يلي:

–"Semantic interpretation interprétation sémantique" تأويل دلالي.

-Interpretership interprétariat" "مهنة ترجمة شفوية".

Interpretive interprétatif تأويلي – تفسيري"[3].

1- أميل يعقوب: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط1987، ص167.
2- رمزي منير بلعكبي: معجم المصطلحات اللغوية، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط 1990، ص258.
3- عبد القادر فاسي الفهري: قاموس المصطلحات اللسانية، لبنان، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2009، ص 155.

يُلاحظ أنّ مصطلح "التأويل" و"الترجمة الشفوية" يستعملان جنبا إلى جنب في اللغة الأجنبية؛ ممّا يجعل دوما السياق اللساني الذي يرد ضمنه هو الذي يحدّد القطاع العلمي الذي يستعمل في إطاره.

وما يهمّ في هذا الإطار هو محاولة معرفة إسقاط ذلك على نظرية الترجمة؛ أي هل أنّ مصطلح التأويل الذي أصبح علما على النّموذج المعاصر في ترجمة النّصوص الأدبية خصوصا إنّما أطلق على هذه النّظرية وأصبحت تُسمّى بهذا الاسم لعلاقة تكون أقرب إلى الترجمة الشفوية؟ أم أنّ العلاقة تتمثّل في اقتراب عملية الترجمة من عملية التفسير و الشرح و الفهم؟ أم أنّ هذين العنصرين كليهما يكمنان وراء اختيار هذا المصطلح ليصبح علما على هذه المدرسة؟

إنّ الإجابة على مجمل هذه الأسئلة إنّما تجد لها شرعيّة في إقدام نظرية الترجمة المعاصرة على اعتماد تسمية توهم تناول الأمرين معا؛ أي الترجمة من حيث إنّها اختصاص علمي ينصرف خصوصا إلى الترجمة الشفوية باستعمال مصطلح "interprétariat"؛ واعتماد ما توصلت إليه "اللسانيات الإدراكية" من اهتمام بجانبي "الفهم و التفسير" الذي يصبّ بالمحصّلة النهائية في "التأويل".

وبذلك يظهر أنّه لا غضاضة من اعتماد مصطلح "النّموذج التأويلي" ليدلّ على الترجمة والتأويل معا؛ وهذا في الوقت الذي تشهد فيه اللسانيات المعاصرة اهتماما لافتا بتأويلية النصوص الأدبية من خلال الاستفادة من تطورات المباحث النقدية الأدبية والفلسفية. وهذا في الوقت الذي أظهرت فيه تطورات نظريات الترجمة اتجاها نحو بروز نظريات أظهرت مدى اتساع نشاط البحث العلمي في مجالات الترجمة.

وأمكن لهذه النّظريات أن تفرز أفكارا متجدّدة ومتعدّدة؛ فيوجد من ضمنها "النظرية اللغوية" عند كاتفورد 1965 "catford linguistic theory of translation"، و"نظرية الترجمة" عند نايدا 1964، و"نظرية الترجمة الدلالية والخطابية" عند نيومارك Newmark "Communicative translation1988" . يضاف إلى هذه الأنواع نظريات أخرى تعرف بالنظريات الوظائفية للترجمة "Functional theories of translation"

منها "نظرية العمل الهادف"، و"نظرية المستوى الدلالي للسياق والخطاب في الترجمة" 1997 .

"The semiotic level of context and discourse" و"نظرية اللعبة في الترجمة" ""Game theory" ونظرية النظام المتعدد" Poly system theory".

ومع تعدّد هذه النظريات فإنّ استقلالية الترجمة كعلم قائم بذاته له موضوعه ومناهجه المتعارف عليها؛ لازال لم تتضح معالم هذه الاستقلالية بالشكل الكافي.

وهذا يتأتّى من كون العلوم الإنسانية والتي يعتبر علم الترجمة أحدها لا تعرف الحدود الفاصلة بين موضوعاتها بالشكل الذي تعرف به العلوم الطبيعية والتجريبية حيث تتسم بالانفصال بين بعضها البعض. وأثناء تبلور النظريات المعاصرة للترجمة بدأت تظهر ملامح نظريّة أخرى تعمل من جهتها على تقديم نموذج من الترجمة يكون قادرا على الإيفاء بكل الأبعاد التي يمكن أن تسهم في إضاءة جوانب النص كلّها.

وهذه النّظرية هي ما يتجه البحث اللساني في خصائصها ومميزاتها؛ حيث أطلق عليها مصطلح "النموذج التأويلي في الترجمة" Le model interprétatif de la traduction". وتأخذ هذه النظريّة المعاصرة في الحسبان "الأساس الإدراكي لعملية الترجمة "La base cognitive"؛ وتوليه أهمّية في عملية الترجمة وخصوصا الأدبية منها. وذلك من منطلق أنّ النص- أيّ نص أدبي- لا يخلو من المسحة البيانية التي تظهر في تضاعيفه وتكسبه رونقا وجمالا بفضل الاستعارات والمجازات التي تَسمُ الأعمال الأدبية.

- تأويلية الصور المجازية:

صرّح الباحثون في مجالي الترجمة واللّسانيات كلتيهما بأهمّية عملية التأويل في تحقيق الترجمة الفاعلة، وبأنّ الترجمة والتأويل صنوان لا ينفصلان بل "إنّ الترجمة تستحيل بدون تأويل"[1].

1- مريان لوديرار: الترجمة اليوم والنموذج التأويلي، ترجمة: نادية حفيز، الجزائر، دار هومة، ط1، 2008، ص16.

ولذلك تأسّست هذه النّظرية على اعتبار الترجمة "عملية إدراكية"، فضلا عن كونها لسانية. وبالتالي ففهم الواقع من خلال المعطيات الحسيّة المتوفرة من شأنه أن يفك شفرة النص ويخلق الفهم الصحيح لدلالة التركيب اللغوي؛ "يوافق دائما الإدراك الحسي بالترجمة التأويلية. هذه الترجمة التأويلية – أي إدراك المعنى المجرّد لشكل ما، شفويا كان أم مجازيا– هي التي تسمح بإدماج الإدراك الحسي والتي تكوّن في منظورنا انتشار الوعي حقا؛ على الرغم من أنّ الإدراك الحسي واع في درجة بدائية فإنّه يبقى بدونها متلاشيا"[(1)].

ظهرت الحاجة إلى إدراج "المكون الإدراكي" في عمليّة التأويل للنّص المترجَم لأهميته الحاسمة كما سبق بيانه؛ ولأنّ تلطيف الصورة المجازية الأصليّة غالبا لا يتمّ بدون اللجوء إلى عملية التأويل. فكلّ من يُقدم على ترجمة أدبية يستطيع أن يتلمّس بنفسه خصوصية "الصورة المجازية" واستعصاءها على النقل الحرفي على الرغم من بساطة التعبير التي تُؤدَى به.

من أجل تسهيل هذا النّقل المجازي فانّ الاعتماد على الجوانب المعجمية أو النحوية المتوفّرة لدى المترجم بدون إدراج عنصر الفهم المتأتّي أصلا من الثقافة الإدراكية التي تتكوّن لدى المترجم من معايشته للإطار الثقافي الذي يحفّ كلاّ من اللغة الأصل و اللغة الهدف، يبدو مسلكا غير سليم ويحمل في طياته مخاطر دلالية جمّة، تعمل على إبعاد القارئ عن حقيقة الدلالة بدل مساعدته أثناء قراءة الأثر الأدبي على اختراق طبقة التراكيب السطحية والغوص في أغوار التراكيب العميقة التي تحمل دلالات أرادها الكاتب الأصلي من خلال إنجازه لهذا الأثر الأدبي.

« lorsqu'un poète arabe parlera d'un paysage en neige il dira : le paysage est si blanc qu'il semble de toutes parts sourire avec des dents blanches, ce qu'un grec ou un Romain aurait trouvé bien bizarre »[(2)] .

"حينما يتحدث شاعر عربي عن أفق مكسو بالثلج، فإنّه يقول: الأفق شديد البياض بشكل يعكس صورة ابتسامة بأسنان بيضاء، وهو ما يراه يوناني أو روماني غريبا".

1- مريان لوديرار: م س، ص24.

198 -Carl Grimberg : Histoire universelle. Marabout université. France, 1963, P57. 2

فهنا يتحدث الكاتب عن مجاز شائع عند العرب وهو تشبيه "الأفق" في حالة اشتماله بالثلوج البيضاء بأسنان بيضاء لإنسان يبتسم. ولا شك أنّ صورة كهذه الصورة الواردة في ثنايا هذا القول تؤكّد فرادة الصور المجازية وخصوصيتها الشديدة. فصورة الثلج هي صورة إدراكية منتزعة من واقع طبيعي يراه العربي كما يراه غير العربي؛ لكنّ دمج صورة الثلج مع صورة الأسنان البيضاء عند الإنسان حال ابتسامته والجمع بينهما هو ما يجعل هذه الصورة تختص بالحقل الثقافي الذي ترد في إطاره.

فبينما يتمّ تلقي هذه الصورة في الحقل العربي بكلّ سلاسة فإنّها تثير غرابة عند غير العربي. فإذا قرأها غير العربي فإنّه لا يمكنه أن يتلمّس جوانب الجمال الأدبي في النص الأدبي.

"C’est une affaire bien délicate que de vouloir donner au moyen de traductions une idée de la plus ancienne poésie des arabes. Les idées en sont si typiquement nationales, la couleur locale si particulière et le style si spécifique que ces poèmes ne peuvent pas réellement être transposés. Ils vivent dans un monde à part ou seul l’initié trouve accès[(1)] ".

" هي قضية شديدة الحساسية حينما نسعى بواسطة الترجمات إعطاء فكرة عن أشعار العرب القدماء. فالأفكار تقدّم نماذج وطنية، و طابعا محليا خاصّا، وأسلوبا متميّزا ممّا يجعل هذه الأشعار غير قابلة للنقل. فهؤلاء يعيشون في عالم خاص لا مكان فيه إلا للمنتمي".

فهذا النّص يعكس إحساس المؤلّف بأنّ مهمّة المترجم الذي يتعامل مع هذا النّوع من النصوص تكتسي صعوبة بالغة تقترب من الاستحالة الملموسة في مجال نقل هذه الرموز الثقافية التي ترتبط بالخصوصيات الثقافية والإدراكية لكلّ شعب من الشعوب على ظهر هذه الأرض.

تجعل هذه الاعتبارات المترجم يستشرف السبيل المنهجي الذي يمكّنه من الجمع بين المحافظة على هذه الخصوصية الثقافية وبين ممارسة عمل الترجمة الذي تحقق

200- Carl Grimberg : Op cit, P. 57.

وجوده عبر مسيرة تاريخ الإنسانية. وهذا ما يفرض البحث في الوسائل الكفيلة بمحاولة الالتفاف على النص ومحاولة تبييئه بنقل الأفكار والصور الكامنة فيه إلى لغة أخرى.

إنّ كثرة النظريات التي سبق عرضها في مجال الترجمة تبيّن أنّ عمل المنظّرين لم يتوقف، وأنّ البحوث المتواصلة تؤكّد الرغبة في محاولة تخيُّر واختيار السبل الكفيلة بالتعامل مع هذا النوع من المباحث. ومن هذه النظريات "النموذج التأويلي" الذي يعتمد على الإحاطة بالخطاب الأصلي للوصول إلى تأويل المعنى المقصود لدى الكاتب. "ليس التقاط المعنى نتيجة مراحل متابعة وإنّما هو المسعى الوحيد للفكر، لا نفهم نصّا في أول الأمر على مستوى اللّغة ثمّ على مستوى الخطاب ولكن نفهمه دفعة واحدة على مستوى الخطاب"[1].

في ظل هذه النظرية فإنّ الفكر والإدراك كليهما يعملان على اختراق المعنى؛ وأنّ فك شفرة المعنى أيضا يتمّ بهما، فالتركيب اللغوي بكلماته وألفاظه ليس إلاّ وسيلة تُؤدَّى بها هذه المعاني. وأمّا الوقوف عند أسوار التركيب اللغوي لوحده فإنّه ليس مسلكا سليما ومأمونا دائما؛ لأنّ الوحدة اللغوية ربّما تبقى هي نفسها صوتيا ومعجميا غير أنّ دلالاتها تتكاثر بالشكل الذي يصعب أحيانا تلمّس خط التطور الدلالي الذي يصيب هذه الوحدة المعجمية، ويوقع القارئ في حيرة من أمره أمام سيل الدلالات التي تتزاحم من الوجهة الدلالية المعجمية بما يوقّره المعجم من دلالات مختلفة في بعض الأحيان؛ وفي أحيان أخرى تظهر دلالات أثناء الاستعمال ليست واردة في الإطار المعجمي لها.

يعكس هذا كلّه حركيّة اللغة أثناء استعمال الإنسان لها وينفي عنها طابع الجمود والقولبة الذي يجعل اللغة تكرّر نفسها بنفس الوحدات المعجمية المتداوَلة بدون تفنّن وإبداع يرقى بها إلى مجال يجعلها أداة الاتصال الإنسانية الأكثر فعالية و استعمالا وتداولا.

ولا يزال الباحثون والنّقاد يدركون صعوبة حصر دلالة الوحدة اللسانية بالاعتماد على المعجم لوحده. وبالتالي لا يمكن تجاوز هذا الطابع الحركي للّغة المتمثّل في استعمال "المجاز"، لأنّ هذه المجازات الشائعة في كلام بعض الشعراء العرب في

1- ماريان لوديرار: م س، ص26.

مجال الوصف لظواهر الطبيعة يمكّن من فهم كيفيات انطباع صورة الواقع بأبعاده الفيزيائية على مدى انتقاء الشاعر لوحدات لسانية دون البعض الآخر.

وهو ما يجعل اللّغة تصير أداة مرنة لدى أيّ شاعر امتلك ناصية اللّغة وتعامل مع أساليبها بمهارة واقتدار؛ وعكست أيضا الإرث المشترك للمجوعة اللسانية في تجاوبها مع شاعرها في إيراده لهذه الصور المجازية بدون نكير عليه حينما يستعملها بل يكون ذلك مدعاة للاستحسان و التفاعل.

يرد في هذا الإطار البيت التالي الذي يبيّن تفاعل البيئة مع الصور المجازية المنتزَعة من صور واقعية و يصبّها الشاعر في إطار لساني بلاغي:

إذا أمست الآفاق غبرا جنوبها بشيبان وملحان واليوم أشيب [1].

فقوله "اليوم أشيب" أي يوم أبيض لبياض الثلج الذي يكسو الآفاق. فهنا تشبيه الآفاق في شهري "شيبان" و"ملحان" وهما "كانون الأول" و"كانون الثاني" – وهما أشدّ الشهور بردا– في بياض الثلج وتساقطه في هذين الشهرين بالشيب يغزو شعر الإنسان.

ورؤية الإنسان لهذه الصور الطبيعية هي التي تجعل هذه الصورة الواقعية التي يشاهدها كلّ فرد في المحيط الطبيعي لها ينفذ إلى مواطن الجمال فيصوغ كل ذلك في قالب جمالي بديع.

ولذلك فالمجاز الوارد في هذا البيت هو ممّا شاع استعماله عند العرب في لغتهم وفي أشعارهم. فقد شاع استخدام العرب لهذا النوع من المجازات في ثنايا تعابيرهم وأشعارهم: "شابت رؤوس الآكام ورأيت الجبال شيبا؛ يريد بياض الثلج والصقيع"[2]. ولقد توارد استخدام الشعراء لهذا المعنى أيضا مسجّلين بذلك نمطا خاصا في التعبير والإنشاء يستمدّ من الواقع معينا لا ينضب من الصور العالقة في ذهن الشاعر من مخالطته و معايشته لهذه الشخوص و الأحداث الحياتية. "ومنه قول عدي بن زيد:

أرقت لمكفهر بات فيـــــه بوارق يرتقين رؤوس شيب.

1- الجوهري اسماعيل بن حمّاد: الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1990، ص 342.

2- محمد بن محمد الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مصر، المطبعة الخيرية، ط1، 1986، ص648.

قال بعضهم: الشيب هنا سحائب بيض واحدها أشيب، وقيل معناه: "جبال مبيّضة من الثلج أو من الغبار"[1].

تحمل هذه الاستشهادات من النصوص في طيّاتها دلائل حول صور مأخوذة من واقع وهي صورة الثلج على الأرض. فبينما العربي يشبّهها ببياض الأسنان فإنّ غير العربي لا يستسيغ هذا التشبيه، ويكون ذلك مدعاة للنفور والاستهجان. وعلى هذا الأساس فعمل الترجمة ليس بالشيء اليسير إطلاقا فهو بصدد نقل صور مستحسنة من جهة ومستهجنة من الجهة الأخرى.

فإذا كان هذا حال الوحدة المعجمية الواحدة وتكاثر دلالاتها؛ فكيف يكون الأمر حينما يتمّ تناول تراكيب لسانية متعدّدة؛ فضلا عمّا توفره اللغة من عشرات الآلاف من وحدات اللغة المعجمية. يتمّ كل ذلك بواسطة الحمولة المعرفية الإدراكية التي يتمكّن المترجم من اكتسابها من خلال المعايشة المباشرة مع الثقافة المتضمّنة في صلب النص الأدبي المعدّ للترجمة؛ لأنّ الصور المجازية الثقافية تحمل خصوصيات محلية وإقليمية وحضارية متميزة.

واكتساب هذه الحمولة المعرفية لا يتسنّى إلا للمترجم المؤهّل للاطلاع على ما يميّز هذه اللغة عن تلك وتفرُّد كل لغة بعبقرية خاصة بها. وهذه الحمولة المعرفية "Bagage cognitif" يمكن تعريفها في إطار "النموذج التأويلي" للترجمة كما يلي:

« Bagage cognitif : Ensemble des connaissances et des expériences acquises par une personne, qui constituent son savoir permanent. Le bagage cognitif relève de la mémoire a long terme ; il est actualise lors de la réception d'un discours ou d'un texte »[2] .

"الحمولة الإدراكية: مجموع المعارف و الخبرات المكتسبة من قبل الشخص، والتي تمثّل معرفته الدائمة. تنتمي الحمولة الإدراكية إلي الذاكرة بعيدة المدى؛ ويتمّ تحيينها باستقبال أي خطاب أو نص".

1- محمد بن محمد الزبيدي:م ن، ص 648.

2 -Monique C. Cormier: Glossaire de la théorie interprétative de la traduction et de l'interprétation Meta; journal des traducteurs, vol. 30, N 04, 1985, P 353.

ينبع الاهتمام من دور هذه الحمولة الإدراكية لدى المترجم من أنّ "النص" بمختلف أبعاده يعكس أنساقا ثقافية يتوجّب على المترجم إيلاءها ما تستحق من الدرس والاهتمام. ويكشف هذا التعريف مدى تأثر اتجاه النموذج التأويلي بمفاهيم "اللسانيات الإدراكية" التي سبق الإشارة إلى أنّها تولي اهتماما بالغا للبنية الذهنية التي تؤطّر فاعلية القول اللساني.

يتبيّن من خلال ذلك كلّه مدى تأثر "النموذج التأويلي" للترجمة باللسانيات الإدراكية. وهذا كله – بلا شكّ – يصبُّ في إطار تراكمية الفكر الإنساني التي تبدو واضحة المعالم في استمداد "اللسانيات الإدراكية" من مفاهيم المدرسة التوليدية والتحويلية، والتي فتحت المجال بدورها "للنموذج التأويلي" لاستثمار مبادئ اللسانيات الإدراكية في مجال الترجمة؛ والذي يصبّ في إطار الاعتماد على "الفهم" و إعادة التعبير" للتأكيد على أنّ الترجمة ظاهرة لسانية معقدة تشترك فواعل معينة في تحقيقها وإخراجها إلى حيز الوجود.

فالمعنى المتضمّن في صلب النّص الأدبي ليس بارزا بالشكل الذي يمكّن من تمرير الدلالة بصورة آلية تحقق المعني بسهولة ويسر؛ ولو كان الأمر يتمّ بهذه الصورة لما احتيج أصلا إلى أنواع من الدراسات المنصبّة حول اقتراح مستمر لآليات متجدّدة في مجال الترجمة. وبالتالي لاستطاعت الترجمة الحرفية أن تحقق التعادل الدلالي بين ضفاف لغتين.

غير أنّ واقع الترجمة و الترجمات يشهد أنّ الترجمة الأدبية لا يمكنها أن تتحقّق بواسطة تناول علمي لقضية الترجمة لا يستجيب لخصوصية هذا النّوع من النصوص. والدليل على ذلك أنّ البدائل المعجمية التي يمكن استشفافها من القراءة العابرة لا يمكن أن تنجح في إصابة الدلالة المستهدفة من قبل النص قبل ترجمته.

« Ce qui veut dire "ciel" dans une langue, veut dire nuage, brouillard, voûte, dans les autres, le mot "dieu" dans certains dialectes signifie bon, très – haut ; dans d’autres, soleil ou feu »[1] .

1 -Fréderic Baudry : De la science du langage et de son état actuel (Extrait de la revue archéologique). Paris, 1864. P06.

"ما يُطلق عليه ''سماء'' في لغة ما، يسمّى سحاب، ضباب، نجم في لغات أخرى؛ كلمة ''رب'' في بعض اللهجات تدلّ على خيِّر، متعال، وفي البعض الآخر، شمس أو نار". وهذه الدلالات التي تعلق بالوحدة المعجمية هي التي تحفُّ بها فتصبح دلالة هذه الكلمة مستعملة في سياق ومهملة في سياق آخر، وهي ما يطلق عليه بالدلالات الحاقة والتضمينية والمجازية " Les connotations".

ووجود هذه المجازات داخل اللغة يدلّ على حركية اللغة وفاعليتها؛ غير أنّ ما يثير غرابتها هو تكاثرها وتعلّقها بالوحدة المركزية الأمّ، ممّا يخلق صعوبة الاختيار لدى المترجم. وهذه الاختيارات المعجمية هي ما يفرّق بين مترجم وآخر لأنّ اتجاه الاختيار هو الذي يطبع ثقافة المترجم الذي يسعى إلى تحييد الوحدات التي تحفّ بالمعنى المركزي و انتقاء أكثر الوحدات ترجيحا و انخراطا في خدمة الدلالة النّصية التي يتوقف عليها إصابة الدلالة التي تقترب من الأصل اقترابا بيّنا وواضحا.

يتبين أنّ أمر "الدلالة التأويلية" في النّص المترجم يحمل من مجهودات الاختيار والانتقاء ما تُناط على إثره بالمترجم مهمّة الوعي بمجمل هذه الوسائط المعرفية الإدراكية التي تصبّ في إطار تفعيل الآليات الذهنية التأويلية لنص الترجمة الأدبية. وهذه الاعتبارات هي التي ألقت بظلالها على السياقات التاريخية التي كانت سببا في ظهور "النموذج التأويلي" في الترجمة.

المبحث الثاني: تاريخية نشأة "النموذج التأويلي":

شهدت السنوات المتأخرة في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات تشعّب سبل البحث اللساني إلى الحدّ الذي تكاثرت فيه النظريات والمناهج اللسانية حدّا بلغت به مستوى من الوفرة في العُدّة النظرية والمنهجية كان له الأثر البالغ في تغيير خارطة البحث اللساني المعاصر. وكان من نتيجة هذه الوفرة تفاعل الحقول المعرفية التي تتجانس مباحثها مع الدرس اللساني وعلى رأسها دراسات الترجمة والترجمة الأدبية خصوصا.

ولقد ألقت نتائج البحث اللساني وخصوصا تيار اللسانيات الإدراكية بظلالها على دراسات الترجمة الأدبية. وكان من نتيجة هذا التأثر وهذا التفاعل ظهور "النموذج التأويلي" في بداية عقد الثمانينات في فرنسا وامتداد أثره إلى ساحات البحث الأكاديمي الجامعي.

فهذه النظرية "تمّ تطويرها في المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين بباريس(ESIT) خلال الأعوام الخمسة والثلاثين المنصرمة على أيدي دانيكا سيليسكوفيتش (Danica Seleskovitch) وماريان لودورير(Marianne Lederer) مؤسستي مدرسة باريس"[1]. وانطلاقا من المصطلحين الإشكاليين السابقين، وهما "التأويل" و "التأويلية"؛ فإنّ كلا منهما يجد له موطئ قدم في رحاب هذه المدرسة.

فالترجمة الشفهية بما تترجم به لمصطلح "interpretation" يجد له مكانا في انطلاق البحوث من رحابه أوّل الأمر؛ وكان القصد منه تيسير سبل ضبط قواعد هذا النّوع من الترجمة. وأمّا المصطلح الآخر "التأويلية" بما هو ترجمة للمصطلح الغربي "herméneutique" فيرتبط باتجاه فكري وفلسفي يولي أهمّية معتبرة لعمل الفكر الإنساني في توليد المعاني والبحث عن الدلالات الكامنة في مظانّها.

وتوضيح دلالات هذه المصطلحات يكتسي أهمّية معتبرة؛ من منطلق أنّ إيراد هذه المصطلحات بدون تبيان لسياقها المعرفي العامّ من شأنه أن يبعد القارئ غير المتخصص عن ارتباطاتها العلمية الخاصة.

1- ماريان لوديرير – دانيكا سيليكوفتش: التأويل سبيلا إلى الترجمة، ترجمة فايزة القاسم ، لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2001، ص 07.

لم تغب هذه الرؤية عن "فايزة القاسم"، وهي مترجمة الكتاب الافتتاحي للنموذج التأويلي في الترجمة لكلّ من "ماريان لوديرير" و"دانيكا سيلسكوفيتش" بعنوان "التأويل سبيلا إلى الترجمة"عن النسخة الفرنسية " interpréter pour traduire". فقد أوردت هذه الباحثة المترجمة الإشكاليـــة المتعلّقـــة بالحيرة التي صادفتها حينما كانت بصدد محاولة ترجمة هذا المصطلح "interpreter"، فقد ذكرت الأسباب التي جعلتها تبدأ بهذا المصطلح؛ والذي أطلقت عليه "المصطلح المفتاح".

"وخلافا لما ورد هنا وهناك، لا تعني الكلمة (التفسير) ولا تُسمّى النظرية ب (النظرية التفسيرية)، فالتفسير هو تفسير المعنى المباشر، أي شرح الكلمة الغامضة من أجل التوضيح" [1]. وممّا لاشك فيه أنّ ضبط المصطلحات الواردة في أي حقل معرفي من شأنه أن يزيل الالتباسات المفهومية والدلالية التي تثيرها الاستخدامات العشوائيـــة لهذه المصطلحات.

ومصطلح "التأويل" يثير هذا الإشكال لتأرجح دلالته على الاتجاه الفكري والفلسفي السّائد في بعض حقول المعرفة الإنسانية، والذي تتقاطع استخداماته مع مصطلح "الهرمنيوطيقا" "hermeneutique" مثلما ذكر؛ كما يعود السبب أيضا إلى شيوع استعمال مصطلح "التأويل" كمقابل للترجمة الشفوية.

ومن أجل ضبط منهجي لتوارد الدلالات المجازية يتطلب ذلك فحص الحدود الفاصلة بين الدلالات المجازية تمهيدا لتأويلها و ترجمتها.

- **حدود دلالات الوحدات المجازية:**

ما يتقاطع مع هذه الأفكار الجديدة هو أنّ تناول قضايا الترجمة الأدبية أضحى يشهد اتجاها نحو دراسة استخدام الصور المجازية والاستعارية في ثنايا النص الأدبي؛ وهو ما يكرّس فرادة هذا النوع من النصوص وتميّزها عن باقي أنواع النصوص الأخرى؛ ويفرض تبعا لذلك اتجاها معيّنا في الترجمة يستجيب هو الآخر لخصوصية النص الأدبي.

1- ماريان لوديرير – دانيكا سيليكوفتش: م س، ت فايزة قاسم، ص 08.

فترجمة نص أدبي لا ينطبق عليها ما ينطبق على ترجمة نص ذا طابع تقني أو علمي أو قانوني. والترجمة التي تسعى إلى استهداف هذا النوع من المجازات والاستعارات تستجيب لآلية تأويلية كشفت اللسانيات الإدراكية عن جزء من جانبها ومن صيرورتها الفكرية؛ وأحرز "النموذج التأويلي" قصب السبق في محاولة الفهم والتفسير لهذه الظاهرة المعرفية الإدراكية الهامّة في حياة كل فرد وفي مساره الاجتماعي والبيئي.

وبالتالي فالتطور الحاصل في اللسانيات المعاصرة مكّن من استثمار ما توصّلت إليه هذه المدارس اللسانية لأجل غاية واضحة المعالم والأبعاد وهو الوصول إلى ترجمة لا تُقصي جانب الدلالة المجازية الحاضرة دوما في ثنايا الملفوظات اللسانية. فبينما كانت مدارس الترجمة المختلفة ونظرياتها تعامل هذه الصور المجازية معاملة ترتدّ بها إلى مرتبة ثانوية، بسبب هيمنة النظرة البلاغية التي ترى في المجاز وأضربه صورة فنية خالصة وليس أداة معرفية وإدراكية؛ وبالتالي كانت الآليات المستعملة في تذليل صعوبات الترجمة الأدبية تنبع من التوجه البلاغي وتبقى في إطاره.

ولذلك فإنّ الإقدام على ترجمة وحدات معجمية بدون الانتباه إلى جانب التأويل من شأنه أن يبعد المترجم عن فهم سليم ومقبول لدلالة الوحدات المعجمية الواردة في صلب النص الأدبي.

ولتجنّب ذلك يبرز دور "التأويل" كوسيط في حوزة المترجم يستطيع بواسطته أن يدرك الدلالة التي يتوقف على فهمها قدرة المترجم على النّفاذ إلى المعنى وتقريبه للقارئ في اللغة الهدف. وبدون اتخاذ "التأويل" مسلكا وأداة فإنّ ما ينتج عن الترجمة لا يعكس الدلالة المرجوة، وتصل الدلالة بعيدة عن المقصود وعن المطلوب إيصاله إلى القراء بطريق الترجمة.

وعلى سبيل المثال نُذكر الترجمة التالية للوحدة المعجمية "**ربّ**" الواردة في النص المقدّس "القرآن الكريم". فلقد توارد ذكرها في كثير من نصوص القرآن الكريم بصفة مستفيضة. ودلالتها المعجمية مشتهرة لدى جميع الناس لتكون علَما على الإله المتعالي إذا وردت بصفة إطلاقية، أي بدون ارتباط مع وحدة معجمية أخرى.

وفي حال ارتباطها فهنا يتغيّر المعنى لتدلّ على معان متعدّدة مثل: "ربّ البيت، ربّ الأسرة، ربّ المال، ربّ القبيلة، الخ.. ". وما دام الاستعمال اللغوي يشملهما معا فإنّ استبدال أحد المعنيين ليحلّ محلّ الآخر يوقع في الالتباس المفهومي. فحينما يطالع المترجم نصوص القرآن يقف على استعمالات متعدّدة لهذه الوحدة المعجمية. ومن ضمن هذه الاستعمالات ما يوجد في الآية التالية : "**ارجع إلى ربّك** "[1]. فإنّ دلالة الوحدة المعجمية "**ربّ**" من المفروض أن يفهم منها المعنى الأول وهو إطلاقه على الإله المتعالي.

وتكون الترجمة تابعة لهذا الاختيار الدلالي في هذا السياق فتترجم إلى اللغة الفرنسية باختيار إحدى البدائل التالية :" Dieu- Seigneur- Créateur- idole ". واقتراح أحد هذه البدائل المذكورة سببه ورود كلمة "ربّ" بصفة الإطلاق وبدون ارتباط مع وحدات معجمية أخرى.

غير أنّ ترجمة بهذا الشكل لا تستجيب بحال من الأحوال إلى فهم سليم لدلالة هذه الوحدة المعجمية في اللغة الأصل. وعدم فهمها فهما سليما يؤدّي إلى الفشل في ترجمتها ترجمة سليمة تبعا لذلك.

وبالتالي فالدلالة المقصودة من كلمة "**ربّ**" في الآية الوارد ذكرها إنّما تطلق ويُراد بها الملك الحاكم للبلاد في ظلال الأسرة الفرعونية الحاكمة لمصر وقت وقوع الأحداث. والدليل على ذلك وجود الوحدة المعجمية "**ارجع إلى**"؛ ممّا يحيل على شخص فيزيائي يُسأل فيُجيب ويُؤتى من عنده ويُرجع إليه.

وهذا ما يجعل الاتجاه نحو استبدال كلمة "ربّ" في معناها ودلالتها بواسطة فهم ما تدلّ عليه في ثنايا هذا النص ذاته، هو ما يُمكّن من الانتقاء من الوحدات المعجمية في اللغة الهدف ما يُمكنه أن يتقاطع مفهوميا ودلاليا مع نظيرتها في اللغة الأصل. وهذا ما يوصل إلى نتيجة مفادها أنّ الدلالة الواردة في هذا النص القرآني تنصرف إلى شخص أطلق عليه لفظ "الرب" لاعتبارات تاريخية و دينية معيّنة.

1- القرآن الكريم: سورة يوسف. الآية رقم: 50.

ففي هذه الآية لا يُفهم من كلمة "ربّ" ما تدلّ عليه – عادة – وهو المطلق التصرّف في الوجود الذي "**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**"[1].

و لتبيان ذلك يتمّ استطلاع ترجمتين لهذه الوحدة المعجمية لورودها في القرآن الكريم عند بعض ممّن تصدّى أو حاول أن يقدم على ترجمة نصّ مقدّس كالقرآن الكريم.

يقول القرآن الكريم: "وقال الملك ائتوني به؛ فلمّا جاءه الرسول قال **ارجع إلى ربك** فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، إنّ **ربي** بكيدهن عليم"[2]. ولقد ترجمت هذه الآية على الشكل التالي:

« Et le roi dit : « Amenez – le moi », puis lorsque l'émissaire arriva auprès de lui, [Joseph] dit : « Retourne auprès de ton **maître** et demande – lui « quelle était la raison qui poussa les femmes à se couper les mains ? Mon **seigneur** connait bien leur ruses » [3]

أمّا الترجمة الثانية لنص الآية فقد وردت على الشكل التالي:

« Le roi dit: « Amenez, le moi ». Quand l'émissaire fut venu Joseph lui dit : « Retourne à ton **seigneur** lui demander la confession des femmes qui se sont coupé les doigts ? Mon **Seigneur** de leurs astuces est connaissant » [4]

يُلاحظ أنّ صاحب الترجمة الأولى استعمل مصطلحين للدلالة على نفس الوحدة المعجمية في نفس الآية وهي كلمة "ربّ"؛ فالأولى مصطلح « Maître » والثانية « seigneur » للدّلالة على ترجمة كلمة "ربّ" في الموضعين.

لكنّ استعمال القرآن الكريم لكلمة "ربّ" في نفس الآية في موضعين يدلّ على اشتراكهما في دلالة من جهة، ونفي هذا الاشتراك من جهة أخرى. وهذا يبيّن أنّ المترجم في النّص الأول أدرك اختلاف الدلالتين لنفس الوحدة المعجمية من خلال فهم ما تدل عليه كلمة "ربّ" في السياق الأول وهو دلالتها على حاكم البلاد "فرعون

1- القرآن الكريم: سورة الأنعام. الآية رقم: 103.
2- القرآن الكريم: سورة يوسف. الآية رقم: 50.
3 -A. Harakat : le saint coran (traduction du sens de ses versets) : Beyrouth, Liban, Dar El Fikr, P 637.
4 -Jacques Berque : le Coran, Paris, France, sindbad, 1990, P 250.

مصر"؛ و ما أصبحت تدل عليه في السياق الثاني وهو دلالتها على الإله الواحد الذي يعبده يوسف.

ولذلك اختار المترجم بعد فهمه لهذه الاختلافات الدّلالية أن ينقل المعنى وليس الوحدات المعجمية. فقد قام بترجمة كلمة "ربّ" الواردة في السياق الأول للآية إلى كلمة "Maître"؛ بينما اختار أن يترجم الكلمة الثانية "ربّ" الواردة في السياق الثاني للآية إلى كلمة "Seigneur".

وهذا يدفع إلى محاولة معرفة السبب وراء إطلاق كلمة "ربّ" على الحكام والملوك في عهد الأسر الفرعونية الحاكمة. فإنّ السياق التاريخي يبيّن أنّ المصريين كانوا يتخذون الملوك آلهة ويعتبرونهم أربابا؛ ولهذا السبب فإنّ يوسف خاطب الرسول من عند "الملك" في هذه الآية بما يعرف من كلام وما يعتقد؛ ولكنّه يريد أن يبيّن تعالي الإله الذي يعبده يوسف –عليه السلام– عن "الملك الإله" الذي يحكم مصر والذي تجري عليه صفات البشرية. إنّ استعمال تعبير لغوي ليدلّ على دلالة مقصودة ثمّ استعمال نفس التعبير ليدلّ على دلالة أخرى تكون هي الأخرى مقصودة يدلّ على استعمال بديع للّغة وأساليبها. والنظرية البلاغية تطلق على هذا النوع من التعبير مصطلح "المشاكلة"؛ والتي تُعرّف بما يلي :" هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا" [1].

ويتمثل وجود "المشاكلة" في النص القرآني السابق ذكره في استعمال كلمة "**ربّ**" في الآية لتدلّ على الملك الحاكم مجازا ثم انتقال الكلام بعد ذلك إلى استخدام نفس الكلمة "ربّ" ولكن بمعنى "الإله السرمد" حقيقة؛ فهو نوع استدراج في الكلام ليبدأ في تقرير شيء وليتوصل إلى تقرير خلافه بنفس الوحدة المعجمية التي يتداولونها فيما بينهم وتجري على ألسنتهم وتواضعوا على استعمالها، فهذا نوع من استعمال اللغة وتوجيهها نحو خدمة أغراض المتكلم ومقاصده.

وبالتالي فاللغة ليست قوالب جامدة تُكرّر نفسها وإنّما استعمال يخضع لمهارة قائله ويسمح لأفكاره ومداركه أن تمارس حضورها عبر اللغة واستعمالاتها. وعلى هذا

1- جلال الدين القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، ص360.

الأساس فإنّ توارد الألفاظ في اللّغة تتحكّم فيه استعمالات فردية تنقل الدلالة من الحقيقة إلى المجاز ومن المجاز إلى الحقيقة؛ بل ويمكن للّغة أن تتجاوز الحقيقة والمجاز كليهما إلى استخدامات فنية وبلاغية تعكس الطاقة التعبيرية المتضمنة في صلب اللغة.

"اللفظ يجوز خلوه عن الوصفين؛ فيكون لا حقيقة ولا مجازا لغويا. فمن ذلك اللّفظ في أول الوضع قبل استعماله فيما وُضع له، أو في غيره، ليس بحقيقة ولا مجاز لأنّ شرط تحقق كل من الحقيقة والمجاز الاستعمال، بحيث إذا انتفى الاستعمال انتفيا... وقد ألحق بعضهم بذلك اللفظ المستعمل في المشاكلة. فذكر أنّه واسطة بين الحقيقة والمجاز"[1].

ولاشكّ أن هذه الأفكار إنّما تُدرس في إطار النظرية البلاغية العربية في عصور ازدهارها واستوائها على سوق البراعة الفنية الخالصة. وما يتعلّق بالأطر الفنية في ظلال البلاغة العربية ليس موضعا للتطبيق على أطر بلاغية غير عربية. وهذا ما يعكس جوانب إبداعية في البلاغة التراثية تستدعي تأنّيا وتركيزا في تناولها ودراستها، وذلك كلّه في سبيل استجلاء البنية الذهنية التي دفعت لفنون القول البلاغي أن تبرز لدى الطائفة اللسانية المتجانسة.

فالكلمات في اللغة تتلوّن بألوان الثقافة والتاريخ الخاص للشعوب و الأمم؛ والمثال السابق ذكره حول المعنى الحقيقي أو المجازي يثبت أنّ المعنى الذي يحُفّ بكلمة "ربّ" في ذهن المصريين كما تعكسه الآية "ارجع إلى ربك"؛ يدلّ على ثقافة إدراكية ترسّخت عبر قرون من الزمان لديهم جعلتهم يرون الحاكم بمنزلة الرب الإله.

وتغيير الثقافة الإدراكية لدى شعب من الشعوب ليس متيّسرا دوما؛ لأنّ اعتزاز كلّ طائفة بتراثها أمر مفروغ منه. ولذلك فعمل المصلحين وأرباب القلم والإبداع الذين تُناط بهم مهمة الإصلاح للمجتمع أن يعملوا على استعمال اللغة ذاتها بألفاظها وتراكيبها في سبيل تشكيل البنية الذهنية التي يراد تحقيقها؛ واستبعاد كلّ ما من شأنه أن يتناقض مع مسار هذا التشكيل.

1- جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد علي البيجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، بيروت، دار الجيل، ج1، ص113.

وبالتالي يمكن فهم السبب الذي جعل النبي يوسف –عليه السلام– يستعمل كلمة "ربّ" في مخاطبته لمن لا يؤمنون بالتوحيد؛ وذلك من منطلق أنّ هذا الاستعمال هو خطوة أولية نحو الانتقال من الوثنية إلى توحيد الخالق –عز وجل– بواسطة الإبقاء على نفس الوحدة المعجمية وهي "ربّ" ولكن مع تغيير الثقافة الإدراكية السابقة وإحلال الثقافة الإدراكية التي ترفع "الرب" إلى مقام فوق مقامات البشرية. وهذا كلّه في الوقت الذي لم يستطع المترجم في النص الثاني للآية القرآنية إلاّ أن يختار كلمة واحدة وهي "Seigneur" لترجمة كلمة "ربّ" في السياقين معا.

فالمترجم الأول فهم دلالات النّص الأصليّة بالاستناد إلى ثقافته الإدراكية التي أهّلته إلى تحقيق هذا التأويل للوحدة المعجمية تمهيدا لترجمتها ترجمة مقبولة تعكس المعاني الواردة في النص الأصل. وأمّا المترجم في نص الترجمة الثاني فلم يتسنّ له ذلك؛ لاستناده إلى ثقافته الإدراكية التي لا تأخذ في الاعتبار مجمل هذه المعاني الحاقة بالنص.

«When words become associated with particular types of speakers, they almost inevitably acquire by this association a connotative meaning closely related to our attitudes towards those speakers »[1]

"حينما تصبح الكلمات متعلّقة بأنماط خاصة لدى المتكلّمين، فيلزمهم تقريبا ربط هذه التعلقات بدلالات مجازية تقترب إلى حد الالتصاق مع توقعاتنا تجاه هؤلاء المتكلمين". وهذا يُظهر أنّ الوحدات المعجمية التي تحمل في طيّاتها ثقافة شعب ما ورؤيته وإدراكه إنّما تكون حاملة لعبقرية هذه الأمّة من خلال لغتها.

ولذلك فالترجمة التي تطمح إلى التعادل المعجمي من خلال عملية النقل هذه يبدو عملها تعسفيّا إلى حدّ بعيد؛ لأنّ خصوصية الصورة المجازية لا تقبل الاختزال والانتقاص من شأنها. فالترجمة ليست قائمة على الخيانة والتشويه للفكر الذي يتوارى خلف أسوار الوحدات المعجمية.

---

1 -Eugène Albert Nida: The theory and practice of translation, Brussels, Tuta sue Aeigi, 2003, P91.

وبالتالي فإنّ هذا يفرض على المترجم المحافظة على هذه الخصوصية وعدم انتهاكها والتعامل معها بنوع من ضروب التحويل الذي لا يشوهها ولا ينتقصها.

تجنح الترجمة إلى هذا المسعى حفاظا على تراث الأمم والشعوب. "إنّ الترجمة عملية إدراك ''لأخرية'' الآخر، معنى ذلك أنّ التقريب فيما بين اللغات الذي تتوخاه الترجمة هو في الوقت ذاته إبعاد وأنّ الترجمة إذ توحد بين اللغات تعمل بالفعل ذاته على خلق الاختلاف بينهما وإذكاء حدّته فليست الترجمة خلقا للقرابة فحسب وإنّما هي تكريس للقرابة ذاتها"[1].

فالاختلاف قائم بين الشعوب والأمم ولا سبيل إلى إنكاره واختلاف اللّغات أمر واقع هو كذلك. ويشهد له عشرات الآلاف من اللغات على امتداد تاريخ الإنسانية. ولا يزال دأب المترجمين يشدّدون على هذا الاختلاف الذي يجعل الترجمة تبتعد عن أن تكون نسخة أصلية عن النص.

« L'existence d'une multiplicité de traductions différentes (à des degrés divers) des mêmes textes conforte l'idée que la traduction comme simple translation (transport) d'un même message d'une langue à une autre est une illusion ».[2]

"إنّ وجود تعدّد ترجمات مختلفة (إلى حدّ ما) لنفس النصوص يعزّز الفكرة بأنّ الترجمة باعتبارها مجرد نقل لنفس خطاب لغة ما إلى لغة أخرى هو مجرد وهم".

وهذا يفتح المجال للمترجم ليدرك أنّ مهمته في الترجمة تجنح نحو الاجتهاد في فهم الرسالة اللغوية المتضمّنة في النص وإدراكها ومحاولة نقلها إلى اللغة الهدف مدركا لأبعاد هذا النقل؛ فيعمل على ترجمة الوحدات المعجمية بما يخدم الدلالة في اللغة الهدف مع المحافظة على الأصل في اللغة الأصل؛ ممّا يثبت المهمّة العسيرة التي تنتظر المترجم في تأرجح عمله بين "التأويل" و "التأصيل".

1- عبد السلام بن عبد العالي: الترجمة أداة للتحديث، مجلة فكر ونقد، المغرب، عدد79/80 أبريل/ماي. 2006 ص34.

2 -Lantri Elfoul : Traductologie, littérature comparée Alger, Casbah Editions, 2006, p35.

- بين التأويل والتأصيل:

إنّ إثبات تأويل الوحدات المعجمية تمهيدا لترجمتها قد يفتح الباب أمام سيل من الانتقادات التي ترى أنّ قيمة عمل الترجمة؛ إنّما يحكم على نجاحها وتحقّقها مقدار اقتراب الترجمة من الأصل وتطابق نسخة الترجمة مع أصلها النصي من حيث كل الأبعاد اللسانية المحتملة.

وهذه النّظرة طغت وسادت في العالم العربي عند كبار النقاد في بدايات النهضة العربية . فلقد تصور هؤلاء أنّه حتى تُقبل الترجمة يجب أن تكون نسخة صحيحة عن أصلها؛ وأنّ درجة المهارة الحقيقية هي في الاقتراب من أصل العمل الأدبي وأنّه لا مجال لحركة المترجم وحريّته إلاّ في إطار العمل الأدبي في أصله الذي كتب فيه؛ مهما كانت مهارة المترجم ودرجة اقتداره البيانية؛ فعمل المترجم إنّما هو تأصيل الترجمة وليس تأويلها.

وهذه النظرة كانت سائدة لدى كثير من الرواد والنقاد في بدايات عصور الحداثة العربية؛ ولذلك يجدر في هذا المقام إيراد نقد "طه حسين" لطريقة حافظ إبراهيم في ترجمة "البؤساء" للكاتب الفرنسي "فيكتور هوجو" "Victor Hugo"؛ حيث أشار "طه حسين" قائلا:

"أيسمح لي حافظ بعد هذا أن آخذه بعيبين عظيمين، آسف جدّا لأنّي مضطر إلى أخذه بهما؟ فله علينا حقّ الإنصاف، ولكنّ للعلم والنقد حقّهما من هذا الإنصاف أيضا"[1]. يمضي "طه حسين" معدّدا ما أسماه عيبين عظيمين في ملاحظاته حول ترجمة "البؤساء" لـــ"فيكتورهوجو" من قبل "حافظ إبراهيم" فيقول:

"الأوّل أنّ ترجمته ليست كاملة فهو يلخّص ولا يترجم... والعيب الثاني أنّ ترجمته على فخامة ألفاظها وفخامة أساليبها وعلى ما لها من بهجة وجمال – ليست دقيقة ولا حسنة الأداء، وقد يكون لحافظ في ذلك رأيه، ولكنّي أرى أنّ ليست للترجمة قيمتها حقّا إلاّ إذا كانت صورة صحيحة للأصل. وليست ترجمة حافظ كذلك"[2]. ولكن مع أهمّية الرأي الذي يعكسه قول "طه حسين" والذي يعكس اتجاها كان سائدا في فترة

1- طه حسين: حافظ وشوقي، مجموعة الأعمال الكاملة، لبنان، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1981، ص 128.
2- طه حسين: م س، ص 129.

من الفترات عن الترجمة وقيمتها، إلاّ أنّ التطور الحاصل في نظرية الترجمة المعاصرة بفضل سلسلة التطورات الحاصلة في ميدان العلوم الإنسانية التي ترتبط بحقل الترجمة وخصوصا اللسانيات يجعل الباحث العلمي لا يسلّم بهذا الرأي على إطلاقه.

ويعود سبب عدم التسليم بهذا الرأي على علاّته إلى أنّ الرأي الآخر الذي يرى أنّ الترجمة لا يتوجّب عليها أن تكون نسخة صحيحة عن الأصل؛ فإنّه يبدو بفضل هذا التطور العلمي يكتسب قبولا واستحسانا؛ لأنّ الترجمة إنّما يظهر فضلها في نقل المعاني والدلالات التي يحتملها التركيب اللغوي، وما دام أنّ التركيب اللغوي ليس حياديا ولا أحاديا في معناه وفي دلالاته؛ فإنّ الجنوح نحو دلالة بعينها يترجمها وينقلها المترجم وإغفال الذكر عن باقي الدلالات هو بحدّ ذاته نوع من الإجحاف والتجنّي.

فلا يمكن تصور مدى العسر الذي يجابهه المترجم حينما يعمد إلى صورة بيانية صيغت في إطار لغة معينة تحمل ثقافة معينة ثمّ يتجرّأ ويقوم بمحاولة نقلها إلى لغة أخرى تخالفها تركيبا لغويا وتخالفها ثقافة وإدراكا؛ فكأنّما هو بعمله هذا ينتزع نبتة ناضرة من منبتها الأصلي وينقلها إلى أرض غير أرضها وإلى هواء غير هوائها، ويمكن تخيّل مصير هذه النبتة بعد ذلك.

إنّ السبب الذي يجعل هذا الأمر عسيرا هو الوقوف عند أسوار الوحدات اللغوية بدون فهم الملابسات والأحوال والمقامات التي تشكّل ثقافة النص وتتحكّم في اتجاه الدلالة فقدا واكتسابا، والباحث الذي ألف بعضا من مواد علم الدلالة يدرك مدى التشعب الذي اكتسبته نظرية الدلالة المعاصرة في سبيل استكناه عالم "المعنى".

فالمعنى ليس هو معنى الوحدة المعجمية فقط؛ بل ظهرت تقسيمات أخرى للمعاني من ضمنها المعنى الجُمَلي والمعنى النصي والمعنى الإدراكي " Cognitive meaning".

يمكّن إيلاء عنصري الفهم والإدراك قيمتهما في ضبط فاعلية القول اللساني من إجراء التأويل الناجح للوحدة المعجمية بدون تشويه وتحريف. فليس مجرد حفظ المعاني والدلالات الواردة في بطون المعاجم والقواميس –على الرغم من أهمّيتهما–؛

مسلكا مأمونا في مجال الترجمة؛ لأنّ الاعتماد على المعجم لوحده من شأنه أن يجعل اللغة تتجمّد في أطر وقوالب ثابتة لا تسير مع حركية الإنسان في هذا الوجود.

ولقيمة فهم الوحدات المعجمية قبل تأويلها أكّد كل من ينقطع للترجمة تنظيرا وتطبيقا على أهمّيته وقيمته؛ "ربما بدا أنّنا نؤكد البدهي عندما نقول أنّه لا يمكن ترجمة النص قبل فهمه. وفي الواقع، إنّ مجرد تأكيد هذه الحقيقة أمر تافه. إلاّ أن استتباعات ذلك بعيدة كل البعد عن كونها كذلك. ما هو ذلك الشيء الكامن في النص الذي يجب "فهمه" – أي: ماذا يعنـــي النص وكيف يتمكّن القارئ من الوصول إليه (المعنى)؟" [1].

ولم يكن لنظرية الترجمة أن تتنبّه أساسا إلى أهمّية ذلك وقيمته لولا ما أقدمت عليه اللسانيات المعاصرة من تسليط البحث المعمّق القائم على إدراج مجالات بحثية متعدّدة في "فهم" آليات القول اللساني الإنساني من خلال محاولة فهم "الفهم" نفسه.

وكان من نتيجة ذلك أنّ نظرية الترجمة استفادت من هذا الاتجاه البحثي الثريّ وأقدمت على تطبيق هذه النظرة الجديدة على دراسات الترجمة بمختلف أنواعها وعلى الأخص الترجمة الأدبية التي تحفل نصوصها بهذا الكمّ الهائل من الصور الاستعارية والمجازية التي يرتدّ وجودها إلى بنية ذهنية وإدراكية ومعرفية تتوارى خلف ستار من الكلمات والتعابير لا يستطيع فهمها إلاّ من تمكّن من إعداد العدّة المعرفية والمرجعية اللازمة لمجابهة النص الأدبي.

ومجمل هذه الاعتبارات تعتبر الأساس المرجعي للنّظرية التأويلية في الترجمة التي حاولت تخليص نظرية الترجمة من الأسس الفلسفية التقليدية بواسطة الانفتاح على دراسات الإدراك والبُنى المعرفية التي أماطت "اللسانيات الإدراكية" اللثام عن كثير من زوايا الغموض الذي كان يلفّها.

وأصبح الحديث عن الإدراك والفهم من أولويات النموذج التأويلي في الترجمة. "لقد رأينا أنّ كل **إدراك** لغويا كان أم لا، يمرّ عبر مخطط **تأويلي**، لأنّه تمثيل لحقيقة المدرك و**فهمه**". وهذا ما يوصل إلى نقطة هامّة تتمثل في أنّ الإدراك يُنتج الفهم الذي يوصل إلى التأويل؛ وبدون توفّر هذه العناصر مجتمعة يصبح النص المترجم عبارة

1- روجر.ت. بيل: م س، ص 258.

عن وحدات لسانية مرصوفة بعضها إلى جنب بعض بدون روابط دلالية صلبة فيما بينها.

وهذا التأكيد على عناصر الإدراك والفهم والتأويل لدى "النموذج التأويلي" للترجمة يثبت أسبقية هذا النموذج إلى تبنّي هذا الطرح واعتماده في مجال الترجمة. وتحقيق هذه المهمّة التأويلية وتذليلها إنّما يحققها المترجم المؤهل لذلك؛ فهو القادر على فهم أواصر القربى ما بين اللغتين المعنيتين بالترجمة؛ فيفهم عن هذه اللغة الدلالات الواردة في النص قبل ترجمته؛ ثمّ يحاول أن يصل بفكره إلى القارئ المستهدف فيقوم بتأويل ما فهمه بإدراج الفهم في صلب اللغة الهدف.

ليس بإمكان القراءة العابرة والسريعة للنّص الأدبي تقديم تأويل ناجح للدلالة من منطلق أنّها قد لا تتمكن من استهداف الدلالة المقصودة.

« Envisager la traduction, non comme une opération a la communication, comme s'il s'agissait de la transmission directe et relativement limpide du texte étranger, mais plutôt comme un travail d'interprétation »[(1)] .

"اعتبار الترجمة ليس كعملية تهدف إلى التواصل، كأنّ الأمر يتعلّق بتمرير مباشر وشفاف للنص الأجنبي، ولكن كعمل تأويلي".

وحتىّ لا يكون اعتماد النظرية التأويلية منفذا لحرية فردية قد تؤثر على سلامة المحتوى الفكري للنص الأصلي لابدّ من ضبط شروط التأويل وحدوده.

- **شروط التأويل وحدوده:**

يمكن للتأويل أن يلعب دوره في حصر الدلالة وضبط المفهوم المقصود من الوحدة المعجمية في النّص المترجم، وهذا ينبع من حاجة دافعة إلى وجوب ضبط حدوده حتى لا يكون مدعاة لتحميل القول ما لا يحتمله ويفتح المجال أمام ذاتية مفرطة تقوم على تحريف القول بدل تأويله. ينبغي الرجوع بادئ ذي بدء إلى المرجعية النظرية التي أفرزت الاتجاه نحو تبنّي الدلالة التأويلية في رحاب الترجمة؛ والمقصود

1 -Lawrence Venuti : Traduction, intertextualité, interprétation, in palimpsestes, N18, Presses Sorbonne nouvelle, Paris, France, P24.

بها إطار "نظرية اللسانيات التوليدية التحويلية". فبعد سلسلة التعديلات استقرّت هذه النظرية على إدراج عنصر "التأويل" للملفوظ اللساني بدلا من الاعتماد كليّة على الأنظمة النحوية لوحدها في فهم دلالة التراكيب اللسانية.

« Dans la théorie standard de la grammaire générative, on appelle interprétation l'attribution d'un sens à une structure profonde (interprétation sémantique) ». (1)

" في النّظرية النّموذجيـــة للنّحو التوليـــدي؛ نُسمّي تأويلا إسناد دلالة ما للبنية العميقة –تأويل دلالي–".

يتعلّق الأمر هنا من الوجهة اللسانية بالتأويل الدلالي للتركيب اللغوي. وهذا النص يركّز على أنّ البنية العميقة هي التي ينبغي تأويلها دلاليا وليس البنية السطحية، لأنّ القواعد التحويلية المطبّقة على تحليل البنية العميقة للتركيب اللساني هو المدخل الأساسي لفهم مقصود الكاتب من خلال نصه، وما ذلك إلاّ لأنّ الدلالات متموقعة لدى الكاتب في ذهنه ووعيه الإدراكي؛ و أمّا البنية السطحية فهي تعكس البنية الذهنية وتأخذ الشكل الخارجي لهذا الملفوظ .

« Lorsque les interprètes affirmaient ne pas traduire les mots, ils voulaient dire que le sens des discours qu'ils comprenaient et restituaient dépassait de loin les significations lexicales ou grammaticales des phrases »(2) .

"عندما يعلن التراجمة (للنصوص الشفوية) أنهم لا يترجمون الكلمات؛ فإنّهم يقصدون أنّ معاني الخطابات التي يفهمونها ويسترجعونها تتجاوز كثيرا الدلالات المعجمية والنحوية للجمل".

وهذا يبيّن أنّ الوصول إلى تبنّي التأويل واكتشافه تمّ بواسطة إسهامات علمية وبحثية متعدّدة لا ينفكّ دعاة النموذج التأويلي يشيرون إليه. ومن جهة أخرى فإنّ التحليل اللساني لمفهوم "التأويل" وجد من الباحثين من دافع عنه وتبنّاه وخصوصا في

1 -Jean Dubois :Op cit, P254.
2 -Marianne Lederer : La traduction aujourd'hui, Paris, France, Hachette, 1994,P21.

إطار النظرية التوليدية التحويلية. هذه النظرية التي تطورت عنها مجموعة من النظريات اللسانية المعاصرة والتي اختلفت فيما بينها بسبب قضية "التأويل الدلالي".

لم يقتصر الأمر عند اللسانيين فيما يخص ظاهرة "التأويل" بل توجد علوم لغوية متعدّدة درست هذه الظاهرة دراسة مستفيضة؛ ومن هذه العلوم الهامّة "النقد الأدبي"؛ لأنّ اعتبار النقد الأدبي ممارسة علمية للنص الأدبي جعل البحوث المعاصرة تتجه نحو ظاهرة "التأويل"؛ ولكن ضمن مصطلح آخر هو "الهرمينوطيقا".

وقبل عرض هذا المصطلح في إطار النقد الأدبي يُستعرض مصطلح "التأويل" وشروط وروده في إطار العلوم المنضوية تحت مجال العلوم العربية.

ففي إطار الثقافة العربية الإسلامية اشتركت عدة مباحث معرفيّة في استخدام مصطلح "التأويل"؛ مما يبيّن الثروة الدلالية التي يتوفّر عليها هذا المصطلح منذ القدم؛ ولا أدلّ عل ذلك من توارد وجوده في اختصاصات معرفية شتى ومتباينة، منها:

- **علوم القرآن الكريم:** يستخدم في إطار تفسير القرآن الكريم[1].
- **علم العقائد (علم الكلام):** يستخدم التأويل في إطار الجدل والمناظرة[2].
- **علم أصول الفقه:** يستخدم في إطار دلالات الألفاظ على الأحكام الشرعية[3].
- **علم الحديث النبوي:** يستخدم في إطار ما يُسمّى بالجمع بين الأدّلة [4].

أما علوم اللغة العربية فاستخدمت هي بدورها مصطلح "التأويل"، ومن ضمن هذه العلوم يمكن ذكر:

1- **النحو:** وقد استخدم هذا المصطلح في إطار ما يطلق عليه مفهوم التقدير ومفهوم العامل في النحو العربي[5].

2- **النقد الأدبي:** وقد ارتبط مصطلح التأويل بهذا الجانب من المعرفة الإنسانية ارتباطا وثيقا؛ وعلى الأخصّ ما تعلّق بارتباط النقد الأدبي العربي الحديث والمعاصر

1- ينظر ناصر الدين البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط ليبسيج، 1847.
2- ينظر أبو حامد الغزالي: قانون التأويل، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1988.
3- ينظر عبد الله بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، القاهرة، دار التراث، ط2، 1973.
4- ينظر محمد الغزالي: السنة بين أهل الفقه والحديث، لبنان، بيروت، دار الشروق، ط3، 1989.
5- ينظر جلال الدين السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق حسن إسماعيل الشافعي، لبنان، بيروت، دار الجيل، 1991.

بالنظرية الغربية الحديثة فيما يطلق عليه "الهرمنيوطيقا"، وهي المصطلحات المتداولة لدى قطاعات واسعة من المثقفين الغربيين و العرب على حد سواء [1].

ونتيجة لإجراء التأويل على الوحدات المعجمية سواء منها الحقيقية أو المجازية؛ فإنّ ما يهمّ حقيقة هو معرفة ارتباط "التأويل" بالمجاز وأضربه، على اعتبار أنّ ترجمة الوحدات الحقيقية لا تطرح إشكالات دلالية ضخمة؛ في الوقت الذي تطرح فيه ترجمة المجاز وأضربه من الإشكالات ما يجعل كثيرا من النظريات اللسانية وغير اللسانية تدلي بدلوها في هذا المجال.

فإذا كان التأويل والمجاز يمكن لهما الاشتراك في اعتبار كل منهما ينقل لفظا من ألفاظ اللغة من منزلة دلالية معيّنة إلى منزلة دلالية أخرى؛ غير أنّ المجاز يتميّز بأنه نقل من حالة الوضع اللغوي التي تسمى الحقيقة إلى دلالة غير حقيقية، بينما لا يتوافر هذا الشرط في التأويل.

يظهر أنّ "التأويل" و "المجاز" يشتركان فيما يخص النقل الدلالي؛ إذ إنّ كلا منهما ينقل الدلالة من دلالة معيّنة إلى دلالة أخرى. فالمجاز ينقل الدلالة من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة غير الحقيقية، بينما "التأويل" ينصبّ على نقل الدلالات جميعها سواء الحقيقية منها أو المجازية. وبالتالي فهذان المصطلحان "التأويل" و"المجاز" مترابطان في الفكر اللساني العربي.

يمكن ملاحظة شدّة الارتباط بينهما فكأنّهما مترادفان لولا أنّ الاستعمال يباعد بينهما فيجعل "المجاز" يقتصر على علوم البلاغة ويشتهر في إطارها، ولا يتعدّى هذا الدور الذي أسند إليه لاحقا بعد عصور التقعيد البلاغية. فبعد المستوى المُعجز للقرآن في عصر البلاغة في صدر الإسلام ؛ توالت حركية البلاغة العربية ووصلت إلى قمّة الازدهار البلاغي مع "عبد القاهر الجرجاني".

تعرّضت البلاغة بعد عصور ازدهارها للانحراف والجمود بفعل القيود والحدود التي كُبّلت بها علوم البلاغة وخصوصا "علم البيان" الذي يعدّ "المجاز" وأضربه أحد

1- ينظر عمارة ناصر: اللغة و التأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2007 .

أهمّ مباحثه وعلومه. وهو الشئ الذي أنجزه "أبو يعقوب السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم".

"فإذا عرفنا أنّ السكاكي كان متأثرا بثقافته النحوية والمنطقية والكلامية، وعرفنا أنّه صبغ البلاغـــة في كتابه بصبغة هذه العلوم، عرفنا سبب طغيان القوالب والحدود على علوم البلاغة، وعرفنا سبب التعقيد الذي أصابها عنده وعند من قلّده وحذا حذوه"[1]. و مع وجود هذا المنحى فإنّه كان سببا في ظلال الثقافة العربية الإسلامية أن يتسبب في جعل المجاز يرتدّ إلى مرتبة هامشية وثانوية؛ وفي بعض الأحيان منقّرة، وعدم القبول بالمجاز وإقصائه من ساحة الفكر العربي التنظيري.

والسبب الدّاعي إلى ذلك هو أنّ القبول بالمجاز هو قبول بالتأويل؛ وهو ما يفتح –بدوره– المجال أمام حرية فردية تفسّر النص بدون ضوابط وحدود. ومع ذلك فقد راح أوائل اللغويين يستعملون المجاز مرادفا للتأويل؛ ومن العلماء خصوصا علماء الأصول من أنكر وجود المجاز تفاديا للاستناد إلى تأويل الألفاظ التي يمثّل فهمها و تفسيرها إشكالا حقيقيا أمام العقل العربي. "وقد علّل بعض علماء الأصول رفضهم للمجاز بأنّ الحقيقة و المجاز وُجدا معا في زمن واحد" [2].

ونتيجة للأهمّية التي يحظى بها مصطلح "التأويل" فإنّ حصر شروطه وتحديدها يبدو ضروريا وهامّا. فأما شروط التأويل عند القائلين بجوازه فهي:

"1– أن يُصار إليه عند الحاجة الملحّة، وذلك بتوفير القرينة الداعية إليه.

2– أن يوافق "التأويل" القواعد اللغوية والنحوية للغة العربية.

3– ألا يُحمّل النص المؤول أكثر مما يحتمل"[3].

يبدو مما سبق أنّ الفكر العربي منذ العصور الأولى لنشأته انتبه إلى خطورة "التأويل" على نسيج النص وعلى بقاء هذا النص وصموده، وعلى محافظته على أصله وأصالته. وهذا ما يفسر سبب استهداف وضع هذه الشروط و الحدود؛ ليعلم كل فرد أنّ

1- مازن المبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، سوريا،دمشق، دار الفكر ، 1981، ص 111.

2- سمير أحمد معلوف: حيوية اللغة بين الحقيقة و المجاز، سوريا، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996، ص425.

3- عماد الدين الرشيد: الموسوعة العربية، سوريا، دمشق، دار الفكر، 2008، ص332.

ساحة "النص" محميّة بأطر تعمل على تصفية من يتسلل إلى ساحة النص بدون عدّة كافية لمجابهة فرادة النص وتميزه في الزمان والمكان.

فلسفة "التأويل" بين ثقافتين عربية وغربية ليستا متفقتين على الرغم من اشتراكهما في مصطلح موحّد وهو التأويل" **Interprétation**". وفهم هذه الفلسفة التي يعتمد عليها كل من ينضوي تحت لواء أي منهما يظهر الحاجة إلى معرفة أبعاد كل منهما ومعرفة موقع "التأويل" من خارطة الفكر الإنساني عبر عصور الوجود الإنساني الحضاري.

لا يحتمل هذا البحث القيام بمسح شامل لنقاط الاختلاف والتشابه بين الثقافتين؛ لكنّ اللافت للنّظر هو أنّ النّظرية التأويلية للترجمة تعتمد بصورة أساسية على "التأويل" في حين أنّ من شروط التأويل في الثقافة العربية أن لا يُصار إليه إلاّ عند الحاجة المُلحّة مع إعمال باقي الشروط الأخرى. كما لا يمكن رصد أسباب هذا الاختلاف لارتباط ذلك بظروف وملابسات تاريخية هامّة شكلت – ولا تزال – الإطار المرجعي الفكري و الفلسفي لكل من الثقافتين.

"يمكن القول أنّ الفرد يتماهى مع الثقافة التي تربّي في كنفها، وحالات الاستنبات الجذري إذا كان هناك فعلا استنبات فهي حالات قليلة. إنّ لورانس العرب كان يلبس بنفس طريقة العرب، لكنّه عاد في النهاية إلى وطنه"[1].

وبالتالي فاتجاه الفرد نحو تبنّي ثقافة معينة إنّما تفرضه ضرورة المولد والانتماء ويُشكّل ذلك إطارا مرجعيا يُفسّر به الفرد في إطار جماعته كلّ ما يَرد إليه من أفكار ورؤى حول العالم المحيط به.

فشرعية "التأويل" تجد من يدافع عنها ويتعصّب لها على اعتبار أنّ الوقوف عند المعاني الحرفية يُشوّه المقصود. وضمن الصيرورة التاريخية التي عرفها الفكر الغربي وما سجّله من دورات قوة وضعف وصعود وهبوط وخصوصا إبّان القرون الوسطى وهيمنة الفكرة الدينية على مناحي تلك الحياة في تلك الفترة ثمّ ما تبع ذلك من ثورات اقتصادية وصناعية وعلمية مهّدت كلّها السبيل إلى الثورة الفكرية التي أطلقت العنان

1- أمبرتو ايكو: بصدد التفوق الغربي، ترجمة سعيد بنكراد. جريدة Le Monde الأربعاء 10أكتوبر2001.

لكل الأفكار أن تتلاقح وأن تنفي وجود دائرة محظورة لا يصل إليها فكر الإنسان. وأصبح من حق أيّ إنسان أن يؤول النصوص وأن يقتحم عالم النص وأن يدلي بدلوه في كل القضايا التي تطرح على بساط البحث.

"التأويل في أدقّ معانيه هو تحديد المعاني اللغوية في العمل الأدبي من خلال التحليل وإعادة صياغة المفردات والتركيب من خلال التعليق على النص. مثل هذا التأويل يركّز عادة على مقطوعات غامضة أو مجازية يتعذّر فهمها"[1].

ينصبّ عمل التأويل على التراكيب اللغوية التي تتضمّن صورا مجازية في النص الأدبي قد تلقي بظلال الغموض على النص إذا لم يتمّ تذليلها بواسطة التفسير والشرح. وهذا المنهج القائـــم على تفسير ما غمض في النص وتبسيطه وشرحه يطلق عليه في عرف الثقافة الغربية "الهرمينوطيقا" « Hermeneutics ». "وأمّا مصطلح "الهرمينوطيقا" فهو باختصار نظرية التأويل وممارسته، ولذلك لا حدود تؤطر مجال هذا المصطلح سوى البحث عن المعنى والحاجة إلى توضيحه وتفسيره"[2].

يتبيّن أنّ نظرية تأويلية في الترجمة لم تُبنَ من فراغ بل هي وليدة صيرورة فكرية تاريخية في الفكر الغربي أنتجت حرية في التفسير والفهم بعد عصور الكبت والاضطهاد. وأصبحت تقاليد البحث والتحليل تقوم على دراسة النصوص في ارتباطها بعقلها الثقافي والاجتماعي والسياسي.

ولذلك لم يعد النص يتعالى على القراء؛ وإنّما النص منتج ثقافي واجتماعي يسعى الباحث إلى استكناه دلالته من خلال فهمه واستنباط المعنى الكامن فيه؛ وهذا بدوره يفتح المجال أمام نسبية الدلالة وليؤكّد أنّ المعنى الثابت للنص لا وجود له، لأنّ معناه يختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة واللغات والثقافات لارتباط النص بمجمل هذه الاعتبارات:

"إنّ هناك فجوة عظيمة بين معنى النص المكتوب في الماضي ومعنى نفس النص في الحاضر، فنشير إلى أنّ "دلالة" النص تتغيّر تغيّرا كبيرا من قارئ لآخر تبعا

1- ميجان الرويلي، سعد البازعي: م س، ص47.
2- ميجان الرويلي، سعد البازعي: م ن، ص47.

لزمن القارئ وظروفه الشخصية والاجتماعية"[1]. وهذا ما يؤكّد عدم امتلاك الحقيقة المطلقة لدى فرد بعينه ما دام "التأويل" فاعلية إنسانية تسير مع مسيرة الإنسان الوجودية وتمتح من خبرات الإنسان الحياتية و المعيشية زادا معرفيا لمجابهة نص أدبي يمتاز بخصوصيات تركيبة و لسانية وفنية معينة.

« Le critique à la recherché d'un code secret essaie probablement de définir la stratégie produisant des mondes infinis et de comprendre ce texte d'une manière sémantiquement juste ».[2]

"إنّ نقد السعي إلى البحث عن قانون سرّي يحاول احتماليا ضبط الإستراتيجية التي تنتج عوالم لا متناهية و فهم هذا النص بطريقة دلالية صائبة".

وفضل التأويل هو أنّه بإمكان القائم به أن ينصت إلى النص الذي يسعى إلى استشفاف المعنى من بين ركام تراكيبه وألفاظه و أساليبه وأشكاله فيتخيّر من بين الدّلالات الحاقة بالنّص أكثرها إصابة للمعنى واقترابا من روح النص نفسه وليس مجرد الهيكل الخارجي للنّص؛ فلئن كان النّص "أي نص" إنّما يحمل دلالة معيّنة فإنّ قراءته من قِبَل أيّ شخص تنتج دلالات بمقدار ما تتعدّد قراءاته و يتعدّد قرّاءه.

"إنّ قراءة النّص من خلال لغته خير ضمان لسبر معانيه و تأويلاته. إذ ليس أمام القارئ سواها ليقرأ، وهو ليس منجما يستقرئ بواطن البشر وأفكارهم من خلال نصّ قد لا يمتّ بصلة شخصية مباشرة لهم، إنّما ينبش القارئ معاني النص من خلال مادّته الوحيدة، اللغة" [3]

وهذه الإمكانيات التأويلية موجودة لدى كل شخص داخل المجموعة اللسانية الواحدة. غير أنّ هناك قلّة فقط من يتأهّل إلى إصابة الدلالة من خلال التأويل لأنّ التأويل يفتح المجال أمام تكاثر الدلالة وتناسلها بشكل تتضاعف معه الدلالة أضعافا عمّا كانت عليه؛ وبالتالي تضيع النقطة المرجعية التي تشكّل مرتكزا صلبا لنفي أي خلاف.

1- محمد شبل الكومي: المذاهب النقدية الحديثة، مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004، ص32.

2 -Umberto Eco: les limites de l'interprétation, Paris, France, Ed qrasset, 1992, P38.

3- حسن غزالة: مقالات في الترجمة و الأسلوبية، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، تموز يوليو، 2004، ص185.

تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الأفكار إنّما تُعرض لتبيان البنية الذهنية التي تؤطّر نظرية "التأويل" في نسختها الغربية بعد عرض البنية الذهنية المؤطرة "للتأويل" في ظلال الثقافة الغربية. وهنا يظهر الفرق واضحا بين التأويلين؛ فأحدهما يضع شروطا أمام "التأويل" لضبطه ورصد أبعاده و امتداداته وهو "التأويل" العربي. وأمّا الآخر فيطلق العنان لحرية فردية تعكس ثقافة غربية قائمة على حرية تأويلية يراها البعض منفلتة من الحدود والضوابط؛ ويراها آخرون قائمة على "الشك الشامل"، و"اللعب الحر للعلامة"، و"لانهائية الدلالة"، و"غياب المركز المرجعي".

وهذه الأفكار تعيد النظر بالأساس في كثير من المسلّمات التي كانت ترى على أنها مكتسبات نقدية قارة؛ مثل مفاهيم كل من: "النص"، "المؤلف"، "القارئ".

وهذا ما ينعكس على دراسة الترجمة التي هي قراءة تنصبّ على نص أوّل يؤدي بدوره إلى نص ثان يربط بين مؤلّف وقارئ، ويغدو المعنى بينهما مؤجّلا و منتشرا إلى حين.

وهذه المفاهيم تعكس في ظل الثقافة الغربية "غياب المركز الاحالي للنص وعن لانهائية الدلالة في محصّلته النهائية. وهو أيضا لا يبتعد عن القراءات المتعدّدة، حيث تكون كلّ قراءة إساءة قراءة"[1].

وعلى الرغم من أنّ القراءة هي إساءة قراءة إلاّ أنّ واجب الترجمة يجعل الإقبال عليها يفرض على المترجم متابعة البحث في هذه الإمكانية اللسانية مع الاستفادة من إمكانية التأويل فيما يمكن تأويله تمهيدا لترجمته؛ وهو ما يوجب البحث في العلاقة بين "التأويل" و "الترجمة".

1- عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، الكويت، عالم المعرفة، ط1، 1998، ص 389.

- المبحث الثالث: الترجمة والتأويل والنصي:

تطرح إشكالية العلاقة بين التأويل والترجمة بعدا هاما لا يتعلق باللغة وقواعدها وأنظمتها فقط، بل يتعدّى ذلك إلى أبعاد "ميتا لغوية" "Métalinguistique"، تتعلّق بالثقافة والاجتماع والاقتصاد والسياسة.

يعكس إدراج هذه العناصر المقامية والسياقية في محاولة استشفاف دلالات النّصوص عدم قدرة المعرفة اللغوية لوحدها إذا تجرّدت من الاعتبارات الثقافية والحضارية في فهم دلالات النصوص. فهذا ما يتعلّق بالفهم إذا ارتبط بقراءة النص في إطار اللغة الواحدة، فإذا ما تعلّق الأمر بنقل الدلالات إلى لغة أخرى بطريق الترجمة فهنا تتضاعف جهود المترجم نحو إدراك الدلالات المتضمّنة في صلب النّص الأصل وأيضا تضمين الدلالات في النص الهدف. والمقصود بهذه الدلالات المتضمّنة ما تعكسه وحدات اللغة من رموز ثقافية وصور اجتماعية و أحداث تاريخية خاصّة بكل شعب وبكلّ أمّة.

- تأويلية ترجمة العناصر الثقافية:

إنّ ترجمة نص ما إلى لغة أخرى هو نقل للخطاب الكامن ضمن تراكيب اللغة إلى لغة أخرى تكون غالبا مختلفة عن اللغة الأصلية، وما دام أنّ كل أمة تمجّد لغتها وتاريخها وثقافتها وهي لا تسمح بالتالي للآخرين أن يخترقوا هذه الخصوصية أو أن يشوهوها فإنّ اقتراح الإجراءات الكفيلة بالمحافظة على هذه الخصوصية يبدو واجبا قوميا و وجوديا.

« Where a cultural or historical practice is likely to be misunderstood by the intended reader, the translator should reconstruct the context to make it understandable » **(1)**

"حينما يظهر سوء فهم للعنصر الثقافي أو الحضاري لدى القارئ، فإنّه يجب على المترجم أن يعيد بناء السياق ليجعله مفهوما لديه".

---

1 -Marym. F. Massaud: Translate to communicate, USA, David coole, 1988, P22.

وسوء الفهم للعنصر الثقافي أو الحضاري يتأتّى من غياب الثقافة الإدراكية والمعرفية التي تؤهّل المترجم للفهم السليم للمجازات الواردة في النّص. كما أنّ تأويلها بعد فهمها وإدراكها يطرح إشكالية الترجمة من جوانب متعددة ومختلفة.

فمن المجازات الشائعة في ظل الثقافة الفرنسية التعبير عن "الحب" وعن العشق وعن الانجذاب نحو الآخر بتعبيرات مختلفة تعكس ثراء المنظومة اللسانية الفرنسية، فمن ضمن التعبيرات المستعملة و الشائعة التعبيـــر التالـــي:

" Le coup de foudre:"

« Le coup de foudre est une expression francophone qui désigne le fait de tomber subitement en admiration amoureuse pour une personne ou pour une chose »[(1)] .

"صعقة الحب هي عبارة فرنسية تشير إلى الوقوع فجأة في إعجاب وحب لشخص ما أو لشئ ما".

فالشيء اللاّفت في هذه الصورة المجازية هو خصوصيّتها الشديدة في إطار الثقافة الفرنسية؛ فبينما تُمثّل رؤية الصعقة الناتجة عن "البرق" ظاهرة طبيعية تحدث في كل الأزمان والأمكنة ولدى كل الأقوام والشعوب بدون أيّ ربط لذلك بالمشاعر والأحاسيس وعلى الأخص منها الحب والعشق؛ فإنّ الفرنسيين رأوا في ذلك ربطا بين هذه الصورة الإدراكية الطبيعية التي تدلّ على سرعة الوقوع في الزمان نتيجة السرعة الفائقة التي يحدث بها البرق، وبين سرعة الوقوع في الحب. وهو ما يُفسّر عملية الانتقال الدلالي حينما يعجب شخص بآخر لأول وهلة وبدون سابق معرفة أو لقاء؛ فيحدث هذا الانجذاب بينهما.

وبالتالي فما يُشكّل فرادة هذه الصورة المجازية وتميّزها ليس تعبيرها عن الحب أو الانجذاب و لكن يظهر تميّزها في تعبيرها عن سرعة الوقوع في مدّة زمنية لا يمكن احتسابها. فالجامع الدّلالي الذي بموجبه احتيج أصلا إلى هذا الانتقال الدلالي بينهما هو: "سرعة الوقوع من حيث المدة الزمنية في كل منهما".

---

1 -Wikipédia : Fr. wikipédia .org. /wiki/ coup de foudre

فالمترجم الذي يصادف مثل هذا النوع من الصور المجازية ليس له من سبيل لإنجاح ترجمته إلاّ سبيل "الفهم" وحده؛ وبدونه يرى النّص أمامه سلسلة من التراكيب اللغوية المتراصة والمتراصفة تَصحّ نحويا وصرفيا ومعجميا وصوتيا؛ ولكنّها تفتقر إلى ما يمثلها ويحققها تداوليا وتخاطبيا وهو "الدلالة".

وهو ما أضحت دراسات الترجمة تؤكّده وتثبت دوره الأكيد في فهم متكامل لكلّ الأطراف المتشابكة التي تسهم في عملية "الفهم" للتراكيب اللسانية تمهيدا لإمداد المترجم بالعدّة التأويلية التي بها يستطيع الوصول إلى درجة من الإصابة في ترجمته.

« The new thinking drew inspiration from such disciplines as communication theory, comparative littérature and litterary theories, anthrology, history and, most recently, gender studies and cultural studies. The new emphasis is on context rather than text »[1].

"التفكير الجديد (في الترجمة) يستلهم من اختصاصات مماثلة كنظرية الاتصال والأدب المقارن والنظريات الأدبية والانثروبولوجيا والتاريخ، ومؤخرا الدراسات البين–جنسية، والدراسات الثقافية. فالتركيز الجديد هو على السياق بديلا عن النص".

يثبت انفتاح دراسات الترجمة على مجمل هذه الاختصاصات محدودية الاقتصار على دراسة للترجمة تتجه لوحدها نحو تبنّي عنصر واحد من عناصر الدراسة الترجمية و الاستغناء عن سائر العناصر المشكّلة لظاهرة الترجمة .

وهذا الانفتاح هو نفسه أثر من آثار الانفتاح اللساني على دراسات إنسانية كانت مُغيّبة في وقت من الأوقات. وهذا ما ينطبق على العنصر "الدّلالي" الذي أُقصي من رحاب الدراسة اللسانية؛ وأعيد له الاعتبار في رحاب "النظرية اللسانية التوليدية" التحويلية. وهذا يؤكّد "أنّ هذا التركيب الذي يُكمّل البناء النظري لدى تشومسكي، يضع جملة من القضايا، فمن جهاز توليدي تركيبي بسيط انتقل النحو التوليدي التحويلي إلى نظرية شاملة للكلام من الدلالة إلى الصوت"[2].

1-Eva Hung : Translation and cultural change, Holland, Benjamins Translation Library, 1984, P08.
2- كاترين فوك- بيار لي قوفيك:م س، ص101.

وبعد ذلك تمّ تطعيم الدراسة اللسانية بالاختصاصات المتعدّدة التي تسهم في فهم اللغة من جميع جوانبها اللسانية والتداولية والتخاطبية المتعدّدة.

ولقد استفادت دراسات الترجمة من مجمل هذه الأفكار كلّها؛ غير أنّ الاستفادة الحقيقية هي في تطعيم نظرية الترجمة بالاتجاه "التأويلي"، الذي كان اتجاها حاضرا في اختصاصات بحثية متعددة؛ في الوقت الذي لم يكن للسانيات ولا لنظرية الترجمة شأن به. فإذا كانت عملية إدراج "الدّلالة" في اللسانيات تمثّل إنجازا مُهمّا فإنّ اعتماد العنصر "التأويلي" في اللسانيات تمهيدا لاستثمار اللسانيات التطبيقية له في دراسات الترجمة يُمثّل بدوره إنجازا من أكثر الانجازات خصوبة وثراء وإفادة للترجمة وللسانيات كلتيهما.

وقد مثّل ذلك نقطة الانفصال بين قطبي الدراسة اللسانية المعاصرة؛ أي بين كلّ من "تشومسكي"؛ رائد الدراسة "اللسانية التوليدية التحويلية"، وبين "جورج لاكوف"؛ رائد الدراسة "اللسانية الإدراكية". وكان من نتيجة هذا الانفصال أنّ أشغال كلّ منهما "أدّت شيئا فشيئا إلى تشكيل جديد للمنوال حسب وجهتين الأولى في *الدلاليات التوليدية* وممثّلها الرّئيسي تلميذ منشق عن تشومسكي هو ج. لاكوف، والثانية يدافع عنها تشومسكي ذاته تسمى *الدلاليات التأويلية* أو النظرية النموذجية الشاملة"[1].

وبالتالي فاعتماد العنصر التأويلي في الدراسة اللسانية خضع هو الآخر لسلسلة من الاجتهادات الفكرية حاولت تذليل العوائق المتعلّقة به؛ و المتمثّلة أساسا في طابعه الذاتي غير المنضبط والذي يسمح بتأويلية للنّصوص تتعدى حدود القول والخطاب وتنتهك الدّلالة الضمنية انتهاكا يجعل الوصول إلى المعنى وإدراكه مؤجّلا إلى حين.

والتأكيد على أهمّية عنصر التأويل يدين في وجوده وتطوّره إلى الدراسة الساعية إلى إقحام ثمرات الدرس اللساني الإدراكي في تطعيم الدراسة اللسانية للترجمة؛ والمقصود بها على وجه الأخص مباحث "الدلالة الإدراكية" " Sémantique cognitive".

1- كاترين فوك- بيار لي قوفيك: م ن، ص 108.

وبالتالي فالتعبير السابق سرده "Coup de foudre" هو "تعبير مفهوم" في ظلّ الثقافة الإدراكية الأصلية وهي هنا "الفرنسية"؛ غير أنّ نقل هذه الصورة المجازية إلى اللغة العربية لا يكون مفهوما إذا تمّ نقله نقلا حرفيا أي "ضربة برق"؛ لأنّه في هذه الحالة يعكس صورة إدراكية واقعية دون أن يكون لها أي ربط بصورها الدلالية التي يمكن للناس أن يستثمروها لإسقاطها على حالات دلالية يكون بينها وبين صورتها الأصلية ارتباط دلالي من جهة أو أخرى.

وهنا يجد المترجم نفسه بين اتجاهين أحدهما يجعله يسلك مسلكا أمينا في المحافظة على التعبير في اللغة الأصل فينقله نقلا حرفيا؛ وهو بعمله هذا يحرم القارئ في اللغة الهدف من صورة مجازية تعكس عبقرية الثقافة القومية التي أنتجت هذه الصورة المجازية. والاتجاه الآخر يتعامل بصورة فنيّة مع الصورة المجازيّة الواردة في الملفوظ اللساني، ومع ذلك فإنّه يحرم القارئ من معرفة وشائج الاتصال بين صورة مجازية وتعبير لساني انتقل من دلالة معيّنة إلى دلالة أخرى يكون بينها وبين ما انتقلت إليه دلاليا اتصال وقرابة.

وهكذا لا يمكن للمترجم إلاّ أن يعمل على الاستفادة من إمكانيات اللغتين معا الأصل و الهدف. فإذا كانت الترجمة الحرفية للملفوظ اللساني لا يمكنها أن تخدم اتجاه "الدّلالة"؛ فإنّ الاتجاه نحو تأويل الصورة المجازية بعد فهمها وإدراكها هو الكفيل بتبنّي إجراء علمي يخلق انسجاما بين الأنظمة اللسانية والعناصر الثقافية بين اللغتين. وما ذلك إلاّ لأنّ خصوصية الصور المجازية وشدّة ارتباطها بحقلها الثقافي توجب حذرا ووعيا فائقا حفاظا على جمالياتها وفنيتها. "لا يمكن فهم المجازات إلاّ بربطها بالشروط الجينية وبأثرها المحاكاتي وبوظائفها الهرمنيوطقية"[1].

وبهذا الإجراء يتحقق فهم المجازات ودورها في صلب اللغة فهما يتيح تسليط الضوء عليها وعلى آلياتها المنتجة لها؛ وذلك من منطلق أنّه لا تخلو لغة من اللّغات من المجازات قليلا أو كثيرا. وهي مع وجودها وتكاثرها في النص الأدبي – خصوصا – تجعــل المترجم يقــرأ هذه المجازات مثلما يقرأ أيّ فرد نفس النّص في نفس اللغة

1- فرانسوا راستيي: م س، ص 203.

التي ينتمي إليها؛ فهو في المرحلة الأولى – أي المترجم – قارئ مثله مثل أيّ قارئ آخر للنص.

وهو بهذا الاعتبار يخضع لنفس شروط القراءة و المقروئية التي تطبّق على القارئ العادي في لغة النّص الأصل. وبواسطة هذه الممارسة التفاعلية مع النّص فإنّ المترجم يتحرك في هذا الإطار ويكون تفاعله مع النّص بوحي من الحمولة المعرفية التي ترّسخت لديه عبر الاحتكاك المباشر مع الثقافة الأصلية ويكون أيضا استقباله لهذا النّص وتلقيه له. وبمقدار وعي المترجم بآليات القراءة التي تنتظم قراءة النصوص بصفة إجمالية يكون إدراكه للكيفية التي تنتظم سير عملية القراءة للنص الأدبي.

والمقصود بهذه الأفكار مجمل التصورات النّقدية الهامّة التي سعت إلى الكشف عن أقطاب عملية القراءة؛ والتي باجتماعها تعمل على تحقيق "جمالية القراءة" بمراعاة أفق التوقعات لدى القرّاء المقبلين على قراءة الآثار الأدبية.

"إنّ أفق التوقع الأصيل هذا يتكون من ثلاثة عوامل رئيسية:

1– التجربة القبلية التي يملكها الجمهور عن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص الأدبي.

2 – شكل الأعمال السابقة وموضوعاتيتها. والتي يفترض العمل الجديد معرفتها؛ أي ما يسمّيه الآخرون القدرة التناصية.

3 – المقابلة بين اللغة الشعرية واللغة العملية، وبين العالم التخيّلي والواقعية اليومية"[1].

يبدو من خلال عرض هذه الشروط الأساسية لمباشرة عملية القراءة قيمة معرفة هذه العوامل الرئيسية المحدّدة لأفق التوقع لدى القارئ ثمّ استثمار ذلك كلّه في فهم عملية الترجمة التي هي بدورها تنطلق من عملية القراءة لتتجاوز ذلك إلى عملية الإبداع النّصي بواسطة كتابة نص جديد في اللغة الهدف.

وبالتالي فموقع عملية القراءة من عملية الترجمة موقع أساسي ويكتسي صفة مبدئية جوهرية، والعوامل السابق ذكرها ممّا يؤكد هذا المسعى. إذ لا يمكن تصور نجاح عملية الترجمة الأدبية القائمة على تأويلية هذا النوع من النّصوص بدون إدراك

1- فيرناند هالين- فرانك شويرفيجن- ميشيل اوتان: بحوث في القراءة و التلقي، تر: محمد خير البقاعي، سوريا، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1998، ص 35.

خصوصية النّص الأدبي القائمة أصلا على فهم الأجناس الأدبية وأغراضها و موضوعاتها، وبدون إدراك الفروقات الدلالية القائمة بين اللغة المجازية التمثيلية التصويرية وبين اللغة الحرفية الإشارية التعيينية.

وهذا ما يفرض على المترجم معرفة خصوصيات النص الأدبي الذي سوف يترجمه من حيث تحديد جنسه الأدبي وموضوعه وغرضه ثمّ أثناء مطالعته يستكشف ويصنّف الصور المجازية التي يحفل بها هذا النص الأدبي تمهيدا لتأويلها وترجمتها وإخراجها إلى حيــز الوجود والتحقّق بعد معاينة ما يحيط بالنص ويحفّ به من دلالات تتحكّم في فهم النّص وإدراكه.

وهذه المرحلة الأولية تتبعها مرحلة الإبداع النصي بواسطة نقل المعنى إلى اللغة الهدف، فحيثما تمكّن المترجم من فهم دلالات النص الأصلية فإنّه يقوم بإفهام الآخرين ما فهمه في النص الأدبي من خلال قراءته للنص الأصلي. "لا يكفي للترجمة أن أفهَم، بل ينبغي كذلك أن أُفهم. تنقسم عملية الترجمة على التحديد إلى قسمين، فهم المعنى والتعبير عنه. يعبّر المترجم في هذه المرحلة الثانية، ويتكلّم كما فعل المؤلّف من قبله وككّل الذين يعبّرون بلغتهم"[1]. وهذا ما يبيّن تقاطع دور المترجم للنّص الأدبي في كونه قارئا مع دوره ككاتب ومبدع في نفس الوقت لنص الترجمة.

يجب بعد عرض شروط القراءة أن يُشفع ذلك بالحديث أيضا عن شروط الإبداع الأدبي وتحققها لدى المترجم. والمقصود بهذه الشروط مجمل الإجراءات اللسانية التي اكتسبها المترجم عبر مسار تكوينه في مجال القراءة و الكتابة. إذ من المعروف أنّ آليات الكتابة مرتبطة بالإنتاج النصي الذي يطلق عليه "رولان بارت" " Roland Barthes" تخلّق النص، وذلك في إطار رصد "التناصية" "Intertextualite" الحاضرة في صلب النصوص الأدبية والتي تكون بمثابة المحفّز لإنتاجية النصوص وتخلقها.

"أمّا تخلّق النّص فإنّه يطرح العمليات المنطقية الخاصة ببنية فاعل اللفظ"[2].

وبإسقاط هذه الأفكار على المترجم يُلاحظ أنّه – أي المترجم– كاتب تنطبق عليه

1- ماريان لوديرير – دانيكا سيلسكوفيتش: م س، ص53.

2- محمد خير البقاعي: دراسات في النص و التناصية، سوريا، حلب، مركز الإنماء الحضاري للنشر و التوزيع، ط1، 1998، ص 37.

شروط الكتابة والتناصية. فهو وإن لم يكن كاتبا أصليّا إلاّ أنّه في مرحلة الإبداع النّصي لا يعدو أن يكون كاتبا ينتج نصا بمقدار ما قرأ ووعى من نصوص سابقة على القراءة والإنتاج معا تشكّل زادا معرفيا يستند إليه في إنتاج نص الترجمة.

وهذا ما يفسّر كيف تختلف الترجمات اختلافات بيّنة وواضحة باختلاف المترجمين الذين يدافع كلّ واحد منهم عن أحقيّة ترجمته واقترابها من النص الأصلي.

فبينما تُقرّ النظرية النقدية المعاصرة على نسبية الدلالة "الأدبية" – مثلما سبق بيانه– فإنّ نظرية الترجمة نفسها حينما تنفتح على هذه الإسهامات المعرفية الإنسانية تستطيع أن ترى في النص المترجم انعكاسا لذات الكاتب الأصلي من جهة؛ وانعكاسا لذات المترجم نفسه من جهة أخرى. هذه الذات التي تكوّنت عبر عمليات قراءة وفهم للموروثات الأدبية سعيا إلى امتلاك المهارة التي يستثمرها في إنتاج نص الترجمة.

يمكن ملاحظة أنّ ترجمات المترجمين أنفسهم تختلف زمانيا ومكانيا؛ والسبب وراء ذلك هو استقبال المترجم من محيطه من المعلومات و المعطيات التي تفرض عليه "فهما" جديدا يستجيب لحجم المعطيات الواردة إلى ذهن المترجم. فالمترجم الذي أقدم على ترجمة أدبية تصيب أو تخيب لو قُدّر له أن يُقدّم له نفس النص الأدبي لترجمته لاحقا بعد مدة لظهر اختلاف واضح في الترجمتين.

وهذا ما يؤكّد نسبية الدلالة الأدبية وخضوعها لسنن وأعراف متباينة عن تلك التي تشيع في بقية أنواع النص الأخرى. وهذا لا ينطبق إلاّ على النص الأدبي؛ وذلك في الوقت الذي يُلاحظ أنّ دلالة أنواع النصوص الأخرى لا تستجيب لنفس هذا المنطق؛ بل يجب – في هذه الحالة – الملاحظة ما أمكن إلى ذلك سبيلا الإبقاء على ثبات الدلالة النصية في إطار النّوع الذي ينتمي إليه هذا النص.

فلو أُخذ مثال عن النّص القانوني التالي الذي يستعمل فيه دلالة لفظة "الغبن" التي تدلّ أدبيا على: الإجحاف و الظلم والضرر؛ فسوف يلمس القارئ حجم التباين بين الاستعمالات المختلفة لدلالات هذه اللفظة.

"**المادة 358:** إذا بيع عقار بغبن يزيد عن الخمس فللبائع الحق في طلب تكملة الثمن إلى أربعة أخماس ثمن المثل. ويجب لتقدير ما إذا كان الغبن يزيد عن الخمس أن يُقوّم العقار بحسب وقت البيع"[1] .

« art 358 : lorsqu'un immeuble a été vendu avec lésion de plus d'un cinquième, le vendeur a une action en supplément de prix pour obliger l'acheteur a parfaire les quatre-cinquièmes du prix normale. Pour savoir s'il y'a lésion de plus d'un cinquième, il faut estimer l'immeuble suivant sa valeur au moment de la vente »[2] .

يُلاحظ أنّ لفظة "غبن" "lésion" في هذا النّص القانوني تدلّ دلالة مقصودة لذاتها لا تتعدّاها تتعلّق ببيع العقارات بأثمان تزيد عن الخمس. وبالتالي فلا يمكن إخضاعها لأيّ تأويل يبعدها عن هذه الدلالة القانونية المقصودة؛ ما دامت ترتبط بالإطار القانوني الذي يحدد هذا الاستعمال في رحابها.

وهذا في الوقت الذي يمكن فيه لهذه اللفظة أن تتباين دلالاتها بشكل يجعل من الدلالة المتداولة للفظة "غبن" تتماهى إلى حد التلاشي في دلالات أخرى في رحاب النص الأدبي. وذلك حينما تدرج في ظلال نص أدبي يستعملها لأغراض تواصلية وفنية وجمالية؛ مثل قول الشاعر في هذا البيت التالي:

ولم أر مثل الفتيـــان في غبـــــن الأيام ينســـون ما عواقبـــها[3]

يتضح أنّ دلالة الوحدة المعجمية "غبن" تختلف استعمالاتها تبعا لنوع النص الذي تدرج في إطاره. ويمكن لأيّ قارئ أن يلمس عدم قابلية لفظة "الغبن" للتأويل الدلالي في ظل النص القانوني الذي حدّد دلالتها في إطارها القانوني.

بينما لفظة "غبن" في ظلال نص دلالي تكتسب دلالة تخرجها من مجال التحديد إلي مجال "التأويل"؛ أي يفتح المجال أمام القارئ ليمارس دوره في إعطاء الدلالة لهذه اللفظة تبعا لأفقه الدلالي وتبعا لوقعها لديه.

1- القانون المدني الجزائري: الجزائر، الديوان الوطني للأشغال التربوية ، 1991، ص 63.

2 -Code civil algérien : Algérie, Office national des travaux éducatifs, 1991, P 63 bis.

3- عدي بن زيد العبادي: الديوان، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد، شركة دار الجمهورية للنشر و الطبع، ط1، 1965، ص45.

مثلا لو أخذ هذا المثل الشائع في اللغة الإنجليزية:

"The last of the big spenders"

والذي يترجم حرفيا إلى: " إنّه آخر المنفقين العظام" حيث يُلاحظ أنّ هذا التركيب اللغوي يقال في مواقف التهكم والسخرية عن رجل يتسم بصفة البخل والشح.

Spender: [nm – depensier (gaspilleur) – مسرف– مبذر

Spender: [n mf – avare– منفق

– شحيح بخيل .

وأمّا استعمالها في التركيب النحوي فيقال: Compound forms / formes composées

Be a spender: dépenser sans compter.

The last of the big spenders.

تُترجم إلى الفرنسية بالشكل التالي:

Le dernier des grands dépensiers.

ولكن مع هذا التجاور الذي يبدو أنّه بسيط ومألوف بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية إلاّ أنّ إيراد هذا التركيب في المواقف الاجتماعية المختلفة يجعل التركيب اللغوي يعكس دلالة تداولية متعارف عليها في ظل الثقافة الأصلية وهي الثقافة الإنجليزية وجنيستها الثقافة الأمريكية.

«Last of the big - time spenders: this play fully ironic C.P is applicable either to one self, and it has nourished in U.K since 1945.In the u.k and the common wealth, also of the big spenders, and in U.S and Canada great spenders»[1].

"آخر المنفقين العظام: هذه العبارة المتداولة الساخرة تنطبق على شخص، وقد انتشرت في المملكة المتحدة منذ 1945. وفيها وفي رابطة الكومنولث المنفقون العظام، وأمّا في كندا المنفقون الكبار".

1 -Eric Partridge: A dictionary of catch phrases, USA, Ed Paul Beale, 1986, P281.

يعكس هذا التركيب اللّغوي صورة ساخرة عن رجل بخيل يرى نفسه قد أنفق الكثير وتجاوز حدّ الاعتدال إلى الإسراف، وربّما يكون ما بذله شيئا هيّنا يسيرا؛ فلذلك يُساق هذا القول للتهكم والسخرية. يا ترى كيف يمكن نقل هذا التركيب للغة العربية؟

فاللغة العربية تشتهر باستعمال "أفعل" التفضيل للدلالة على مثل هذه المواقف فيقال: "أهدى من قطاة وأكرم من حاتم"؛ ويقال أيضا: "أوفى من السموأل"؛ و"أخلف من عرقوب"؛ و"أبطأ من فند"؛ و"أبخل من مادر". ففي مثل هذه المواقف الاجتماعية المختلفة يُلاحظ تواردها لدى طائفة المخاطبين في إطار الثقافة العربية.

أمّا المثل الذي يرصد صفة البخل فمضربه الدلالة على رجل يتسم بصفتي البخل والشح؛ وهما صفتان وإن كانتا إنسانيتين لا يخلو منهما مجتمع من المجتمعات؛ إلاّ أن تكييف هذه الصفة هي ما يميّز هذا المجتمع عن ذاك ويجعل المترجم لا يقصد النقل الحرفي للصورة المجازية؛ وإنّما يعمل على تكييفها وتطويعها أثناء الترجمة، فيفهم عن اللغة الأصلية صورتها المجازية ويسوق هذه الصورة المجازية في لغة الهدف بما يعرفونه وما يألفونه والمترجم إذا لم يفعل ذلك فإنّ القارئ للنص المترجم يجد نفسه مجبرا على السعي وراء الصورة المجازية الأصلية والتي سيقت له في إطارها الحرفي. ومجرد هذا الاستيقاف يحرم القارئ من مواصلة قراءة الأثر الأدبي أو يحرمه من الفهم الصحيح إن كان بصدد مطالعة ذلك في أي وسائط نقل ممكنة.

وآلية الفهم والتفسير هي عملية تأويلية في الترجمة تستند في شرعية وجودها إلى الغموض الذي يلّف النصوص المترجمة حينما تقصي الجانب الثقافي من الترجمة وتعتمد على اللّغة لوحدها في نقل هذه التراكيب اللغوية، وبهذا المسعى فإنّ نظرية الترجمة المعاصرة بانفتاحها على هذه التيارات اللسانية المعاصرة تجد في نظرية التأويل مستندا لإثبات مرونة نظرية الترجمة واستقبالها لهذه الإسهامات البحثية التي لا تتناقض مع عمل الترجمة أصلا؛ وإنّما تعمل على إثرائه وإمداده بما يدفع البحث الترجمي نحو آفاق أرحب وأشمل.

إنّ إدراج "التأويل" في نظرية الترجمة المعاصرة يعرف إقبالا من الباحثين لضبط آلياته ودراسة أسسه وميادينه حتى لا يكون مدعاة لنزعة ذاتية مفرطة تحرّفه

عن مقاصده؛ "لا تحمل كلمة "تأويل" أية دلالة تحقيرية، فالتأويل ذاتي، شأنه شأنّ كل فعل بشري، غير أنّه موسوم بتحيّزات"[1].

هذه التحيّزات الذاتية التي تنطبق على كلّ من يقدم على الترجمة تجد تبريرا لها في إنسانية النشاط الترجمي ذاته. فالقائم بعمل الترجمة بشر تجري عليه سنن البشرية؛ لكن في رحاب العمل الأكاديمي يطلب من المترجم أن يتحلى بالموضوعية التي تؤهل عمله للقبول والاستحسان ببذل الجهد في إدراك الواقع اللغوي على ما هو عليه؛ وهذه الخصوصية من ذاتية وموضوعية تظهر بوضوح في عمل الترجمة كنشاط إنساني ضروري وهام:

«Every individual and unique act of translation is preceded by an individual and unique act of reception and interpretation. But at the same time both stages of the process are restricted by convention – linguistic, social historical. Thus the subjective combines with the objective to give a unique product»[2] .

"كلّ فعل للترجمة فردي ووحيد يسبق بفعل تلق و تأويل فردي ووحيد. غير أنّه وفي نفس الوقت كلاّ من المرحلتين تتحدّدان بمواضعات لسانية و اجتماعية وتاريخية. وبذلك يتشابك ما هو موضوعي و ما هو ذاتي لإعطاء منتوج واحد".

غير أنّ صفة الذاتية في عملية التأويل تكون إيجابية ولكن عند المترجم الواعي والقادر على الفهم والاستنباط والذي يكون بحكم تكوينه وتدريبه ألف ثقافة النص المترجم وتمكّن من ثقافته؛ وبالتالي استطاع أن يجمع بين هذين القطبين المتجاذبين.

"فإنتاج نص وفهمه نشاطان ذاتيان إذ يساهم كلّ من يكتب وكلّ من يقرأ في هذا العمل برؤيته الخاصة للعالم والإحساس به وبتجربته المعاشة بتحديد خاص، وبجمع أفكار شخصية إلى غير ذلك" [3].

لكنّ هذه الذاتية في عملية "التأويل" تستند هي الأخرى إلى ثقافة المترجم ومعرفته حول النّص المترجم بكل ملابساته وأبعاده ومقاماته وأحواله؛ وبالتالي فهذه

1- مريان لو ديرار: م س، تر فايزة القاسم، ص107.

2 -Elzbieta Tabakowska: Op cit, p73.

3- مريان لوديرار: م ن، تر فايزة القاسم، ص107.

الذاتية منضبطة بالثقافة التي يكوّنها المترجم عن النّص الذي يريد ترجمته فليس كلّ مترجم قادر على الترجمة وعلى الوصول بها إلى درجة من الجودة والإتقان.

فإذا كان النّص يحتوي على لغة وعلى أحداث وعلى دلالة متضمّنة في النص ففي هذه الحالة تجتمع ثلاث خبرات هي: "خبرة لغوية" و"خبرة تاريخية" و"خبرة نصية"؛ وهذه الأبعاد الثلاثة تجتمع في ذهن المترجم وهو بصدد محاولة فكّ شفرة النّص المترجم وهي التي تحدّد اتجاه فهمه للنص.

"في الترجمة نتموضع في المستوى الثالث وهو مستوى الكفاءة النصية إذ يكسب المترجم المهارة الكلامية شأن كل إنسان، وبفضلها يتحصّل على كفاءة في لغته الأمّ ولغة أخرى وبالأحرى في عدة لغات أخرى إنّه يترجم وهو يستعمل كفاءته النصية" [1].

ومادام أنّ النموذج "التأويلي" في الترجمة يعترف بالكفاءة النّصية فهو يؤكد أنّ نظرية الترجمة المعاصرة أصبحت تساير التطور في ميدان اللسانيات الذي يشهد اتجاه البحوث نحو لسانيات النص والتي أرست دعائم الكفاءة النصية والمعايير النصية وغيرها من المفاهيم الجديدة التي لا تقتصر على اللّغة لوحدها وإنّما تدرج عناصر فعّالة في الخطاب تجتمع كلّها لتحقيق فعل التخاطب وتيسير سبل التواصل بين بني الإنسان.

- **الكفاءة النصية في عملية الترجمة التأويلية:**

نظرا لما قدّمته لسانيات النص من تناول علمي جديد للغة الإنسانية بمختلف استعمالاتها، فقد غدت مفاهيمها تغزو ميادين إنسانية بحثية متعدّدة ومن هذه الميادين الترجمة.

ولقد أدلى زعماء النصية بدورهم في مثل هذه القضايا المتجدّدة ومن هؤلاء "روبرت دى بوجراند" الذي يعتبر من رواد النّصية في الغرب وفي العالم.

1- مريان لوديرار: م ن، ص109.

يؤكد "بوجراند" على دور لسانيات النص في تقديم إسهام لدراسات الترجمة وعلى الأخصّ نظرية النّص نفسه التي تتبني على مجموعة من المعايير النصية التي تؤطّر أيّ نص مهما كان.

ومن ضمن أهمّ المعايير النصية معيار "التناص" Intertextualité الذي يجعل من أمر الترجمة قابلا للتحقق بسبب تشابك الأنظمة بين اللغات المختلفة. " يمكن بدلا من الجدل حول الترجمة الحرّة في مقابل الترجمة الحرفية أن نجد تقابلا حقيقيا بين ترجمة مبنية على فهم مستقبل النص وترجمة مبنية على فهم المترجم"[1].

إذن تلتقي الممارسة النصية للّغة مع النموذج التأويلي للترجمة في نقطة مشتركة بينهما وهو الفهم. هذه العملية الذهنية التي تدفع بالمعنى إلى البروز والتحقّق في كلّ من النّص المعدّ للتخاطب والنّص المعدّ للترجمة وبدونه تفشل عملية التواصل الإنساني.

«La compétence est donc le résultat d'une abstraction et d'une idéalisation des données linguistiques directement accessible à l'observation. Il s'agit des actes de parole individuels, des textes, discours, etc».[2]

"الكفاءة هي نتاج تجريد و تمثيل المعطيات اللسانية التي يمكن ملاحظتها بطريقة مباشرة، ويتعلق الأمر بأقوال فردية ونصوص وخطابات الخ ...".

تتمثّل الكفاءة في مفهومها اللساني في قدرة أيّ فرد على إنشاء اللغة و على فهمها أثناء التخاطب بواسطة الكلام أو النّصوص أو الخطابات أو غيرها؛ وهي العناصر التي تظهر في الكفاءة اللسانية وتكون حاملة بدورها لمجموعة من العناصر الأخرى المرتبطة بها والتي تتحكم في فاعلية القول اللساني.

تتحقق فاعلية القول اللساني بمراعاة العناصر التي لا يمكن إغفالها ولا تغيـــيبها، وتتمثّل هذه العناصر في الموقف اللساني وفي استعدادات الأفراد النفسية وأحوالهم التخاطبية؛ فهذه العناصر في ظلّ اللسانيات النصية أضحت تتآزر كلّها لتؤسّس لما أصبـــح يعرف بالكفاءة النصية.

1- روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، مصر، القاهرة، عالم الكتب، ط2، 2007، ص577.

2-Jean Dubois : Op cit, P101.

"إنّ مفهوم المقدرة النصية Textual compétence قد تدعو الحاجة إليه ليضمن المجموعة التالية من المعرفة Knowledge والإجراءات Procédures : معرفة رصيد البدائل Options في النّظم الافتراضية، ومعرفة قيود Constraints النّظم الخاصة بانتقاء البدائل أو تلافيها، ومعرفة المعتقدات والمعلومات knowledge beliefs والإرهاصات expectations الشائعة في المجموعة الاتصالية أو المجتمع عن العالم الحقيقي Real world"[1].

إنّ هذه الشروط التي تكوّن المقدرة النّصية لدى النّاص [الكاتب أو المترجم] هي شروط أساسية تدخل في صلب الثقافة الإدراكية لدى كلّ من يتصدّى للتعامل مع النصوص مهما كان نوعها؛ ويُضاف إليها عند زعماء النصية شروط لا تقلّ أهمّيّة عن هذه الشروط – سالفة الذكر– تتعلّق بالنصوص بمختلف أشكالها و أنماطها؛ ويمكن ذكر من بينها:

"معرفة أنواع النّصوص texte types، وإجراءات استخدام النّظم الافتراضية، وإجراءات إنتاج النصوص، وإجراءات استقبال النصوص، وإجراءات المحافظة على النصية، وإجراءات تنظيم إعلامية، وإجراءات استكمال معايير التصميم، وإجراءات إعادة استعمال المعلومات التي اشتمل عليها النص، وإجراءات المراقبة، و التعرف في المواقف باستعمال النصوص، وإجراءات بناء الخطط ..." [2]

إنّ هذه الشروط على اختلافها وتنوّعها تظهر أهمّيّتها حينما يقدم أيّ إنسان على مجابهة نص بعينه فتظهر صعوبة تطويع هذا النص لخدمة أهداف القارئ باستجلاء الدلالة الكامنة ومحاولة فهمها وإدراكها. غير أنّ اللافت في النظر في هذه الشروط هي شدة ارتباطها بعلم الترجمة أساسا؛ ولو أنّ لسانيات النّص إنّما تطور هذا العلم ليحاول استكشاف أغوار القول اللساني بصفة عامة.

والقول اللساني يخضع لشروط إنتاج وإرسال واستقبال؛ وعلى هذا الأساس انقسمت اللسانيات العامّة إلى علوم الصوتيات والصرف والمعجمية والنحو؛ ثمّ ظهرت اللسانيات النّصية لتدرج المستوى التداولي.

1- روبرت دى بوجراند: م س، ص110.
2- روبرت دى بوجراند: م ن، ص111.

فإذا كان الدارس اللساني إنّما يتجه في بحثه تبعا لتخصصه اللساني إذا كان صوتيا أو صرفيا أو دلاليا أو نحويا. إلاّ أنّ المترجم يتوجب عليه أن يهتم بهذه المستويات اللسانية كلّها. وعلى هذا الأساس فإنّ مفاهيم لسانيات النّص بواسطة التقاليد البحثية التي أرستها تكون أقدر من غيرها في إمداد المترجم بمرجعية علمية أساسية لتأكيد شرعية انفتاح عمله الترجمي على مجمل هذه المستويات.

قد تكون نظرية القراءة متمثلة في "مدرسة الوقع الجمالي Effet esthétique" أو "مدرسة جمالية التلقي Réception esthétique"؛ قادرة على أن تيّسر على المترجم سبل فهم كيفية استقبال النصوص وقراءتها، إلا أنّ جانب الإنتاج النصي يبدو غير متناول في رحاب هذه النظرية.

إنّ المترجم هو قارئ للنص الأصلي وبالتالي فهو يحتاج إلى مطالعة ودراسة ما جدّ في مجال نظرية القراءة ليدعم قراءته للنص الأصلي بمجمل هذه الأفكار الهامّة. غير أنّ المترجم هو أيضا منتج للنص ثان في اللغة الهدف وبالتالي فهو أحوج إلى فهم شروط الإنتاج النصي وآلياته وإجراءاته. ومادام أنّ مبحث الإنتاج النصي كمبحث لساني جديد ومتجدّد وجد شرعيته في رحاب لسانيات النّص فإنّ هذا ممّا يثبت أهمّية انفتاح الترجمة على ما جدّ في رحاب لسانيات النص.

والتقاء النموذج التأويلي مع لسانيات النص يبدو واضحا من خلال تحديد مسار الترجمة في ظل النموذج التأويلي وهي:

التأويل ـــــــ فك الشكل الشفوي ــــــــــــــــــــــ إعادة الكتابة.

-Interprétation ______ De verbalisation______ Réexpression.

فالتأويل يعتمد على قراءة النّص ضمن شروط القراءة التي تدرج عناصر النص اللغوية وعناصره غير اللغوية؛ ثم وصولا إلى إعادة الكتابة والذي يتمثّل في إنتاج نص جديد بالاستناد إلى قراءة نص الترجمة.

« La théorie interprétative a établi que le processus de traduction consistait à comprendre le texte original, à déverbaliser sa forme linguistique et à

exprimer dans une autre langue les idées comprises et les sentiments ressentis » [1]

"النظرية التأويلية أثبتت أنّ إجراء الترجمة يتمثّل في فهم النّص الأصل، وفي فكّ شكله اللساني، ثمّ في إعادة التعبير في لغة أخرى نفس الأفكار و المشاعر المعبّرة".

يبدو أنّ نظرية النص تلعب دورا هامّا في إطار النموذج التأويلي، لأنّ النّص المعدّ للترجمة يحتوي على وحدات معجمية وتراكيب نحوية. ومع ذلك فإنّ هذه الوحدات المعجمية والنحوية تشكّل وحدات تدخل في تركيب نسيج النص ككل. وهذا معناه أنّ ترجمة المفردة في الجملة الواحدة وترجمة الجملة الواحدة في التركيب اللساني هي ألصق بالترجمة اللسانية؛ بينما الترجمة النّصية تعتمد على النص وليس على أجزائه فقط.

لا يتمّ في هذا المستوى النصي التعامل مع اللغة لوحدها فقط صوتيا وصرفيا ونحويا ولكن سياقيا أيضا. أي أنّ نظرية النص تدرج في مفهوم النّص ما يسمّى "عالم النص" Textual world؛ وهي مجموع السياقات التي يرد في إطارها أيّ نص وتتحكّم هذه العناصر كلّ من موقعها في فهم "النص".

وعلى هذا الأساس فإنّ "النموذج التأويلي" لا يهدف إلى إبعاد أيّ عنصر من العناصر من شأنه أن يسهم بوجوده في إزجاء "الفهم" الذي يمكّن المترجم من تفكيك شفرة "النص" في أي مستوى من المستويات. "تحت تسمية الترجمة اللغوية. أجمع بين ترجمة الكلمات وترجمة الجمل خارج السياق. وأسمّي الترجمة التفسيرية، أو الترجمة باختصار ترجمة النصوص، هذا التمييز فرض نفسه عليّ في دراسة ترجمة المحاضرة من تصفيفات السمات اللغوية وتفرض على المترجم مسعى تأويليا»[2].

هذه التجربة التأويلية لدى منظري هذا النموذج تظهر قيمة تطعيم نظرية الترجمة بكل المبادئ اللسانية المتطورة والمتجددة.

---

1 -Mathieu Guidere : Introduction à la traductologie, Hollande, de bœck université, 2008, P70.

2- ماريان لوديرار: م س، ص15.

ومن المبادئ اللسانية التي أضحت تحتلّ مكانة في صلب الدراسات اللسانية مفهوم "السياق النصي"؛ فهذا المفهوم هو عنصر غير لغوي ولكنه يتشابك مع العناصر اللغوية لأنّ المعنى يعتمد عليه اعتمادا أساسيا.

"نؤكّد هنا أيضا أنّ الفهم نفسه يتألّف من إعادة بناء السياق من كلمات النص. والشيء الهامّ هو وضع كلمات النص الأصلي جانبا ورؤية الصورة بوضوح، وبعدما يتخيّل المترجم الصورة تماما، عليه أن يكتب ما يراه في أبسط لغة (اللغة المترجم إليها). إنّ عليه أن ينقل الفكرة أو الصورة وليس مجرد مناظرات الكلمات الحقيقية في اللغة الأصل»[1]

إنّ كلمات مثل: الصلاة، والزكاة، والدعاء وغيرها هي كلمات كثيرة الاستعمال في اللّغة قديما وحديثا لكنّ إيراد هذه الكلمات في نص معدّ للترجمة يستدعي من المترجم التأني والتركيز؛ لأنّ دلالات هذه الكلمات على بساطتها وكثرة استعمالاتها قد لحقها من التبدّل والتغيّر ما يفرض على المترجم تحديد السياق الزماني والمكاني الذين وردت فيه أي تاريخية النص وتاريخية قائله.

فإذا كان الشاعر ينتمي إلى العصر الجاهلي أي عصر ما قبل الإسلام فإنّ دلالة كلمة "الصلاة" مثلا تختلف عنها عند شاعر ينتمي إلى العصر الإسلامي وما بعده؛ ونفس دلالة كلمة "الصلاة" تختلف من دين إلى آخر فلكل دين طريقته الخاصة في الصلاة.

فهناك أديان ترى الصلاة أقوالا تُردّد، وآخرون يرونها أفعالا تُؤدّى، وآخرون يرون أنها أفعال وأقوال، وآخرون يبقون الصلاة على أصل الوضع فهي دعاء؛ فتحديد السياق المكاني والزماني قبل الإقدام على الترجمة يبدو ضروريا لفهم إيراد مجمل الوحدات اللغوية حتى لا تصير الترجمة مجرد نظائر لغوية تشتّت الفهم بدل أن تعين على تجليته وتوضيحه.

يقول الانجليزي في ثنايا كلامه ما يلي: I will pray for you

ويقول الفرنسي في ثنايا كلامه أيضا: Je prierai pour vous

1- روجر. ت بيل: م س، ص237.

إذا ما حاول المترجم أن ينقل دلالة "الصلاة" في هذين النصين إلى العربية فإنّ المتلقي العربي لا يستسيغ أن يقوم شخص ما بالصلاة لأجل إنسان آخر.لأنّ الصلاة بما هو مفهوم منها في العربية تكون متوجهة إلى الخالق؛ أمّا إيراد الصلاة في هذا النص فالمقصود به هو الدعاء لشخص آخر في الصلاة أو في غيرها. فالمفهوم من كلمة "الصلاة" في النص "الدعاء"؛ حتى ليمكنها أن لا تدلّ على الصلاة إلا بطريق المجاز؛ و الدليل على ذلك هذا التركيب اللغوي:

“She hasn’t a prayer of winning the competition”.

" ليس لها رجاء في الفوز بالمنافسة".

فهنا لا تدلّ على "الصلاة" بدلالتها المعهودة وإنّما تدلّ على صورة مجازية تجعل الأمر موضوع الحديث محلّ استحالة أي أنّ" النجاح غير متوقع أو مستحيل".

ففهم النّص بكل أبعاده هو عتبة أولى تواجه المترجم في سبيل فهم النّص أوّلا ثمّ إفهامه للآخرين بطريق الترجمة. هذا الجهد التأويلي الذي يبذله المترجم ينعكس على عمله الترجمي أمانة واقتدارا.

إنّ النموذج التأويلي وإن وجد ضالته وتطبيقه في عملية الترجمة الشفوية في المؤتمرات والمحاضرات؛ إلاّ أنّ الباحثين لم يقصروه على ميدان الترجمة التحريرية لوحدها؛ بل نقلوه وطبّقوه على ميادين أخرى من الترجمة ومنها الترجمة الأدبية.

وفي هذا المستوى من الترجمة الأدبية لا يمكن إغفال دور لسانيات النص في هذا المجال من التطور الذي تعرفه نظرية الترجمة؛ وإن كان الأمر لا يخلو – طبعا – من المزالق. وهو الأمر الذي يجعل دور المترجم كوسيط بين الكاتب والقارئ حاسما؛ ويفرض عليه أن يمارس دوره في القيام بواجبه لتقديم ترجمة يُرجى منها أن تكون صورة عن الأصل لا أن تكون الأصل نفسه.

"ولإنجاح الترجمة والمحافظة على جوهر النص ومعطياته ينبغي فهمه واستيعابه؛ لأنّ النص الأدبي له خصوصيات قد لا نجدها في غيره من النصوص. فكلّ

نص أدبي يتضمّن رؤية للحياة بل وهو رؤية الكاتب الخاصة للعالم ثم إنّه إيحاء وإيماء وبخاصة أنّه ضرب من المجاز والكناية والاستعارة"[1].

ولذلك فقد توجد جدارة واقتدار لدى بعض المترجمين الأكفاء للنصوص الأدبية، وفي المقابل يوجد إخفاق لآخرين؛ وما ذلك إلاّ أنّ الإقدام على ترجمة النصوص الأدبية يفرض ثقافة موضوعية لا تتعلق بمهارة اللغتين فقط ."فالمترجم العربي يستوعب النص الأجنبي بعد دراسة أعوام وأعوام ثمّ يقدّم ما يراه المقابل الذي يستطيع أهل العربية أن يتذوقوه"[2].

إنّ تذوق أهل العربية للنّص المترجم يتمّ بعد تطويعه وتكييفه بما لا يتصادم مع ما يعرفه أهل العربية من خلال لغتهم وما ثبت في أذهانهم عبر الزمن من مبادئ وأفكار تشكّل مرجعية جمعية يصدر عنها كلّ عربي حينما يكون بصدد قراءة أيّ نص.

وهذه الثقافة الإدراكية لدى كل شعب من الشعوب إنّما يصدر عنها القارئ ضمن المجموعة اللسانية التي ينتمي إليها، وهذا الصدور عن هذه الثقافة الإدراكية إنّما هو صدور غير شعوري فكأنّما هو أمر حتمي لازم.

فالإنسان الذي هو ابن بيئته لا يمكنه أن ينسلخ عن هذا الانتماء الجمعي ولا يمكنه إلاّ أن يصدر عنه لأنّه بذلك إنّما يقف على أرضية صلبة توجّه عملية القراءة وتحدّد فهمه ممّا يستقبل من أفكار ورؤى وإدراكات. "فالقارئ كما نعرف من دراسات النقد الحديثة لا يقدّم عقلا أو وجدانا يشبه الصفحة البيضاء ليتلقى فيه العمل الأدبي الجديد، بل هو حتّى دون أن يعتمد الترجمة يرجع دائما إلى لغته وتجربته الشخصية خصوصا ما اختزنه من تراث الخبرة الأدبية"[3]

فعلى سبيل المثال تختلف دلالة الوحدة المعجمية "الحبّ" بين ثقافتين إدراكيتين في ظلال لغتين هما: الفرنسية والعربية.

الفرنسية: Amour

العربية: "حب".

1- مسلك ميمون: ترجمة الأعمال الأدبية. MASLAK.MAK toobblog.com http.ll.

2- محمد عناني: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، ص40.

3- محمد عناني: م ن، ص218.

فبينما كلمة "حبّ" في ظلال الثقافة العربية تحيل على معنى من السمو والتعالي عن شبق الجسد ونزواته في أغلب الأحيان إلاّ أنّ كلمة « Amour » في اللغة الفرنسية تلتصق بفعل الجسد فتقصر هذا الإحساس الإنساني النبيل أثناء الاستعمال على الممارسة الجسدية.

Amour : [Amur] a n.m :

- Sentiment très fort de tendresse mêlée d'attirance physique que l'on éprouve pour une personne ___ Passion.
- Faire L'amour : avoir des rapports sexuels. Ils ont fait L'amour.
- Relations sexuelles : C'est la saison des amours, chez les animaux[1].

يُلاحظ أنّ استعمال كلمة "حب" « Amour » لتدلّ على الاتصال الجسدي وعلى العلاقة الحسية يبدو واضحا من خلال هذه الأمثلة.

بينما كلمة "حبّ" في العربية لا تحمل هذا التوجه الجسدي الخالص، حتىّ بين المتحابين. لأنّ فعل المباشرة في اللغة العربية تدلّ عليه ألفاظ أخرى كثيرة منها ما هو صريح ومنها ما هو كنائي.

ولذلك فقد تحصل البلبلة المفهومية حينما يقدم المترجم لنص فرنسي يستعمل كلمة « Amour » بمعنى الاتصال الجسدي؛ فهنا لا يسع المترجم إلاّ أن يكيّف هذه الوحدة المعجمية بمعناها الوارد في النص وليس مجرد النقل الحرفي.

إنّ صفة التقاطع التي اتسمت بها العلوم الإنسانية ولا تزال – تؤكّد من خلال النموذج التأويلي في الترجمة استفادة نظرية الترجمة من كثير من العلوم التي تمتّ بعض مباحثها بصلة بعضها البعض. فلقد استفادت نظرية الترجمة من لسانيات النص ومن اللسانيات العامّة، واستفادت لسانيات النص من اللسانيات الإدراكية وخصوصا ما يتعلق بآلية الإدراك وما توصلّت إليه معالجة المعلومات الواردة من طريق الحواس وصولا إلى تحليلها في الدماغ؛ وهي الأفكار التي يعالجها علم الأعصاب وكذلك تخزين المعلومات في الذهن.

---

1 -Josette Rey, de bove : Dictionnaire du Français, France, Ile international, 2001, P27.

فمجمل هذه العلوم تتقاطع مباحثها ومجالات بحثها وبالتالي فالتطور الحاصل في بعضها تستفيد منه الأخرى.

يعتمد النموذج التأويلي على الفهم، هذا الفهم تفسّره لسانيات النّص بأنّه يتمّ على شكل نصوص وليس على شكل أجزاء منفصلة، هذه النّصوص يتمّ استيعابها في الذهن، والذهن ينشطر إلى ذاكرة طويلة المدى وذاكرة قصيرة المدى؛ وهذا التخزين للمعلومات النصية يكون له دور كبير في فهم وتحليل المعلومات الدلالية الواردة إليه.

فالقارئ يقرأ نصّا ما ليس على أساس أنّه متلق فقط، بل يبني فهمه لما يقرأ على أساس ما قرأ سابقا وما استقرّ في ذهنه من مطالعات سابقة. و من هنا تدخل النصوص بمختلف أشكالها في لعبة حوارية يكون مسرحها ذهن القارئ الذي يعمل على تزويد القارئ بالمعلومات الدلالية التي تمكّنه من تفكيك شفرة النص.

"إنّ المعلومات الدلالية – كما افترضنا – لا يمكن أولا يجب أن تختزن بشكل أطول في الـــ (ذ م ط د) فتحال إلى ذاكرة المدى الطويل الدلالية (ذ. م. ط)" [1]. فهذه الأبنية النصية المتواجدة على مستوى الذاكرة الدلالية في ذاكرة المدى الطويل هي التي ينوء بها تفسير سبل الفهم والإدراك وتكوين الصورة المطلوبة عن النّص المقروء أو المترجم.

إنّ هذه الذاكرة الدلالية وإن كانت تتدخل في فهم ما يقرأ وإدراكه على أساس من ذاكرة دلالية مستقرّة في ذهن المترجم إلاّ أنّها تتدخل أيضا فيما يقدم عليه المترجم لاحقا وهو "إعادة الكتابة" réexpression وهو المبحث الذي تناولته لسانيات النصوص في إطار إعادة "إنتاج نصوص وإعادة بنائها وإنتاجها".

في إطار نظرية الترجمة تبرز أهمية إيلاء اهتمام للجانبين معا وهما جانبا القراءة والكتابة. فالمترجم قارئ وكاتب، فهو قارئ يستفيد من آليات القراءة على كلّ المستويات اللسانية والنفسية والعصبية والاجتماعية، ثمّ هو كاتب لنص ثان يستفيد من مقررات اللسانيات النصية في مجال الإنتاج النصي؛ وبهذا التكامل يتأهل عمله

1- فان دايك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسين بحيري، مصر، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2000، ص189.

الترجمي إلى درجة من الجودة والإتقان ولا يقصي أي عامل ولا أي جانب في إطارها.

" تستخدم في أثناء استرجاع معلومات نصية سلسلة من العمليات، فليس من اليسير إعادة إنتاج أو إمكان إعادة إنتاج معلومات مسترجعة في حد ذاتها... عند إعادة إنتاج معلومات يمكن أن تستخدم سلسلة من التحويلات (الحذف والإضافة والنقل والإحلال وإعادة التأليف)" [1].

يبدو جليّا من خلال هذا العرض أن مطالبة المترجم بالأمانة والنقل الحرفي للوحدات اللسانية لا يمكن أن يكون مقبولا في ظل الفتوحات العلمية التي أدلت بها مجمل هذه العلوم الإنسانية التي تدرس الظاهرة اللغوية على الرغم من تعقّدها وتشعّبها.

فالبحث العلمي في مجال الإنتاج النصي يعترف إذن بعلمية إعادة التأليف ويعترف بالحذف ويعترف بالإحلال وبالإضافة وكلّ هذه المفاهيم ليست قائمة على مجرد النقل الحرفي للوحدات اللسانية من لغة أصل إلى لغة هدف، وإنّما تقوم على النظر إلى النص المعد للترجمة كما هو بما يحمل من ضروب الاستعمال للدلالات المجازية التي يعتبر ورودها في النص الأدبي يعكس أصالة في فكر الإنسان وشعوره.

يتبين أنّ النموذج التأويلي للترجمة قد ضرب بسهم وافر في فهم واستجلاء العمل الترجمي بمختلف أبعاده وجعل من الترجمة نشاطا إنسانيا لسانيّا متميّزا، لأنّ النّصوص الأدبية التي تقوم على اكتناز لافت لطائفة معتبرة من الصور المجازية تغدو أثناء الترجمة ميدانا يبرز مهارة المترجم في فهم النّص، و في فهم الرموز الثقافية الحضارية الواردة في نسيج النص الأدبي و في كل نص.

وبذلك يتبيّن أنّ ملمح التميّز الحقيقي لدى المترجم هو في مدى استفادته حقيقة من مجمل إسهامات العلوم الإنسانية التي تجتهد لإمداد نظرية الترجمة بكلّ ما من شأنه تسليط الضوء على العوائق النظرية و المنهجية التي تحول دون الارتقاء بعمل الترجمة؛ ويمكّن من تجاوز هذه العقبات وبناء نظرية لسانية صلبة في مجال الترجمة

1- فان دايك: م ن، ص201.

الأدبية. وهذه الجهود البحثية هي التي تجعل إرث اللسانيات لا يقف عند حدود مدرسة لسانية واحدة ووحيدة؛ وإنّما يظهر أنّ توارد هذه الإسهامات وتكاثرها هو دليل صحّة يمكّن اللسانيين من اختيار الأنسب دائما بما يعزّز توفّر البدائل العلمية المنفتحة على الدراسات اللسانية و الإنسانية على حدّ سواء.

وبهذا يتبيّن أنّ نموذجا تأويليا في ترجمة الدلالات المجازية بإمكانه أن يسند عملية الترجمة بروافد علميّة قيّمة و نافعة في إطار البحث عن ترجمة تستجيب لشروط المقبولية بما يستجيب لمتطلبات البحث العلمي الجاد.

الخـــاتمـــة

الخاتمـــــة

يُمكننا في خاتمة هذه الفصول المُشكّلة لهذه الرسالة العلميّة أن نُجمل النتائج العلميّة المُتوصَل إليها في إطار دراسة الدلالات المجازية من منظور الفكر اللساني المعاصر في النتائج التالية:

– يمكن استخلاص أوجه الاختلاف و التشابه بين الفلسفة المُشكّلة للمجاز في الفكريْن العربي والغربي، و دور المجاز بواسطة أضربه البلاغية التي يشيع وجودها في ثنايا النّصوص الأدبية في إبلاغ الرسالة اللسانية بطريقة غير مباشرة؛ ممّا يضفي ألقا على أسلوب الكاتب و منشئ الكلام كليهما. ولكنْ مع الانتباه دوما إلى الحمولة المرجعية المُنضوية في صلب النّصوص الأدبية خصوصا واللسانية عامة؛ و ذلك من موقع أنّ هذه النصوص تعكس الإرث الثقافي و الحضاري للمجموعة اللسانية. ويظهر ذلك جليّـــا في استعمال المجاز في الكلام العادي وغير العادي أي الإبداعي منه. وكان من نتائج ذلك كلّه أنّ دراسة المجاز و أضرُبَه الجنيسة معه يعرف تشظيـــّا و انتشارا لدى كثير من المباحث اللسانية و غير اللسانية، وهي: " النقد الأدبي – ودراسات البلاغة– وعلم الدلالة– **و** دراسات نظرية الترجمة الأدبية". وهذا كلّه بدون نسيان وجود دراسات المجاز في علوم المنطق و التفسير والفلسفـــة و علم أصول الفقـــه والجدل. ممّا يثبت الدور الذي يلعبه المجاز في التواصل اللساني الإنساني بما يخدم تحقيق العملية التواصلية بين المتخاطبين بكل سلاسة ويسر. ويُمَكّن المجاز بدوره من تشكيل شبكة من العلاقات الدلالية بين الوحدات المعجمية في داخل اللغة الواحدة سعيا إلى إثراء العلاقات المعجمية الدلالية.

– يشكّل ظهور "النظريـــة التوليديـــة التحويليـــة" في ساحة الفكر اللساني الحديث والمعاصر منعطفا حاسما مكّن من دفع عجلة الدرس اللساني نحو تبنّي منهج تفسيري للّغة وللسان البشري؛ في الوقت الذي بدأ فيه زخم اللسانيات البنيوية في

التراجع والأفول. و يظهر أثر المدرسة التوليدية في التأسيس لدراسة تأخذ في الحسبان انفتاح الظاهرة اللسانية على جملة العلوم الإنسانية الأكثر التصاقا باللغة وأنشطتها اللسانية. وتبيّن لنا من خلال عرض مبادئ وأسس هذه المدرسة اللسانية المعاصرة أنّ تأكيدها على وجود الكليّات اللسانيّة يثبت إمكانية وقوع الترجمة بصفة واقعية وفعلية. ومردُّ ذلك إلى مرونة النظام اللساني وقابليته لحمل الدلالات على تنوّعها واختلافها داخل اللغة الواحدة، ناهيك عن توارد ذلك في كثير من اللغات الإنسانية قديمها وحديثها.

وبذلك فسحت هذه المدرسة المجال أمام دراسات الترجمة لتجد موطئ قدم لها في رحاب الدرس اللساني المعاصر؛ وذلك من منظور أنّ عمليّة الترجمة هي فاعليّة لسانيّة إنسانيّة بالأساس؛ شهد لتحققها عبر العصور الكمّ الهائل من روائع الأعمال الأدبية الإبداعية التي تعدّدت ترجماتها إلى حدّ جعل نسخة الترجمة في بعض الأحيان تتفوّق على نص الترجمة الأصليّة. وصار من الممكن الحديث عن استثمار نظريّات اللسانيات العامّة الأكثر جدّة و حداثة في إرساء دعائم الدراسة اللسانية للإشكاليات التي تعرفها دراسات الترجمة خصوصا الترجمة الأدبيّة. ومن الإشكاليات التي يعرفها درس الترجمة الأدبية عوائق ترجمة الدلالات المجازية وسائر الأضرب البلاغية. وبتطبيق أسس اللسانيات التوليدية التحويلية في استجلاء إشكاليات ترجمة الدلالات المجازية تبيّن لنا قيمة إيلاء جانب فهم العناصر الثقافية والحضارية المتضمّنة في صلب الدلالات المجازية فهما سليما وسديدا.

– نستخلص أنّ تركيز اللسانيات الإدراكية على عنصر فهم البنية الذهنيّة التي تُؤطّر البنية اللسانية وتدفع بها إلى ميدان التحقق والبروز جعل استفادة هذه النظرية من منجزات النظرية التوليدية التحويلية يبعث الروح في الفكر اللساني المعاصر. ويتمثّل ذلك في إحلال البنية الذهنية التي يتوقف على فهمها إدراك اتجاه أيّ إنسان نحو استخدام الدلالات الحقيقية أو الاستعاضة عنها بالدلالات غير الحقيقية التي يُشكّل المجاز والاستعارة أبرز من يمثّلهما على صعيد الحاجة الإنسانية الدافعة إلى إنشاء القول اللّساني. كما فتحت دراسات اللسانيات الإدراكية المجال أمام اعتبار متميّز

للمجاز وأضربه واعتبرته داخلا أصلا في تشكيل البنية الذهنية والعقلية لدى كل شخص؛ ممّا دفع بدراسات المجاز إلى احتلال مرتبة مركزية في تركيبية الفكر اللساني الإنساني. وهذا في الوقت الذي كان المجاز يحتلّ في الدراسات السابقة مرتبة ثانويّة هامشيّة تعكس إحساس الإنسان بالزينة اللفظية الواردة في نسيج النصوص الأدبية، ممّا قصرها سابقا على دراسات البلاغة والأسلوبية. وهذا ما جعل الدلالة المجازية تعكس بنية ذهنية تمّ تشكيلها عبر مسافات زمانية وبيئية متطاولة تحمل رموزا ثقافية وحضارية يتواضع عليها أبناء المجوعة اللسانية المتجانسة.

– ونتيجة لاستثمار إطار النموذج التأويلي في الترجمة تبيّن لنا قدرة هذا النموذج على تذليل عوائق الترجمة وإشكالياتها واقتراح البدائل المعرفيّة والمنهجيّة التي تطرح إجراءات في الترجمة تكون فاعلة في نقل الدلالة من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف. فلقد تبيّن لنا من خلال عرض مجمل مبادئ هذا النّموذج أنّ الترجمة تعتبر تقنية "لسانية إدراكية ثقافية" يتوجّب على المترجم أن يصل إلى تحقيق ترجمة فاعلة بواسطة إجراء التأويل للعناصر المجازية الواردة في نسيج النص الأدبي المُعدّ للترجمة. أمّا إمرار هذه العناصر المجازية على حالها بحرفيّتها أو بمعجميتها كما وردت في النّص الأصلي فإنّه من شأن ذلك أن يعمل على تشويه هذه الصورة المجازية ويبترها وينتقصها و ينتج سوء فهم للعناصر الثقافية و الحضارية التي تعكسها الدلالات المجازية في النصوص الأدبية؛ والتي يفرض إلى جانب عنصر الأمانة العلمية عنصر الاعتزاز لدى كل أمّة بتراثها الفني و الجمالي بدون تفريط و لا تشويه.

وهذا ما يجعلنا نستخلص أنّ نصّ التّرجمة يجب أن يعكس فرادة الصورة المجازية وتميُّزها وخصوصيتها الثقافية والحضارية شديدة الالتصاق بتاريخ الأمة وتراثها، وإنما يتأتّى ذلك بواسطة التأويل. فالترجمة القائمة على استبعاد عنصر التأويل لا يمكنها أن تخدم اتجاه دراسات الترجمة نحو إرساء أسس لسانيّة صلبة للترجمة الأدبيّة.

وفي الأخير يُمكننا أن نُعلن أنّ قصور العقل البشري عن الإحاطة الشاملة بأيّ موضوع كان يفتح المجال أمام بحوث لاحقة تضيف لبنة بعد أخرى سعيا إلى فهم أفضل للدلالة المجازيّة و للترجمة الأدبية و لأسرار القول اللساني الإنساني برُمّته.

بيبلوغرافيا البحث

بيبليوغرافيا البحث

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2000.

2- (ابن جني) أبو الفتح: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، مصر1913.

3- (ابن المثنى) أبو عبيدة معمر: مجاز القرآن، تعليق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 2004 .

4- (ابن حماد) الجوهري إسماعيل: الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990.

5- (ابن خلدون) عبد الرحمان: المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004.

6- (ابن عبد العالي) عبد السلام: في الترجمة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

7- (ابن قتيبة) عبد الله: تأويل مشكل القرآن، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973.

8- (ابن منظور) أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، المجلد الخامس، دار المعارف، للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

9- (أبو العدوس) يوسف: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأبعاد المعرفية والجمالية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997.

10- (أستيتيه) سمير شريف: اللسانيات، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2005.

11- (آل مرعي)عبد الوهاب: اليهودي والفتاة العربية، قصة الحب الخالدة، العبيكان، السعودية، ط2 ، 2007.

12- (الأزهري) أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة ، تحقيق مجموعة من المحققين، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر، ج5،1965 .

13- (الأسود) محمد خليفة: التمهيد في علم اللغة: جامعة السابع ابريل، ليبيا، 1997.

14- (البقاعي) محمد خير: دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 1998.
15- (البيضاوي) ناصر الدين: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، طبعة ليبسيج، 1847.
16- (الجرجاني) عبد القاهر: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988.
17- (الجرجاني) عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1987.
18- (الجرجاني) عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 2004.
19- (الديري) علي أحمد: مجازات بها نرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
20- (الرويلي) ميجان، (البازعي) سعد: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2000.
21- (الزبيدي) محمد بن محمد: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، ط1، 1886 .
22- (السراج) محمد علي: اللباب في قواعد اللغة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1987.
23- (السيوطي) جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر،ج2 ،1967.
24- (السيوطي) جلال الدين: الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق حسن إسماعيل الشافعي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991.
25- (السيوطي) جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد علي البيجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1.
26- (الشيخ) عبد الواحد حسن: العلاقات الدلالية، مطبعة الإشعاع، القاهرة، مصر، ط1، 1999.

27- (الصالح) صبحي: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط11، 1986.
28- (الطاهر) محامي منير محمد: تهافت القراءة المعاصرة؛ دار قتيبة؛ بيروت؛ لبنان؛ 2004.
29- (العكبري) أبو البقاء : شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، م3، ط1، 1997.
30- (العبادي) عدي بن زيد: الديوان، تحقيق محمد جبار المعيبد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ط1، 1965.
31- (العلوي) يحيى بن حمزة: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق لإعجاز، تصحيح رشيد بن علي المرصفي، مطبعة المقتطف، القاهرة، مصر، 1994.
32- (العمري) محمد: البلاغة العربية – أصولها وامتداداتها- دار إفريقيا، المغرب، 2000 .
33- (الغزالي) أبو حامد: قانون التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
34- (الغزالي) محمد: السنة بين أهل الفقه والحديث، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط3، 1989.
35- (الفهري) عبد القادر فاسي: قاموس المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
36- (القزويني) جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
37- (الكومي) محمد شبل: المذاهب النقدية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2004.
38- (مبارك) زكي: ديوان احمد شوقي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1989.
39- (المبارك) مازن: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1981.

40- (المسدي) عبد السلام: اللسانيات وأسسها المعرفية، المطبعة العربية، تونس، 1986.

41- (الموصلي) محمد ماجد: معارف الترجمة التحريرية، مطبعة اليمامة، حمص، سوريا، ط1، 2005.

42- (مهدي) محمد ناصر الدين: شرح ديوان بشار بن برد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

43- (النسابوري) حسن بن محمد: غرائب القرآن، تحقيق زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

44- (الهاشمي) السيد أحمد: جواهر البلاغة، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

45- (الوعر) مازن: دراسات نحوية في ضوء اللسانيات المعاصرة، دار المتنبي، دمشق، سوريا، 2001.

46- (أنيس) إبراهيم: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط6، 1991.

47- (بلعكبي) رمزي منير: معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، 1990.

48- (جابر) جمال محمد: منهجية الترجمة الأدبية، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات،2005.

49- *(جحفة) عبد المجيد: مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال، المغرب*، ط1، 2000.

50- (جواد) باقر مرتضى: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، الأردن، 2002.

51- (جرير) بن عطية بن حذيفة: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

52- (حسنين) صلاح : المدخل إلى علم الدلالة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر،2008.

53- (حسين) طه: حافظ وشوقي، مجموعة الأعمال الكاملة دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

54- (حمودة) عبد العزيز: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998.

55- (حيدر) فريد عوض: علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2005.

56- (دراقي) زبير: الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.

57- (سليم) عبد الإله: بنيات المشابهة في اللغة العربية. دار توبقال، المغرب ط1، 2001.

58- (سمير) أحمد معلوف: حيوية اللغة بين الحقيقة و المجاز، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1996.

59- (ضيف) شوقي: في النقد الأدبي، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط7، 1998.

60- (عبد الجليل) محمد بدري:المجاز وأثره في الدرس اللغوي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1986.

61- (عبد الجليل) منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.

62- (عبد الهادي) نبيل: مهارات في اللغة والتفكير، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط2، 2005.

63- (عبود) عبده: هجرة النصوص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1995.

64- (علوية) نعيم: بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1986.

65- (علي) محمد يونس: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

66- (عمارة) ناصر: اللغة و التأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية و التأويل العربي الاسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

67- (عمر) أحمد مختار: محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، الأردن، ط1، 1995.

68- (عناني) محمد: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2004.

69- (عناني) محمد: نظرية الترجمة الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

70- (غزالة) حسن: مقالات في الترجمة و الأسلوبية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، تموز يوليو، 2004.

71- (قنيني) عبد القادر: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، دار إفريقيا، المغرب، 2000.

72- (مفتاح) محمد: مجهول البيان، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.

73- (ناصف) مصطفى: الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، 1983.

74- (هلال) محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973.

75- (يوسف) عبد الفتاح أحمد: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

76- القانون المدني الجزائري: الديوان الوطني للأشغال التربوية، الجزائر،1991.

المراجع المترجمة:

1- (أنسومك) جون كرور: الأديب وصناعته، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان، ط2، 1983.

2- (بالمر) فرانك: مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة خالد محمود جمعة، مكتبة العروبة، الكويت، ط1، 1991 .

3- (برينكر) كلاوس: التحليل اللغوي للنص، ترجمة سعيد حسين بحيري، مؤسسة المختار، مصر، ط1، 2005.

4- (بيل) روجر: الترجمة وعملياتها، ترجمة محي الدين حميدي، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1، 2001.

5- (تودوروف) تزيفتيان: الأدب والدلالة، تر محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، سوريا، 1996.

6- (جيرو) بيار: علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1992.

7- (دايك) فان: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسين بحيري دار القاهرة، مصر، ط1، 2000.

8- (دى بوجراند) روبرت: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2007.

9- (راستيي) فرانسوا: فنون النص وعلومه، ترجمة إدريس الخطاب، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2010.

10- (رثقن) ك.ك: موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1983.

11- (ريكور) بول: صراع التأويلات، ت منذر عياشي، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

12- (غرين) جوديت: علم اللغة النفسي، تشومسكي وعلم النفس، ترجمة مصطفى التوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1993.
13- (غينتسلر) ادوين: في نظرية الترجمة؛ اتجاهات متعددة، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
14- (فوك) كاترين – (قوفيك) بيار لي: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
15- (ككنبوش) كريستيان: الذاكرة واللغة، ت عبد الرزاق عبيد، دار الحكمة، الجزائر،ط1، 1993.
16- (كوربااليس) مايكل: نشأة اللغة. ترجمة محمود ماجد عمر، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 2006.
17- (كولنج) ي: الموسوعة اللغوية (اللغة والسلوك) ترجمة: محي الدين حميدي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1999.
18- (كولوغلي) بوهاس – جيوم–: التراث اللغوي العربي، ترجمة محمد حسن عبد العزيز، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2008.
19- (لايكوف) جورج، (جونسون) مارك: الاستعارات التي نحيا بها ، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2009.
20- (لوديرار) مريان: الترجمة اليوم والنموذج التأويلي، ترجمة: نادية حفيز، دار هومة، الجزائر، 2008.
21- (لوديرير) ماريان – (سيليكوفتش) دانيكا: التأويل سبيلا إلى الترجمة، ترجمة فايزة القاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2001.
22- (لوسركل) جان جاك:عنف اللغة، ترجمة محمد بدوي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

23- (لوغون) ميشال: الاستعارة والمجاز المرسل، ترجمة حلا صليبا، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
24- (ليونز) جون: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987.
25- (ليونز) جون: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1995.
26- (ماثيوز) ب.ه: اللغة مقدرة عقلية- الموسوعة اللغوية، ترجمة محي الدين حميدي، جامعة الملك سعود الفيصل، المملكة العربية السعودية، 1999.
27- (مارتين) روبرت: مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
28- (مونان) جورج : اللسانيات والترجمة، ترجمة حسين بن زروق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000 .
29- (نيوبرت) ألبرت: الترجمة وعلوم النص، ترجمة محي الدين حميدي، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، 2002.
30- (هالين) فيرناند – (شويرفيجن) فرانك – (اوتان) ميشيل: بحوث في القراءة والتلقي، ت محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 1998.
31- (وينتر) ارثر – وينتر روث: بناء القدرات الدماغية، ت، كمال قطماوي، ط1، دار الحوار، اللاذقية، سوريا 1996.
32- (روبنز) ه : موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، 1997.

المصادر والمراجع الأجنبية

1- A. Harakat : Le saint coran (traduction du sens de ses versets) : Dar El Fikr Beyrouth Liban.

2- André dédét : Structure de langage et de l'inconscient ed. L'harmattan 2003.

3- Carl Grimberg : Histoire universelle, Marabout université, France, 1963.

4- Catherine Kerbrat: La connotation, Presses universitaires, Lyon, France, 1977.

5- Chomsky Naom : Aspects of the theory of syntax, Cambridge, mars,1965.

6- Chomsky Noam : Theory of syntax, Massachusetts, USA,1957.

7- Code civil algérien : Office national des travaux éducatifs, Algérie, 1991.

8- Dan Slobin: psycholinguistics, Scot foresman, USA 1991.

9- David Crystal : A dictionary of linguistics and phonetics, Blackwell publishing USA, 6 ed, 2008.

10- David Crystal: Linguistices. Penguin, USA, 1978

11- Donald Loritz : How the brain evolved language, Oxford university press, Uk, 1999.

12- Elezabieta Tabakouska : Cognitive linguistics and poetics of translation, GNV ed, Germany, 1993.

13- Eric partridge: A dictionary of catch phrases, Ed Panl Beale, USA, 1986.

14- Eugene Albert Nida: The theory and practice of translation. Tuta sue Aeigis. Brussels. 2003.

15- Eugine A Nida : Contexts in Translation, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam, 1984.

16- Eva Hung : Translation and cultural change, Benjamins Translation Library, Holland, 1984.

17- Ferdinand De Saussure: Cours de linguistique générale, Enag Editions, Algérie, 1990.

18- François Ost: Traduire Défense et illustration du multilinguisme, Fayard, France, 2009.

19- Georges Garnier : Linguistique et traduction, Paradigme, France, 1985.

20- Georges Lakoff : The contemporary theory of metaphor ,Cambridge university press.

21- Gerard J. Steen : Finding metaphor in grammar and usage, John Benjamin publishing, Amsterdam, Netherlands, 2007.
22- Hellal yamina : La théorie de la traduction, OPU, Algérie, 1986.
23- Ignace hoaz : Nietzche et la métaphore cognitive, l'harmattan, France, 2006
24- Jacques Berque : Le Coran, sindba, Paris, France, 1990.
25- Jean Rene Ladmiral: Traduire: Théorèmes pour la traduction, Gallimard, France,1994.
26- Jean-Claude Margot : Traduire sans trahir, L'age d'homme, Suisse. 1990.
27- Jean-Paul Bronckart : Théories du langage, Editions Mardaga, France, 1995.
28- Joëlle Redouane : Stylistique comparée du Français et de l'Anglais, Opu, Algérie, 1996.
29- Josette Rey de bove : Dictionnaire du Français, Cle international, France, 2001.
30- Lakoff Georges, Mark Johnson : Metaphors we live by, university of Chicago press, USA, 1980.
31- Lantri Elfoul: Traductologie, littérature comparée, Casbah Editions, Alger, 2006.
32- Marianne Lederer : La traduction aujourd'hui, Hachette, Paris, France, 1994.
33- Maryam. F. Massaud: Translate to communicate, David coole, USA. 988.
34- Mathieu Guidere : Introduction à la traductologie, De Boeck université, Bruxelles, 2008.
35- Maurice Merleau-ponty : Phenomenology of perception, Routledge, UK, 1962.
36- Michael Herslund : Aspects linguistiques de la traduction, presses univ de bordeaux, France, 2003.
37- Michel santacroce : Faits de langue, faits de discours , l'harmattan, France, 2002.
38- Muray knowles and rosamund moon : Introducing metaphor, Routledge, London , 2006.
39- Mustapha Zaoui : Sémantique et étude de langue, OPU, Alger , 1993.
40- Nancy Bouvillain: language, culture and communication, Prentice hall, new jersey, USA, 2003.
41- Paul ricoeur : Sur la traduction, Bayard, editions, 1997.

42- Peter Fawcett : Translation and language, St Jerome publishing, 2nd Edition, 2003.
43- Ray Jackendoff : foundations of language, Oxford university press, USA, 2003.
44- Ray jackendoff : Semantics and cognition, MIT press, USA, 1985.
45- Rudolph F, Verderber, Kathleen S. Deanna D. Sellnow : The challenge of effective speaking, Thomson, USA, 2008.
46- Umberto Eco : Les limites de l'interprétation. Ed qrasset, Paris 1992.
47- William O'grady : Contemporary linguistics, Bedford, ST Martin's, USA, 2005.

المجلات والقواميس ومواقع الانترنت:

1. العربيـة:

-المجـلات:

.

1-(ايكو) أمبرتو: بصدد التفوق الغربي، ترجمة سعيد بنكراد، جريدة Le Monde الأربعاء، 10أكتوبر،2001.

2-(ابن عبد العالي) عبد السلام: الترجمة أداة للتحديث، مجلة فكر ونقد، عدد79/80، أبريل/ ماي، المغرب، 2006.

3-(زكريا) ميشال: المكون الدلالي في القواعد التحويلية التوليدية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العددان18–19، شباط – آذار 1982.

4-(شريم) جوزيف: التعيين والتضمين في علم الدلالة، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي العدد 18 شباط آذار 1982.

5-(عياشي) منذر: النظرية التوليدية و مناهج البحث عند تشومسكي، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد 40 تموز آب 1986.

- الموسوعـات والقواميس:

1- (عماد الدين) الرشيد: الموسوعة العربية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2008.

2- (يعقوب) اميل: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط، 1987.

3- الموسوعة العربية العالمية، دمشق، سوريا، 2008.

http://www.mawsoah.net

4- (رشيد) بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2000.

5- (روحي) البعلبكي: المورد الوسيط، قاموس عربي انجليزي، دار العلم للملايين، ط3، 1995.

6- (عبد النور) جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

7- (إدريس) سهيل، المنهل قاموس فرنسي عربي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط22، 1999.

8- (فتحي) إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، تونس، ط1، 1986.

- **مواقع الانترنـت:**

1-(ميمون) مسلك:ترجمة الأعمال الأدبيةtoobblog.com MASLAK.MAK http.ll

2-(لوبور) فودور: القاموس الفلسفي المعاصر، 1992 القاموس الفلسفي المعاصر in mustafahadad.blogspot .com :// http"Semantics".

- الأجنبية:

1- Atlas Encyclopedic Dictionary English –Uk, Arabic Atlas Publishing house 2002.

2- Christina. Schaffner : Journal of pragmatics, 36 (2004) Metaphor and translation.

3- Wilss wolfram : human and machine translation, perspectives, national resource center for translation.

4- Fréderic Baudry : De la science du langage et de son état actuel (Extrait de la revue archéologique). Paris, 1864

5- Jean Dubois : Dictionnaire de la linguistique, Larousse 1er édition 2001.

6- Lawrence Venuti : Traduction, intertextualité, interprétation, in palimpsestesN18, Presses Sorbonne nouvelle, paris France, .

7- Monique C. Cormier: Glossaire de la theorie interpretative de la traduction et de l'interpretation Meta; journal des traducteurs, vol. 30, N 04, 1985.

8- Nili Mandelblit: human and machine translation, perspectives, national resource center for translation. Human and machine translation, perspectives, national resource center for translation http://citeseerx.ist.psu.edu.

9- Philippe Franchini : année des langues 2008 /commission suisse pour unesco.WWW.unesco .eh /actualité/années internationales.

10- Salih Salim Ali : Connotation and cross-cultural semantics, Translation journal,volume 10,number 4, October 2006.

11- Wikipedia : the free encyclopaedia : literal and figurative language.

12- Wikipedia: Fr. Wikipedia .org. /wiki/ coup de foudre.

الفهـــــرس

الفهـــــرس

الصفحة

الشكر .....

الإهداء .....

مقدمة .....أ

الفصل الأول: الدلالة المجازية في حقول البحث اللساني

المبحث الأول: الدلالة الحقيقة والدلالة المجازية.....2

- الدلالة الحقيقية.....5

- الدلالة المجازية.....14

المبحث الثاني: المجاز والتواصل اللساني.....17

- وظيفة المجاز.....17

- دور المجاز في إثراء العلاقات الدلالية..... 19

المبحث الثالث: المجاز في حقول البحث الإنساني.....22

- الدلالة المجازية في النقد الأدبي.....22

- المجاز في البلاغة.....28

- المجاز في علم الدلالة.....31

- المجاز في الترجمة الأدبية.....34

الفصل الثاني: الدراســـــة اللسانيــة للترجمــة المجازيــة

المبحث الأول: النظريــة التوليديــة التحويليــة.....41

- مبدأ الكليات اللسانية في المدرسة التحويلية.....45

- علاقــة الكليــات بالترجمــة.....49

المبحث الثاني: المنهج التوليدي.....54
- المكوّن الدلالي في اللسانيات التوليديـــة التحويليـــة.....56
المبحث الثالث: المنظور اللساني للترجمة المجازية 65
- خصائص الدلالات المجازية.....73
القيمة المجازية للملفوظ اللساني.....76

الفصل الثالث: اللسانيات الإدراكية ودراسة الترجمة المجازية

المبحث الأول: اللسانيات الإدراكية.....87
- نظرية الاستعارة عند جورج لايكوف.....90
- المنظور الإدراكي للترجمة.....97
المبحث الثاني: اللسانيات الإدراكية ومراتب الدلالة 112
- أصناف الدلالات.....112
- آلية النظام الإدراكي.....124
المبحث الثالث: المنظور الإدراكي للترجمة المجازية.....134
- مفهوم التمثل الإدراكي.....134
- نظرية العلاقات المعجمية عند "جاكندوف".....136
- التحليل الدلالي عند "جاكندوف".....139
- الانحراف الدلالي.....144

الفصل الرابع: النموذج التأويلي في دراسة الترجمة المجازية

المبحث الأول: النموذج التأويلي.....157
- بين التأويل والتأويلية.....161

- تأويلية الصور المجازية.....164
المبحث الثاني: تاريخية نشأة النموذج التأويلي.....172
- حدود دلالات الوحدات المجازية.....173
- بين التأويل والتأصيل.....181
- شروط التأويل وحدوده.....184
المبحث الثالث: الترجمة والتأويل النصي.....193
- تأويلية ترجمة العناصر الثقافية.....193
- الكفاءة النصية في عملية الترجمة التأويلية.....205
الخاتمة.....**217**
بيبليوغرافيا البحث..... **222**
الفهرس..... **238**